

د. إدريس رانسي

القبائل الحدودية التونسية-الجزائرية

بين الإجارة والإغارة
(1881 - 1830)

الدار المتوسطية للنشر
MEDITERRANEAN PUBLISHER

القبائل الحدودية - تونس - الجزائر

القبائل الحدودية - تونس - الجزائر

د. إدريس رانسي

القبائل الحدودية

التونسية-الجزائرية

بين الإجارة والإغارة (1881 - 1830)

رغم أنه لم يكن للموقع الحدودي قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر تأثير على غط عيش المجموعات القبلية ولا على علاقات التواصل التاريخية التي طالما كانت تربطها، بيد أن الاستعمار الفرنسي رأى في ظاهرة التواصل وحالة الانصهار التاريخية بين القبائل التغومية مصدر قلق، وهو ما جعله يعمل على وضع حد نهائي لهذه الظاهرة باتتجاهه أسلوب الفصل وتحويل الحدود من فضاء تواصل إلى عامل انقصال ساهم في تغيير نمط عيش الأمازيغ من الجانبين، ونتيجة لذلك أصبحت مسألة الصراع حول المجال خلال القرن التاسع عشر حاجسا كبيرا لدى قبائل الوسط الغربي وجيرانها من قبائل "الغربة"، وبات الدفاع عن وحدة المجال الحيوي للمجموعة القبلية الداعم لتربطها وتضامنها بهدف حمايته تحت غطاء ايدولوجي يمثل الانتماءات والعلاقات الدمية بين القبائل، فما مدى انعكاس تلك التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشت على وقعها القبائل الحدودية بمنطقة الوسط الغربي، وما مدى خطورة التدخل الفرنسي بالجزائر وتأثير ذلك على طبيعة وخصوصيات المجال للقبائل الحدودية التونسية-الجزائرية؟

ISBN : 978-9938-864-49-6



www.mediterraneanpub.com



الدكتور إدريس رانسي

باحث في التاريخ

المعاصر من مواليد 23

نوفمبر 1988 بقوسنة

القصرين، متحصل على:

-الدكتوراه في التاريخ

المعاصر من كلية الآداب

والعلوم الإنسانية

والاجتماعية بتونس

-المجستير في التاريخ

من الجامعة اللبنانية

كلية الآداب والعلوم

الإنسانية ببيروت

-الاستاذية في التاريخ

من الجامعة اللبنانية

كلية الآداب والعلوم

الإنسانية (1) ببيروت

صدر له من الدار المتوسطية

للنشر كتابا: الحقائق العبري

حول مشاريع السلام لحل

الصراع العربي-الإسرائيلي

د. ج. ب. ك. ن. ت.
د. إدريس رائسي

القبائل الحدودية التونسية - الجزائرية

بين الإجارة والإغارة

(1830 - 1881)

بسم الله الرحمن الرحيم



الكتاب القبائل الحدودية التونسية - الجزائرية
بين الإجارة و الإغارة (1830 - 1881)
المؤلف د. إدريس رايسي : raidriss@hotmail.fr
مدير النشر عماد المزالي
تصميم الغلاف نجلاء العياري
الترقيم الدولي للكتاب 978-9938-864-49-6

الدار المتوسطية للنشر
Mediterranean Publisher

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2016 م - 1437 هـ

يحظر نشر أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تقطيع وصف الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت،
أو إدخاله على الحاسوب أو بترجمته على إسطوانات مضغوطة إلا بموافقة خطية من الناشر.

الدار المتوسطية للنشر

العنوان: 5 شارع شطرنان 2073 برج الوزير أريانة - الجمهورية التونسية

الهاتف: 216 70 698 880

الفاكس: 216 70 698 633

الموقع الإلكتروني: www.mediterraneanpub.com

البريد الإلكتروني: medi.publishers@gnet.tn

الفايسبوك: متاح

الإهداء

فهرس المواضيع

مفاتيح الرموز

مقدمة

الفصل الأول : العلاقات التاريخية بين القبائل الحمودية ومحاولات التحييز الفرنسي

1 - العلاقات التاريخية بين القبائل الحمودية التونسية - الجزائرية

1 - خصائص المجال وعلاقة العروش الحمودية

2 - دور الاستعمار الفرنسي في تفتيت القبائل الجزائرية

II - المحاولات الفرنسية الأولى لتحديد المجال بعد احتلال الجزائر

1 - مركز الاستعمار وإثارة مسألة الحدود

2 - محاولات التحييز الفرنسي لضبط حدود المجال

3 - الشكالات ترسيم «الحدادة»

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية لقبائل الفرائشيش و «الغرابية»

1 - نمط عيش القبائل الحمودية

1 - العلاقات الاجتماعية

2 - دور الزوايا في حياة الفرائشيش و «الغرابية»

II - الحراك القبلي في المجال الحدودي

1 - الإغارة

أ - الإغارات الواقعة بين سنتي 1857 - 1861

ب - الإغارات الواقعة بين سنتي 1862 - 1881

2 - ظاهرة قطع الطرق والسرقة

أ - الإغارة على القوافل

الأهداء

إلى نساء ورجال تونس الأعماق
الذين قست عليهم الطبيعة...
ولم ينصفهم التاريخ

مفاتيح الرموز

أ.و.ت : الأرشيف الوطني التونسي.

(كذا) : بمعنى هكذا وردت اللفظة في الأصل وبقيت بدون إصلاح لما قد تدل عليه من معاني بصورتها تلك.

() : الكلمات الواردة بين قوسين أضفناها ربطاً للمعنى أو توضيحاً وتعريفاً لبعض الكلمات أو المصطلحات الواردة في النص.

هـ : يقصد بها التاريخ المحري.

ت : توقي.

A.O.M : Archives d'Outre-Mer

ب - السيرة

الفصل الثالث : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد التونسية خلال القرن 19

1 - الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

1 - الأوضاع الاقتصادية لقبائل الغراشيش وماجر

أ - النشاط الرعوي

ب - النشاط الزراعي

ج - النشاط الحرفي

د - التجارة

2 - جوانب من الحياة الاجتماعية

أ - القباس

ب - الزينة والمخالي

II - الأوضاع السياسية : تمرد «المخلي» على «المركزي»

1 - ثورة علي بن غداهم

2 - أثر انتفاضة 1864 على قبائل الوسط الغربي

3 - ما تهيته العروش الغربية من قبائل ماجر سنة 1281هـ / 1864

4 - التصدي للاستعمار الفرنسي

خاتمة

الملاحق والقرائط

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس القبائل والعروش والفرق

فهرس الزوايا والجوامع والطرق الصوفية

المصادر والمراجع

257

مقدمة

مثلت منطقة الوسط الغربي للبلاد التونسية ومنطقة تيسة بالشرق الجزائري للتاخنة لها منطقة تعمير قديمة، وقد عرفت الجهة خلال الفترة الرومانية إشعاعا حضاريا كبيرا لازالت الآثار شاهدة عليه من خلال المراكز الحضرية التي عرفتها الجهة مثل سيلبوم (القصرين) وأميدرا (حيدرة) وسفيظلة (سبيظلة) وتيسة (سيفاست)...

وقد تدعمت هذه المكانة الحضرية خلال الفترة البيزنطية، ومع الفتح الاسلامي لشمال المغرب اخذت المنطقة تسمية بلاد قنودة ثم أصبحت عاصمتها القيروان، وخلال هذه الحقبة دخلت المنطقة مرحلة القطيعة مع تاريخها الروماني حيث اختفت كل المعالم الحضرية للمنطقة وعمت البداوة منذ الزحف الهلالي الذي أعلن نهاية عصرها الذهبي، فتراجع هامها الجغرافي والسياسي والاقتصادي وانقسمت الجهة إلى فسيقساء من القبائل انعكس حراكها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على عروش المنطقة في علاقاتها مع بعضها ومع القبائل الكبرى المجاورة لمجالها الجغرافي حيث مثلت مسألة الصراع حول المجال خلال القرن التاسع عشر هاجسا كبيرا لدى قبائل الوسط الغربي وجيرانهم من قبائل «الغربة» كالتمامشة وأولاد سيدي يحيى بن طالب.

وبالتالي فقد لعب العامل الديمغرافي والاجتماعي والاقتصادي دورا هاما في حراك هذه البنية وساهم بشكل واضح في اضعاف العلاقات الدمية بين القبائل والعروش، وبات الدفاع عن وحدة المجال الحيوي للمجموعة القبلية الداعم لتربطها وتضامنها بمحذوف حمايته حيث أصبح يمثل الرابط المشترك لعناصر القبيلة، ويساهم في دعم التضامن بين العروش والفرق تحت غطاء ايدولوجي يمثل الانتماءات والعلاقات الدمية بين القبائل.

ومن خلال ذلك وجدت السلطة المركزية في تونس صعوبة كبيرة لبسط سيطرتها ونفوذها على المجتمع القبلي، ذلك أن دوائر النفوذ داخل القبيلة طالما حرصت على رفض التعاطي مع سلطة جديدة حاولت مزاحمتها أو حتى إزاحتها من مجالات نفوذها، وهكذا برزت القبيلة كرافضة لسلطة المركز وهو ما حتم على هذه الأخيرة العمل على تطوير القبيلة واحتوائها بشق الوسائل بما فيها الأدوات العنيفة وهو ما ولد حالة من التنافر وصلت حد الانتفاضات والثورات وباتت السمة الغالبة على العلاقة بين «المركزي» و «المحلي» هي الصراع والتوتر.

ونتيجة لذلك اعتمدت السلطة المركزية أدوات عديدة لتطويق الفاعلين المحليين لاسيما
وعند القبائل والعروش من أجل النفاذ إلى عمق المجتمع القبلي خاصة بعد أن عملت على
تقريب الصلحاء والمرابطين وذلك في إطار فعل سياسي يحاول احتواء المريدين وهو ما كان
يهدف من دور الصلحاء وتقلعهم في المجتمع، خاصة أن الصراع الدائم بين المجموعات القبلية
في منطقة الوسط الغربي كان يعطي أهمية بميزة للمجموعات المرابطية وهو ما يفسر تمركزها
في المواقع الحدودية للعروش في أغلب الأحيان، فوجود الزوايا في الأطراف الحدودية للقبائل
مثل الزاوية الصادقية بين الحمامة والفراشيش وماجرا، وزاوية سيدي ثليل بين الفراشيش
والنمامشة، وكذلك أيضا بالنسبة للعامل الاقتصادي حيث كانت الزوايا في أغلبها تحتل
المخارج الرئيسة للطرق التجارية العابرة للجهة وهو ما كثرس الحراك المتواصل للتركيب القبلية
في المنطقة وجعل من علاقات المجموعات بمجالها الجغرافي علاقات متحولة بقطعها في إطار
الصراع المتواصل من أجل احتلال هذا المجال أو ذاك حسبما تقتضيه المصلحة العامة للقبيلة
في واقع الأمر إن هذا البحث الذي يتناول الفترة الممتدة بين 1830 و 1881، يتدرج
في إطار البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لتونس ما قبل الاستعمار
وإنشاء بداية تغلغل الرأسمال الأوروبي في البلاد التونسية بعد احتلال الجزائر وهي مرحلة
شهدت عديد الصراعات القبلية بين التونسيين وجيرانهم من الغرابة، على طول الحدود
الغربية للبلاد التونسية بشكل عام والمنطقة الممتدة جنوب وادي سراط ومنطقة الوسط
الغربي بشكل خاص، في وقت بدأت فيه محاولات الاستعمار الفرنسي فرض سياس
تخيم على المجال الحدودي لقبائل الفراشيش مع جيرانهم من الغرابة، في ظل غياب
للسلطة المركزية.

وبالتالي فمن خلال هذا البحث حاولنا تسليط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ
قبائل الوسط الغربي الحدودية والتي لازالت في جزء منها محفوظة في الذاكرة الشعبية لبعض
عروش الوسط الغربي الحدودية حيث كان كبار السن من الشيوخ والعجائز يتداولون في
سياق الرواية الشفوية مجموعة من القصص والبطولات لـ [القبائل الفراشيش الحدودية وعلاقتها
بجيرانهم من قبائل الغرابة، أولاد سيدي يحيى من طالب والنمامشة، وما كان يتخللها من
صدامات حول ملكية الأرض وتعميد المجال وما كان يحجر عن ذلك من نزاعات كانت
تتخللها عمليات محب وإغارة من هذا الطرف أو ذاك، وبإني هذا البحث أيضا في إطار

لغرض الغبار عن تاريخ الجهة التي بقيت كما يشمر إلى ذلك الأستاذ محمد المهدي الشريف"
في طلي النسيان لاسيما ما يتعلق بتكوينها الداخلية وكيفية انتظامها وعلاقتها بالسلطة المركزية
وكذلك علاقتها المحلية بالقبائل المجاورة وما شابهها من نزاعات وتحالفات.
ونظرا لأن إبن الجهة فقد كنا نحال ونحن صغارا أن ما كان يزوي لنا كان مجرد روايات
شفوية تدخل في سياق الخرافة، بيد أن ذلك لم يكن مانعا للتأكد من خلال البحث في
الحراك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لقبائل الوسط الغربي ودورها في تحديد المجال
الطريق للإيالة التونسية وذلك من خلال دراسة قبائل الفراشيش كقبائل طرفية وعلاقتها
بالسلطة المركزية من جهة وبجيرانها من قبائل الغرابة، من جهة أخرى باعتبارهم قبائل
حدودية حافظت على مجالها الجغرافي-سياسي أمام تدخل القبائل الحدودية الجزائرية كالنمامشة
وأولاد سيدي يحيى بن طالب في ظل الاستعمار الفرنسي، بيد أن قبائل الغرابة المدعومة
من السلطات الاستعمارية طالما كانت مستفيدة من حالات انكفاء قبائل الفراشيش تحت
ضغط الازمات الاقتصادية والسياسية في ظل غياب شبه تام للسلطة المركزية في ضبطها
للحدود الغربية التي اقتضت على ترسيم 1628 الذي غل المناطق الشمالية الخصبة ولم
يتجاوز جنوب وادي سراط.

لقد كان اختياري لهذا البحث ناجعا مما ذكرته، وإضافة إلى ذلك فإنه من خلاله تناولنا
فترة تعد مهمة في تاريخ منطقة الوسط الغربي حيث امتازت بظرفية مغايرة لم تشهدها المنطقة
من قبل وقد تمثلت في المرحلة الفاصلة بين الاحتلال الفرنسي للجزائر والفترة الممتدة قبل
احتلال تونس، والتي تميزت ببداية التسرب الأوروبي المالي والبشري والاقتصادي إلى الإيالة
التونسية، وما شهدته الحدود الغربية من محاولات تخيم من طرف الفرنسيين في وقت شهدت
فيه الإيالة التونسية في عهد أحمد باي (تولى الحكم بتاريخ 10 أكتوبر 1837 حتى 30 ماي
1855) تدعورا اقتصاديا ضرب جميع مناحي الحياة اليومية وتدنت بموجبه الحياة الاقتصادية
للقبائل التونسية، خاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث توترت العلاقات
بين مختلف العروش، ما دفعها إلى التنازع على مصادر العيش الحدودية والمتفاوتة بين المناطق
حسب الظروف الطبيعية¹².

1 - Charif M. H. Les Mouvements Paysans Dans La Tunisie Du XIXème siècle, R.G.M.M., 1980, P.30.
2 - المجلد الثاني (مخطوطة) منطقة القصص والهجاسة في عهد محمد الصادق باي (1829 - 1882)، الطبعة الثانية
للطبعة والأشهر الشرقية تونس، فيفري 2004 من 277

ورغم الصورة السلبية التي ألصقت بالمجموعات القبلية عموما وبالفراشيش تحديدا حيث ركز الخطاب الرسمي للسلطات الاستعمارية الفرنسية والسلطة المركزية بتونس على مفاهيم الفساد والهرج والفرج، والخروج عن الطاعة، فإن المجموعات القبلية لطلما عوت بمعن عن خلاف ذلك من خلال تمسكها باتصالها للأرض والمركز وحتى الثورات التي اندلعت بأرض الفراشيش ولاحر سنوات 1795 و 1812 و 1864 لم تكن تهدف في الواقع إلى عداء السلطة والقطيعة النهائية مع المركز بقدر ما كانت تعبر عن حالات عجز وبأس أمام ضيم الجباية وسياسة التعزيم.

فما مدى انعكاس تلك التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشت على وقعها القبائل الحدودية بمنطقة الوسط العربي، وما مدى خطورة التدخل الفرنسي بالجزائر وتأثير ذلك على طبيعة وخصوصيات المجال للقبائل الحدودية التونسية - الجزائرية ؟

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على وثائق الأرشيف الوطني التونسي والتي حررت في أغلبها من طرف «المحاربة» قياد ومشايخ والتي ألما من خلالها بجميع مناحي الحياة اليومية للقبائل والعروش وعلاقاتها فيما بينها، وعبروا من خلالها عن صعوبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى الشكاوى والتقاير الواردة من العمالة الغريبة والتي كانت أغلبها في شكل شكاوى مقدمة للباي من السلطات الفرنسية في حق القبائل الحدودية وذلك من وجهة نظر استعمارية.

وبما لاشك فيه أن تنوع مواضيع هذه الوثائق (شكايات، اتفاقات، أوضاع مالية واقتصادية ودينية...) كانت لنا نافذة للإطلاقة من خلالها على الإرث الحضاري والتاريخي للقبائل الوسط العربي بشكل خاص والقبائل التونسية بشكل عام، بيد أن هذه الوثائق ورغم طابعها الإداري الرسمي، وشح معلوماتها وما شابهها من قلة المعطيات التاريخية الدقيقة وسطحيها، فإنها شكلت شهادة معبرة عن الأوضاع الداخلية للقبائل وما شابهها من تداخلات اجتماعية واقتصادية وسياسية في وقت كانت فيه سلطات «البايليك» تعمل على إخضاعها.

في الواقع لا تزال مسألة تشكيل الدولة في الفضاء العربي أحد المواضيع الجوهرية لدى الباحثين، حيث أن جل الدراسات التي تناولت مسألة الدولة العربية في تاريخها القريب أو في ماضيها البعيد غالبا ما تستثي الاقليم الترابي (Etat-Territorial)¹ رغم أنه يشكل أحد

1 - Sourati B. - «L'espace de la Dawia dans le Monde arabe moderne» in Maghreb-machrek espace et société dans le monde arabe n°123 janvier-juin-mars 1989 pp71-80

الأبعاد المؤسسة لها. أما الكيانات المغاربية فقد ظلت حتى دعول الاستعمار تقومها للدولة التقليدية التي كانت سادتها على مجالها الترابي ضعيفة لا تتعدى مجال تحريك قبائل مرتحلة في معظمها تحكم السلطة المركزية فيها بحدود للغاية، لذلك نجد أن جل المصادر المحلية لا تقدم مصطلحا معينا للمجال، بل مجموعة من المفردات الدالة في مجملها على المجال مثل الوطن²، وطن الفراشيش³، أرضنا⁴، تراب عمالتنا⁵، تراب مولانا أو تراب سيدنا⁶....

ويمكن القول أن مفهوم المجال يستند على ترابط وتفاعل عنصرين أساسيين هما الأرض والإنسان، ولا ينحصر في الفضاء الجغرافي كإطار مادي يعيش عليه البشر وعليه تنعكس ألسطتهم، بل ينحصر في حدود واضحة تقصي كل أشكال التداخل وهو ما يعطي سلطة وفكرة التحيز للمصاحبة التي تعمل بدورها على تحقيق سيطرة فعلية ومستندة على فضائها ومجانبته من الأخطار الخارجية.

ورغم ما عرفته الحدود العربية للبلاد التونسية مع الجزائر من توترات متتالية منذ أواخر القرن السادس عشر، بذكر المواجهات بين بايات تونس وبايات الجزائر أسفرت عن صياغة اتفاقية تضبط الحد بين ولاية الجزائر وولاية للمملكة التونسية بتاريخ 4 ذي القعدة الحرام من عام 1037 هـ / (5 جويلية 1628) حيث اتفقوا على أن الخط الفاصل بين الاليتين وادي سراط... وأن الحد من ناحية القبلة وادي ملاقي والاحيرش وقلوب الثوان إلى رأس جبل الحفا إلى البحر وكما اتفقوا على أن من دخل من التونسيين إلى عمالة الجزائر وحل غرب وادي سراط يكون عراجحه إلى قسنطينة ومن دخل من الجزائريين إلى العمالة التونسية واجتار الوادي المذكور وكان شرقه فحراجحه لها ولا يطالبه أهل الجزائر بشيء⁷.

وبالتالي فإن هذه الاتفاقية لم تشمل ترسيم الحدود جنوب وادي سراط حيث بقيت منطقة الوسط الغربي - التي مثلت خلال الفترة الحديثة مجال توطون لمجموعات قبلية كبرى،

1 - الأرشيف الوطني التونسي، أوت، المجلدات التاريخية، صندوق 212 ملف 232 الوثيقة عدد 1، مكتب صادر عن أحمد باشا باي أمير الأقاليم التونسية إلى مشد باشا قسنطينة جنرال دولة الفرنسيين بتونس بتاريخ 21 جمادى الثانية 1258 هـ / 1842 -

2 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 99

3 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 3 رسالة من لشير محمد باشا باي إلى الجنرال الفرنسي مصمم بتونس بتاريخ قعدة الحرام الثاني القعدة سنة 1275 هـ / 1858 -

4 - المصدر نفسه والوثيقة نفسها

5 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 4

6 - المصدر نفسه المجلدات التاريخية، صندوق عدد 212 ملف 229 الوثيقة عدد 24

جعلت الإدارة المركزية تطلق عليها تسمية «بلاد العروش الكبار» وهي مجموعات القراشيش وماجر - ومنطقة الجنوب الغربي دون حدود واضحة للعالم ومتفق عليها بين الأمازيغ، حيث بقيت قبائل القراشيش والقبائل المهاجرة تحالفا الجغرافي كالمهامة وقبائل الغرابة، (أولاد يحيى بن طائب والمهامة أو المهامة وأولاد سيدي غنبد) في تواصل وتداخل بحكم خصوصيات الواقع الاقتصادي والاجتماعي للقبائل النخومية ولقد انعكس هذا التنوع القبلي بدوره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعروش في علاقتها مع بعضها أو مع القبائل الأخرى المهاجرة.

إن الحد الفاصل لمجال القراشيش بجزائهم من الغرابة، عرف عدة تموجات على أطرافه خاصة الغربية منها عبر الفترات التاريخية المختلفة، فالحد الفاصل بين القراشيش والمهامة ظل دون تحديد رسمي طيلة القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو ما تؤكد بعض الشهادات على أن مقاطعة قسنطينة الحالية كانت تابعة للبلاد التونسية¹، ولم توجد إطلاقا حدود واضحة بين تونس وقسنطينة²، كما أن مفهوم المحواجز العازلة لم يكن مطروحا بين المجموعات التونسية والجزائرية، فالقراشيش كانوا يحرثون الأرض بالمشاركة مع المهامة بأكارية وبمر العاتر جنوب نيسة الذي كان تابعا للبلاد التونسية³.

وبالتالي يمكن القول أن مجال القراشيش ولئن تميز بخصوصيات طبيعية وبشرية عن غيره من المجالات، فإن العامل الاجتماعي والديمقراطي بدوره قد لعب دورا بارزا في حياة القبيلة وهو ما ساهم في بروز العامل الاقتصادي كمحدد للعلاقات داخل القبيلة في إطار تحالفا الحيوي وفي علاقتها مع جيرانها، وقد كان لهذه العلاقة الديناميكية بالمجال انعكاساتها على علاقات المجموعات القبلية بقضاها والتي كانت ذات بعد رمزي ووجداني في بعدها - المادي والرمزي - أي أن تطوير جس الانتماء الى الجماعة أو القبيلة يتجاوز الانتماء المحلي الضيق ويخلق الاحساس بالهوية الاقليمية⁴، بين المجموعات الحائرة له من جهة ومجال توترات

1 - التاريخ الأمازيغي لقبائل ماجر والقراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والوطني منشورات كلية الآداب والفنون والاساتيك متونة 2007 ط 2 ص 35

2 - لارج نفسه، والصلحة لمعها

3 - لارج نفسه، والصنعة نفسها.

4 - بن سليمان المصطفى، الأرض والهوية: نشوء الدولة القبلية في تونس (1574 - 1881)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2009، ص 6.

ومصراع فيما بينها في نفس الوقت، وهو ما جعل الحدود اتحالية لهذه المجموعات القبلية تتميز بعدم استقرارها حسب تغير موازين القوى الديمغرافية والاقتصادية وهو ما يفسر تواتر ظاهرة الإغارة أو الغيرة، حسب التعبير المحلي والنهب بين القبائل التي تتوجه عادة ضد مناطق الاستقرار والمناشير والزوايا الموجودة على التحوم بين هذه المجموعات، كما تستهدف الإغارة القوافل العابرة لهذا المجال القبلي أو ذاك وهو ما يكشف إما حاجة المجموعات المغيرة الى الغذاء أو أن جانباً من هذه الغارات يأتي في سياق ردات الفعل الانتقامية بين القبائل، أما بالنسبة للمعاشي فيقع بيعها أو إحتفاظها للحصول على البشارة⁵، في ظل تنامي ظاهرة رفض سلطة الدولة والتمرد عليها.

ومع بروز فاعل جديد في المنطقة، أي الاستعمار الفرنسي الذي حل في الجزائر حاملا معه نموذجاً جديداً من التصور للمراقبة القبلية هو نموذج الدولة القومية الترابية⁶، فقد مثل الوضع الاجتماعي والسياسي الخاص ببلدان شمال أفريقيا تحدياً كبيراً وصعوبات حمة لتطبيق مفهومه التقليدي للحدود كمثال جغرافي لا يأخذ في الاعتبار خصوصيات الواقع الاقتصادي والاجتماعي للمناطق النخومية⁷، فما هو الدور الذي لعبه الاستعمار الفرنسي من أجل تفكيك المجتمع القبلي الجزائري؟ وما مدى انعكاس ذلك على المجال الترابي للقبائل الجزائرية النخومية مع قبائل القراشيش؟ وهل كان ذلك بمثابة تحييز استعماري لجزء من الأراضي التونسية بالاستقواء على قبائل القراشيش في ظل غياب شبه كامل للسلطة المركزية؟

5 - البشارة: مقدار مالي معين يرصد لمن يعيد منهوياً أو مبلغ عن مكان وجوده

1 - Boraali-kara (N) «Quelques réflexions a propos de la théorie de la frontière et de son application en Afrique et au Maghreb» in espaces maghrébins: pratique et enjeux, actes du colloque du taghit 23-26 Novembre 1987.

2 - المشيشي إيتزا، ضبط الحدود التونسية الجزائرية بين (1881 و 1962): دلائل التحيز الفرنسي بحث رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس تونس 2008 - 2009، ص 8

الفصل الأول

العلاقات التاريخية بين القبائل
الحدودية ومحاولات التحيز الفرنسي

١ - العلاقة التاريخية بين القبائل الحدودية التونسية - الجزائرية

١ - خصائص المجال وعلاقة العروش الحدودية

تحتل قبيلة الفراشيش موقعا جغرافيا مميزا لاعتبارات جغرافية وسياسية وبشرية، فهي من أكبر القبائل في منطقة السباسب العليا، حيث يقدر عددها أثناء النصف الثاني للقرن 19 حسب قنايات ما بين 40000 و 45000^١، ونظرا لتمييز المجال الجغرافي لمنطقة الوسط الغربي بوعورة تضاريسه حيث تغلب عليه المرتفعات كجبال الظهرة التي تتوسط مجال الفراشيش كالشعاني وممامة وبرينو والأحرار حول بحيرة فوسانة وآالة، وشقطة ونيوشة ومغيلة من مجال ماجر، وتتوزع بهذا المجال فرق أولاد علي وأولاد ناجي من الفراشيش والقواد وشقطة من ماجر^٢.

كما يمتد مجال الفراشيش وماجر من الحدود الغربية من جبال بونعجة والصري بغيردة شمالا حتى جبل دربابة حول قريانة وجبل السلوم جنوب القصيرين ليمتد باتجاه الشمال الشرقي مثل جبل السراقية وجبل العطراء وجبل مغيلة وصولا إلى حنمة وحاجب العيون شرقا ليلاصق قضاء عروش الممامة وحلاص مجال عروش أولاد وراز من الفراشيش وأولاد مهنى من ماجر^٣، حيث تتخلل هذه المرتفعات الكثير من السهول وهي عبارة عن أحواض انخسافية تجمع المياه السائلة والتي تكثر فيها نبتة الخفاء، والمناطق الزراعية التي تحمل تسميات مختلفة مثل «الفيضة»، «الغالة»، «القرعة»، «البحاير»^٤، لانبساطها وامتنادها الجبالي مثل بحيرة فوسانة من مجال الفراشيش وبرماجة بأرض القواد والروحية وسبيية بأرض شقطة وأولاد مهنى من ماجر^٥.

وبين من خلال التضاريس واتجاه الجبال التي تتخللها بعض الفحوات مثل «حنقة» بولعابة بين سهيل القصيرين وسهل فوسانة و«حنقة» السلوقي بين فوسانة وسهل أفران و«حنقة» الجازية

1 - Ganiage (J) : la population de la tunisie vers 1860 : Essai d'évaluation d'après les registres fiscaux de population : NS : Paris 1984 P165.

2 - للمرجع الأخرى: مرجع سابق ص 45.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - التيموني الهادي، التفاضات الفلاحية في تاريخ تونس المعاصر مثال 1906، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة قرطاج 1993، ص 14.

5 - للمرجع السابق ص 45.

جنوب شرق سيطلة... أن اتصال الجهة بالشرف حاصلة بالساحل البحر منه باتجاه الشمال والغرب ولكن هذا لا ينفي أهمية حركة التنقل بين الجنوب والشمال والغرب حيث ظلنا كان بحال الفراشيش طرفا لعمور التوافق نحو الشمال والجنوب أو بين الشرق والغرب.

أما بالنسبة للمجاري المائية فهي لا تعد ذات أهمية كبرى، حيث تقتصر في بعض ووادئ الأودية والتي غالباً ما يكون فيضها موسمياً مثل وادي الحطاب الذي يشق سهل فوسانة ووادي درب ووادي أم القصات ووادي اللبن الخ، كذلك الأمر بالنسبة لتنوع التربة بحجالي الفراشش فهي تربة خفيفة يعرف منها السكان نوعين (الحجري) للتربة الحمراء و(العشيم) للتربة الرملية^(١)، وهي تربة صالحة للزراعات إضافة إلى التربة الثقيلة مثل التربة الطينية أما أحود أنواع التربة في الجهة فهي تربة «الفرعة» أو «الفانق»^(٢) وهي عبارة عن تربة رسوبية فضية توجد عادة على أطراف الأودية أو قرب مصبات المياه، أما في اتجاه الجنوب فتوجد التربة الكلسية وكذلك الملحبة.

هذا النوع في التربة إضافة الى ارتفاع الموقع. أثر بدوره على كثافة الغطاء النباتي بحال الفراشيش وماجر حيث يغطي الصنوبر الحليبي الجبال ثم في المستوى الثاني للغطاء النباتي تنشر الشجيرات الصغيرة مثل العرعار والبطوم والزهر... كما تنمو في أسفل هذا الغطاء نباتات الكليل والحلفاء التي تحتل مساحات شاسعة خاصة بمناطق فريانة وسيطة وحاسي الفريد وحلما كما تنشر نبتة القطف والسارة حول المستنقعات وفي المناطق ذات التربة المالحة، إضافة الى نباتات الشيح والدقفت والحرميل.. وهو ما أدى الى ظهور بعض الانشطة الحرفية لدى قبائل الفراشيش وماجر كاستخراج القطران والدباغ وزيت الكليل والفحم من الاشجار الجبلية وصناعة السجاد والخصر والزنايل والأوعية من نباتات الحلفاء فصد استعمالها في نشاط حياتهم اليومية، كما مثل هذا الغطاء النباتي المتنوع في حال انعراشيش وماجر مناطق رعوية هامة لقبائل تعتمد اقتصاديا على تربية الماشية.

أما على الصعيد المناخي فتعد منطقة المسابب العليا الغربية منطقة انتقالية بين منطقة النمل الرطبة والجنوب الصحراوي، حيث تتميز بمناخ ذي طابع قاري شتائه قارس وكثير الثلوج

Thèse 3 à Cycle, Université De Nice 1074-75, p.65

² - Monchicourt (Ch) - « La Steppe Tunisienne Chez Les Frachichs Et Les Majours » In Bulletin De Direction Des Affaires Economiques, Tunisie 1906, p.52

وسيله حار هب فيه رياح الشهباء الساحية كما ان أمطاره شحيحة وغير منتظمة وهو
ما يجعل النشاط الفلاحي مرتبطا بنزول الأمطار بحيث لا يفصل الناس على حياة حيوي
مزرعية أو جيدة إلاكل أربع أو خمس سنوات في أحسن الحالات؛ إذ ظلنا نوالث سنوات
للحاصل نتيجة الزمة⁽¹⁾

وكنهجة لحالة المنطقة الجغرافية والمناخية فقد تأثر نمط عيش عروش الفراهسيين¹¹ ولاحقاً¹² في منطقة السياب العليا بينة بتألمهم حيث تميز في الغالب بالازدواجية إذ جمع بين الاستقرار والترحال الجزئي والذي غالباً ما يكون جيفاً وشتاءً¹³، وذلك لجمعهم بين النشاط الزراعي والنشاط الرعوي، وفي الفترات والسعيدة، لا تغادر القبائل المواطن التي حطت فيها الرحال إلا في السنوات الممطرة، لكنها لا تلبث أن تعود إليها عندما تتحسن كما الظروف المناخية، وقد استطاعت عرابة المديني يدور هام في ربط القبائل بالأرض وقد ازدهرت هذه السنة أيضاً وها هي في الوسط التونسي¹⁴.

بالركب سكان المنطقة من فسيحاء من القبائل تربطهم علاقات دموية ليس لها أساس
الزمني، ولئن توحي تقسيمات العروش نوع من التوازن في البنية القبلية للعرش، فإن الوزن

١٥٠

التي لا يوليه الاهتمام من ثلاث برامج المرموعة مصطلح ذو بؤبؤ حيائي يبرز إلى القسط والفلس يستعمل
المرادف الغرض كإحدى التسميات الكبرى للبيئة وهم أولاد وأزواج وأولاد ناسي، ويضيق كل من هذا
المرادف من الغرض إلى الغرض الأول وأثر يتكون من ذلك وفي أولاد عسكر الزيادة المقصودة القليلة العاصلة لأولاد
أولاد، والقائمة المتزايدة أولاد عمن من شعورهم أيضا أولاد على فوسفور وفي الغرض الأولاد عمن من شعورهم
التي أولاد زبد أولاد عمن الوباء في أولاد محمد والمرونة في من يكون غرض أولاد ناسي من لا فرق وفي
المرادف الحياء الحارمة الحارمة أولاد عمن أولاد العصال أولاد عمن من ناسي، المركبات أولاد عمن والعصايات

Nomenclature Et Répartition Des Tribus De Tunisie : Châlons-Sur-Saône, Imprimerie Française Et Orléans
Bersand : 1950 P246 - 250

[illegible][illegible]

الجامعة في الهنداء: الإستعمار الرأسمالي والشركات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية. القاموس
للإحصاء في الأرقام التوسعية (1943 - 1945). دار محمد علي الحاصي. كلية العلوم الإنسانية والأقتصادية
الجامعة، 1999. ج 1، ص 120

الدغبراني لمحة العروش يتباين حيث يمثل عرش أولاد واز أهمها جغرافيا، ولقد قدم الرحالة الأوروپيون لوزج السكان على الحال الجغرافي لدى القراشيش وكأنه توزيع حامد، ففي وصفه للاقتصاد الجغرافي لجموعيات القراشيش وذكر الرحالة بيليسي (Pélissier) ما يلي : أما القراشيش فلا نستقيم إلا بأحد عروشها وهم ثلاثة في هذا الوقت، فأولاد ناجي يقيمون على خفاف وادي الحطب وادي التدرب، أما العرشان الآخران أولاد علي وأولاد واز فيسترون على الحدود الجزائرية.¹، كما تستقر بمنطقة بعض المجموعات المرابطية مثل أولاد سيدي نليل، والتي تعيد أصل انتمائها إلى جدنا سيدي نليل شيخ مرابطي قدم للمنطقة من جبل سيدي عبيد في الجزائر، ويؤكدون أصلهم العربي بالتصاهر للحليفة الثالث عثمان بن عفان، إضافة إلى بعض المجموعات الطليش التي تعرف بالبرانية، ويتألفون من ثلاث فرق هم : أولاد سعد، المرامسة، والعحالة.²

أما بالنسبة لقبائل ماجر فإن موطنها يتخذ من حاجب العيون إلى وادي الفككة، كما ذكر بيليسي³، ويقيمون إلى ثلاثة عروش وهم : أولاد مهني وهم مستقرون على خفاف وادي حلس، والمواد فيقطنون جبال مغيلة، أما بالنسبة لعروش شقطة فيقطنون في الغرب باتجاه سية.⁴

ويتظم سكان السباسب العليا الغربية في شكل وحدات قليلة تنقسم إلى برادع وكل برادعة تنقسم إلى مجموعة من العروش ويتكون كل عرش من مجموعة من الفرق وتحتار كل فرقة إلى مجموعة من الدواوير، والدواوير إلى مجموعة من البيوت أو الأسر الأبوية التي تمثل وحدة الإنتاج الأساسية والتي يهدفها إعادة إنتاج التاج التواصل البشري للمجموعة تحت إشراف كبيرها.⁵

1 - السعداوي، محمد فوزي، القصة الأولى للقبائل في الأوساط القبلية من جبال قبائل السباسب العليا الغربية (1986 - 1987)، أماطية - كشتوار، نشر منشورة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بونس، 2002، ص 42.

2 - التليسي، محمد الشيوخ أحمد التليسي، حقيقة لدمه وأصله شجرة الكفاية في البحث (الحد الغربية لونس 1987 - 1988).

3 - السعداوي، محمد فوزي، مشايخ العروش في منطقة السباسب العليا الغربية (القراشيش ماجر، أولاد ليلي) 1988 - 1991، شجرة الكفاية في البحث كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بونس، 1992، ص 24.

4 - السعداوي، محمد فوزي، السباسب العليا الغربية (الحد الغربية بالبلد التونسية) 1981 - 1986، أطروحة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بونس، 2001 - 2002، ص 111.

5 - المرجع نفسه، الصفحة 24.

6 - عبد الباق الصبيح، الملكية والأسرة عند بعض القبائل التونسية في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، تونس، 1981، ص 121/122.

أما بالنسبة للجهة الغربية لجبال القراشيش، فإن الحال الجغرافي لقبائل الغراية، يتخذ من وادي ملاق شمالا حتى إقليم الشطوط والصحراء جنوبا حيث تتخلله سلسلة جبال الأطلس (جبل السامسة) كجبال قرفور وبورمان والدخان وتونكة ويلاص في جزء هام منه منطقة السباسب العليا للبلاد التونسية بواسطة جبل تمسيدة (1234م) والذي يرتفع باتجاه الشمال الشرقي ليكون جبل الشعاني (1544م)، وبالتالي فإن جبال الغراية، يلاص الحدود الغربية لفضاء القراشيش وكذلك فضاء أولاد بوغام بقلة سنان شمالا وفضاء الحمامة بمنطقة الجريد جنوبا، حيث يستقر أولاد سيدي يحيى بن طائب شمال مدينة تيسة في منطقة ونزة والبرج وعين الزرقاء في حين تستقر جنوب مدينة تيسة قبائل العلالوة والسامسة والبراشة، إضافة إلى قبائل أولاد سيدي عبيد.⁶

ونظرا لشساعة الحال فإن ملكية الأراضي مشاعة بين القبائل أي ذات ملكية جماعية⁷، ويجمع هذا الحال بين نظامين طبيعيين مختلفين، فالمضارب العليا في الشمال تتكون من مجموعة سهول شاسعة، تتخللها سلاسل جبلية مرتفعة تغطيها الغابات الكثيفة، مثل جبال الدهر والدخان وجبال تونكة الواقعة جنوب تيسة⁸، وتعد الأراضي الواقعة شمال مدينة تيسة أكثر خصوبة حيث تستعمل عادة لزراعة الحبوب⁹.

أما الحال الواقع جنوب مدينة تيسة، فهو مجال شامع ويشير بمناخ الصحراوي ويضم بالخصوص المراعي الشتوية، ويشمل الأراضي المشبعة جنوب حفاف الوسة وبحيرة الأرنب وجر العائر، وينتهي بواحات تقريين وقركان وسط الجريد ووادي سوف في اتجاه الجنوب¹⁰، ويطلق الغراية على المناطق التي تتوفر بها الماء مصطلحات محلية متعددة مثل والعقلة والبحيرة، والشككة، وهي مناطق يمكن تعاطي النشاط الزراعي بها¹¹.

1 - Benhima Yassir Et Pierre Guichard, « de la tribu à la ville : un essai d'approche « régressive » de l'état du peuplement de la région de tébessa », la Revue du monde musulman et de la Méditerranée, 20 Novembre 2009.

2 - Ibid : Op.cit

3 - للمصري الأزهري، القبيلة التونسية والإستعمار : أولاد سيدي عبيد والإستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس (1986 - 1990)، ص 119، ص 120، ص 121، ص 122، ص 123، ص 124، ص 125، ص 126، ص 127، ص 128، ص 129، ص 130، ص 131، ص 132، ص 133، ص 134، ص 135، ص 136، ص 137، ص 138، ص 139، ص 140، ص 141، ص 142، ص 143، ص 144، ص 145، ص 146، ص 147، ص 148، ص 149، ص 150، ص 151، ص 152، ص 153، ص 154، ص 155، ص 156، ص 157، ص 158، ص 159، ص 160، ص 161، ص 162، ص 163، ص 164، ص 165، ص 166، ص 167، ص 168، ص 169، ص 170، ص 171، ص 172، ص 173، ص 174، ص 175، ص 176، ص 177، ص 178، ص 179، ص 180، ص 181، ص 182، ص 183، ص 184، ص 185، ص 186، ص 187، ص 188، ص 189، ص 190، ص 191، ص 192، ص 193، ص 194، ص 195، ص 196، ص 197، ص 198، ص 199، ص 200، ص 201، ص 202، ص 203، ص 204، ص 205، ص 206، ص 207، ص 208، ص 209، ص 210، ص 211، ص 212، ص 213، ص 214، ص 215، ص 216، ص 217، ص 218، ص 219، ص 220، ص 221، ص 222، ص 223، ص 224، ص 225، ص 226، ص 227، ص 228، ص 229، ص 230، ص 231، ص 232، ص 233، ص 234، ص 235، ص 236، ص 237، ص 238، ص 239، ص 240، ص 241، ص 242، ص 243، ص 244، ص 245، ص 246، ص 247، ص 248، ص 249، ص 250، ص 251، ص 252، ص 253، ص 254، ص 255، ص 256، ص 257، ص 258، ص 259، ص 260، ص 261، ص 262، ص 263، ص 264، ص 265، ص 266، ص 267، ص 268، ص 269، ص 270، ص 271، ص 272، ص 273، ص 274، ص 275، ص 276، ص 277، ص 278، ص 279، ص 280، ص 281، ص 282، ص 283، ص 284، ص 285، ص 286، ص 287، ص 288، ص 289، ص 290، ص 291، ص 292، ص 293، ص 294، ص 295، ص 296، ص 297، ص 298، ص 299، ص 300، ص 301، ص 302، ص 303، ص 304، ص 305، ص 306، ص 307، ص 308، ص 309، ص 310، ص 311، ص 312، ص 313، ص 314، ص 315، ص 316، ص 317، ص 318، ص 319، ص 320، ص 321، ص 322، ص 323، ص 324، ص 325، ص 326، ص 327، ص 328، ص 329، ص 330، ص 331، ص 332، ص 333، ص 334، ص 335، ص 336، ص 337، ص 338، ص 339، ص 340، ص 341، ص 342، ص 343، ص 344، ص 345، ص 346، ص 347، ص 348، ص 349، ص 350، ص 351، ص 352، ص 353، ص 354، ص 355، ص 356، ص 357، ص 358، ص 359، ص 360، ص 361، ص 362، ص 363، ص 364، ص 365، ص 366، ص 367، ص 368، ص 369، ص 370، ص 371، ص 372، ص 373، ص 374، ص 375، ص 376، ص 377، ص 378، ص 379، ص 380، ص 381، ص 382، ص 383، ص 384، ص 385، ص 386، ص 387، ص 388، ص 389، ص 390، ص 391، ص 392، ص 393، ص 394، ص 395، ص 396، ص 397، ص 398، ص 399، ص 400، ص 401، ص 402، ص 403، ص 404، ص 405، ص 406، ص 407، ص 408، ص 409، ص 410، ص 411، ص 412، ص 413، ص 414، ص 415، ص 416، ص 417، ص 418، ص 419، ص 420، ص 421، ص 422، ص 423، ص 424، ص 425، ص 426، ص 427، ص 428، ص 429، ص 430، ص 431، ص 432، ص 433، ص 434، ص 435، ص 436، ص 437، ص 438، ص 439، ص 440، ص 441، ص 442، ص 443، ص 444، ص 445، ص 446، ص 447، ص 448، ص 449، ص 450، ص 451، ص 452، ص 453، ص 454، ص 455، ص 456، ص 457، ص 458، ص 459، ص 460، ص 461، ص 462، ص 463، ص 464، ص 465، ص 466، ص 467، ص 468، ص 469، ص 470، ص 471، ص 472، ص 473، ص 474، ص 475، ص 476، ص 477، ص 478، ص 479، ص 480، ص 481، ص 482، ص 483، ص 484، ص 485، ص 486، ص 487، ص 488، ص 489، ص 490، ص 491، ص 492، ص 493، ص 494، ص 495، ص 496، ص 497، ص 498، ص 499، ص 500، ص 501، ص 502، ص 503، ص 504، ص 505، ص 506، ص 507، ص 508، ص 509، ص 510، ص 511، ص 512، ص 513، ص 514، ص 515، ص 516، ص 517، ص 518، ص 519، ص 520، ص 521، ص 522، ص 523، ص 524، ص 525، ص 526، ص 527، ص 528، ص 529، ص 530، ص 531، ص 532، ص 533، ص 534، ص 535، ص 536، ص 537، ص 538، ص 539، ص 540، ص 541، ص 542، ص 543، ص 544، ص 545، ص 546، ص 547، ص 548، ص 549، ص 550، ص 551، ص 552، ص 553، ص 554، ص 555، ص 556، ص 557، ص 558، ص 559، ص 560، ص 561، ص 562، ص 563، ص 564، ص 565، ص 566، ص 567، ص 568، ص 569، ص 570، ص 571، ص 572، ص 573، ص 574، ص 575، ص 576، ص 577، ص 578، ص 579، ص 580، ص 581، ص 582، ص 583، ص 584، ص 585، ص 586، ص 587، ص 588، ص 589، ص 590، ص 591، ص 592، ص 593، ص 594، ص 595، ص 596، ص 597، ص 598، ص 599، ص 600، ص 601، ص 602، ص 603، ص 604، ص 605، ص 606، ص 607، ص 608، ص 609، ص 610، ص 611، ص 612، ص 613، ص 614، ص 615، ص 616، ص 617، ص 618، ص 619، ص 620، ص 621، ص 622، ص 623، ص 624، ص 625، ص 626، ص 627، ص 628، ص 629، ص 630، ص 631، ص 632، ص 633، ص 634، ص 635، ص 636، ص 637، ص 638، ص 639، ص 640، ص 641، ص 642، ص 643، ص 644، ص 645، ص 646، ص 647، ص 648، ص 649، ص 650، ص 651، ص 652، ص 653، ص 654، ص 655، ص 656، ص 657، ص 658، ص 659، ص 660، ص 661، ص 662، ص 663، ص 664، ص 665، ص 666، ص 667، ص 668، ص 669، ص 670، ص 671، ص 672، ص 673، ص 674، ص 675، ص 676، ص 677، ص 678، ص 679، ص 680، ص 681، ص 682، ص 683، ص 684، ص 685، ص 686، ص 687، ص 688، ص 689، ص 690، ص 691، ص 692، ص 693، ص 694، ص 695، ص 696، ص 697، ص 698، ص 699، ص 700، ص 701، ص 702، ص 703، ص 704، ص 705، ص 706، ص 707، ص 708، ص 709، ص 710، ص 711، ص 712، ص 713، ص 714، ص 715، ص 716، ص 717، ص 718، ص 719، ص 720، ص 721، ص 722، ص 723، ص 724، ص 725، ص 726، ص 727، ص 728، ص 729، ص 730، ص 731، ص 732، ص 733، ص 734، ص 735، ص 736، ص 737، ص 738، ص 739، ص 740، ص 741، ص 742، ص 743، ص 744، ص 745، ص 746، ص 747، ص 748، ص 749، ص 750، ص 751، ص 752، ص 753، ص 754، ص 755، ص 756، ص 757، ص 758، ص 759، ص 760، ص 761، ص 762، ص 763، ص 764، ص 765، ص 766، ص 767، ص 768، ص 769، ص 770، ص 771، ص 772، ص 773، ص 774، ص 775، ص 776، ص 777، ص 778، ص 779، ص 780، ص 781، ص 782، ص 783، ص 784، ص 785، ص 786، ص 787، ص 788، ص 789، ص 790، ص 791، ص 792، ص 793، ص 794، ص 795، ص 796، ص 797، ص 798، ص 799، ص 800، ص 801، ص 802، ص 803، ص 804، ص 805، ص 806، ص 807، ص 808، ص 809، ص 810، ص 811، ص 812، ص 813، ص 814، ص 815، ص 816، ص 817، ص 818، ص 819، ص 820، ص 821، ص 822، ص 823، ص 824، ص 825، ص 826، ص 827، ص 828، ص 829، ص 830، ص 831، ص 832، ص 833، ص 834، ص 835، ص 836، ص 837، ص 838، ص 839، ص 840، ص 841، ص 842، ص 843، ص 844، ص 845، ص 846، ص 847، ص 848، ص 849، ص 850، ص 851، ص 852، ص 853، ص 854، ص 855، ص 856، ص 857، ص 858، ص 859، ص 860، ص 861، ص 862، ص 863، ص 864، ص 865، ص 866، ص 867، ص 868، ص 869، ص 870، ص 871، ص 872، ص 873، ص 874، ص 875، ص 876، ص 877، ص 878، ص 879، ص 880، ص 881، ص 882، ص 883، ص 884، ص 885، ص 886، ص 887، ص 888، ص 889، ص 890، ص 891، ص 892، ص 893، ص 894، ص 895، ص 896، ص 897، ص 898، ص 899، ص 900، ص 901، ص 902، ص 903، ص 904، ص 905، ص 906، ص 907، ص 908، ص 909، ص 910، ص 911، ص 912، ص 913، ص 914، ص 915، ص 916، ص 917، ص 918، ص 919، ص 920، ص 921، ص 922، ص 923، ص 924، ص 925، ص 926، ص 927، ص 928، ص 929، ص 930، ص 931، ص 932، ص 933، ص 934، ص 935، ص 936، ص 937، ص 938، ص 939، ص 940، ص 941، ص 942، ص 943، ص 944، ص 945، ص 946، ص 947، ص 948، ص 949، ص 950، ص 951، ص 952، ص 953، ص 954، ص 955، ص 956، ص 957، ص 958، ص 959، ص 960، ص 961، ص 962، ص 963، ص 964، ص 965، ص 966، ص 967، ص 968، ص 969، ص 970، ص 971، ص 972، ص 973، ص 974، ص 975، ص 976، ص 977، ص 978، ص 979، ص 980، ص 981، ص 982، ص 983، ص 984، ص 985، ص 986، ص 987، ص 988، ص 989، ص 990، ص 991، ص 992، ص 993، ص 994، ص 995، ص 996، ص 997، ص 998، ص 999، ص 1000.

4 - Benhima Yassir Et Pierre Guichard : Op.cit

5 - للمصري الأزهري، القبيلة التونسية والإستعمار : مرجع سابق، ص 20.

6 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بغوره فقد تمز عيش قبائل الغرارة أسوة بجزائريهم من القبائل التونسية بالازدواجية
اذ جمع بين الاستقرار والترحال الجزئي والذي غالبا ما يكون صيفا وشتاء وذلك بجمعهم بين
النشاط الزراعي والرعي¹. بيد أن هذا المجال عرف بعد سنة 1830، نوعا من التفكك في
تمط العيش نتيجة فصل المستعمر لمنطقة المضارب العليا عن المجال الصحراوي، الذي أضرب
بغلاقة التكامل التي كانت قائمة بين هاتين المنطقتين الطبيعيين².

ولئن عرفت القبائل النخومية، الفراشيش بالوسط الغربي للبلاد التونسية وقبائل أولاد
سيدي يحيى بن طالب بالشرق الجزائري حالة من التقارب نتجت عنها في كثير من الأحيان
حالات تصاهر وقرابة دموية بين العروش³، فإن ذلك لا يعني بالضرورة سكونية هذه البنية
القبيلة أو جمودها، بل أن بنية القبيلة تظل مرتبطة بمصالحات الوزن الديمغرافي وبالتغيرات التي
تطرأ على التحولات الظرفية الاجتماعية والاقتصادية وحتى الطبيعية، وبذلك يصبح المحدد في
هذه العلاقات وهذا المحيط بين القبائل ليس العلاقات الدمية والمناخ والتضاريس بل ميزان
القوى الديمغرافي والصراع الاجتماعي السياسي حسب شروط وظروف العصر⁴.

وبالتالي يمكن القول أن القضاء الجغرافي والاجتماعي لقبائل الفراشيش وماجر يتحدد
بعلاقاتهم بالسلطة المركزية والمحلية من ناحية، وعلاقاتهم ببعضهم (عموديا وأفقيا) من ناحية
ثانية، وفي علاقاتهم بالقبائل المجاورة، أي القبائل التونسية والجزائرية من ناحية ثالثة، وهو ما
يبيّن الملامح الأساسية الكبرى لقبائل الوسط الغربي فهي قبائل بين الترحال والاستقرار، إذ
أن كل الوثائق تشير إلى الحركة المستمرة لهذه القبائل في اتجاهات عديدة من 1258هـ/ 1842
إلى 1883 وفي ذلك مؤشرات واضحة على الأوضاع المادية والعلاقات الاجتماعية والسياسية
داخل هذه القبائل أو في علاقاتها مع مجالات جغرافية خارجية أوسع مع قبائل الغرارة أو
مع إفريقية، الحماسة، جلاص، الاعراض، الجريد، بني زيد، أولاد عيار، خاصة أن الحدود
الإدارية والحماية التي حاول دايات الجزائر وبايات تونس وضعها منذ القرن السابع عشر شمال
وادي صراط لم تشمل المنطقة الواقعة جنوبه، فمحالات الوسط الغربي والجنوب الغربي لم
يشملها ترسيم «الحداثة» وبذلك بقي «الحدة» بين المجالين غير واضح المعالم وقابلا للتعدد أو

1 - Benhima Yassir Et Pierre Guichard : Op.cit
2 - الماجري الأزهري، القبيلة التونسية، مرجع سابق، ص 21
3 - للمرجع نفسه، ص 104 ولدي من عمل تبسة جلاويون للفراشيش وبينهما التسبب والاختلاط
4 - صدي العبد، «الجنوع» والمنطقة في تونس القرن التاسع عشر: الفراشيش (1851 - 1881)، المجلة التاريخية
الغربية، السنة 20/ العدد 71 - 72، رجبوان 1993، ص 362

الواقع حسب قوة القبيلة ومصالحها الاقتصادية والاجتماعية داخل المجال وهو ما يؤدي
غالبا إلى التقاء الحدود لدى القبيلة، فحتى الإجراءات التي اتخذها لجان رسم الحدود منذ
أربعينات القرن التاسع عشر لم تمنع أولاد سيدي عبيد من مواصلة الانتجاع الدوري الذي
كانت تمارسه بين المناطق الرطبة بمضارب تبسة صيفا، والمناطق الدافئة ببلاد الجريد شتاء⁵،
والملك مواصلة القبائل التونسية الحرائة داخل المجال الجزائري⁶.

ورغم علاقة حسن الجوار التي طالما ربطت قبائل الحدود الغربية التونسية بالقبائل
الجزائرية، واستجارة هذه الأخيرة بالقبائل التونسية هربا من الحكم الفرنسي لعدة اعترافات⁷،
فإن العلاقة بين قبائل الفراشيش بمنطقة الوسط الغربي للبلاد التونسية وقبائل الغرارة، أولاد
بن طالب الجزائريين بمنطقة تبسة طالما شهدت توترات كبيرة، حيث كانت الإغارة
من الأعمال المشكورة بين القبائل الحدودية التونسية - الجزائرية وهي بمثابة «عادة جارية بين
العرمان من الزمان القديم»⁸، وهي من الأعمال التي كان يتعذر على السلطة المركزية للبايتين
المضارب عليها أو قطعها بالمرّة من طباعهم، إنما فهم سحبة من أصل الحلفاء⁹، على
حد تعبير أحمد باشا باي، وأن السلطة المركزية للكلال للبلدين طالما دأبت على إصلاح ذات
البون وذلك «ببذل الجهد دائما في إطفاء ما يقع بينهم، بجمعهم من النزول في غير وطنهم
ولصحبهم على رد ما يأخذونه»¹⁰.

وبالتالي فإن حالة التنافر بين القبائل الحدودية أي بين الفراشيش وقبائل الغرارة، سبب
الإغارة أو «الغورة» لم تكن محددا لحصر المجال، نظرا للواقع الاقتصادي للقبائل المرتبط بعمليات
الانتجاع التي تستدعي ترحالا موسميا، أفضل كل محاولات التحيز السابقة للوجود الفرنسي¹¹.

1 - الماجري الأزهري، القبيلة التونسية، مرجع سابق، ص 27
2 - أولاد السلطنة التاريخية، ص 212، ملف 232، الوثيقة عدد 5، «رسالة من حاكم تبسة الكمانداس
إلى السيد المصطفى علي قائد الفراشيش بتاريخ 3 من ذي القعدة سنة 1275هـ 3 جوان 1859»
3 - «وقد سبب الكبر الماجري جنة أسباب كانت وراء هجرة الجزائريين إلى تونس حتى سنة 1857، منها القرار من
السلطة المركزية لاضطرارهم 1853، رفض البعض دفع الضرائب» في كتاب: «الجزائريون في تونس» ص 1852، هروب كامل القبيلة
الجزائرية من تونس الماجري عبد الكريم، هجرة الجزائريين والفرانكسيين والمغارفة الجوانية إلى تونس (1831 - 1797)،
المجلة التونسية للتاريخ، سنة 2010، ط 1، ص 87 - 88 - 89
4 - أولاد السلطنة التاريخية، ص 212، ملف 232، وثيقة عدد 1، «كتاب صادر عن أحمد باشا باي أمير الأيالة التونسية
إلى داي الجزائر بتاريخ 21 جمادى الثانية 1258هـ (1842)»
5 - المصدر نفسه
6 - المصدر نفسه

7 - «كتاب صادر عن أحمد باشا باي أمير الأيالة التونسية
إلى داي الجزائر بتاريخ 21 جمادى الثانية 1258هـ (1842)»
8 - المصدر نفسه
9 - المصدر نفسه
10 - المصدر نفسه
11 - «Bordure Saharienne De L'Algérie Orientale», In Revue Africaine 1942, pp197-219

2 - دور الاستعمار الفرنسي في تفتيت القبائل الجزائرية

مع تركز الاستعمار الفرنسي بالجزائر⁽¹⁾ بدأت تبلور وضعية جديدة بخصوص العلاقة بين القبائل وبحال الغزاة، وبحال القرشيش. سيطرة الاستعمار الفرنسي على كامل الأراضي الجزائرية واستفاده الى فئومها الشرقية، حيث انتج وضعاً جديداً داخل مجتمع القبائل الجزائرية، أين فتكت الاستعمار الفرنسي المجتمع القبلي الجزائري بشكل منظم، فعلى أثر استيلاء السلطات الاستعمارية على ما كان تابعاً للسلطة الحاكمة القديمة شرعت في إصدار عدة قرارات وقوانين للاستحواذ على أكبر عدد ممكن من الأراضي⁽²⁾، كما سعت اثر انضمام العديد من الجزائريين إلى المقاومة المسلحة التي قادها الأمير عبد القادر أو الحاج أحمد باي قسنطينة، الى وضع يدها على الأراضي التي تركها أصحابها والتحقوا بالمقاومة المسلحة، فأصدرت في الثاني من شهر ديسمبر 1840 قراراً يقضي بمصادرة الأراضي التي تغيب عنها مستغلوها لمدة ثلاثة أشهر⁽³⁾.

كما أصدرت السلطات الاستعمارية بتاريخ 31 أكتوبر 1845 مرسوماً ضمت به حقها في مصادرة أملاك كل الذين يقتفون أعمالاً عدوانية ضد الفرنسيين⁽⁴⁾، ثم أصدرت مرسوماً آخر بتاريخ 21 جويلية 1846 يفرض على الأهالي توفير سندات ملكية لإثبات ملكيتهم للأرض، وإلا فإن الأراضي التي لا يستطيع المتسوق إثبات ملكيته لها تحول إلى أملاك الدولة⁽⁵⁾، ونظراً إلى أن التراسيم السابقة عجزت عن توفير ما يستحقه الاستعمار من أراضٍ فتوجهت الانتظار إلى أراضي الغروش أي الأراضي الجماعية بترويج فكرة أن القبائل

1 - تركز الاستعمار الفرنسي في الجزائر سنة 1830 ببعض المدن الساحلية ثم سيطر على قسنطينة سنة 1837 التي كانت تحت حكم لعبد باي. وفي سنة 1870 تمت السيطرة على جميع الأراضي الجزائرية.

2 - ديجية دجندون من عمالان، المراقب القديم وتاريخي وطريق محمد العويبي الرئيسي الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1992، ص 251.

3 - جاء في الفصل الثاني من مرسوم شهر ديسمبر 1840 ما يلي: «في الذين يتغيبون ثلاثة أشهر دون إذن من السلطات الفرنسية يعتبرون وكأهلهم متسحبين أو انصرفوا إلى العدو فيقتفون بذلك أرضهم» انظر: الماجري لعبد الكريم، مروجع سابق، ص 77.

4 - جاء في المادة العاشرة من مرسوم 31 أكتوبر 1846 ما يلي: «في المستقبل تطبق المصادرة على الاملاك المتقولة ولغير المتقولة للسكان المكيين الذين - يقتفون أعمالاً عدوانية ضد الفرنسيين أو القبائل المجاعة لفرنسا أو يقنعين مباشرة أو محاولة مساعدة للعدو أو يقنعون باتصالات معه

- تركوا الأراضي التي يستغلونها والتحقوا بالعدو» ويكون تاركاً وملحقاً بالعدو كل من يغيب عن منزله لمدة تجاوز الثلاثة أشهر من دون إذن السلطة الفرنسية» انظر: الماجري (عبد الكريم)، مرجع سابق، ص 77.

5 - نفس المرجع، ص 77.

للك أراضي أكثر مما تحتاجه لنشاطها الاقتصادي، وهو ما ساهم في تقسيم المجتمع القبلي الجزائري وخصوصاً القبائل ذات الأحجام الديمغرافية الكبرى، حيث خضعت قبيلة النمامشة (مثلاً) كغيرها من القبائل، إلى استراتيجية تفكيك والتقسيم وإعادة التركيب عبر تحريكها إلى عدة مجموعات منفصلة عن بعضها محالياً وإدارياً وإلحاق بعضها الآخر بدوائر إدارية مختلفة، بعد أن تمت مصادرة أراضيها وإقامة المحجز على جزء كبير من ثروتها⁽⁶⁾.

وضمن هذا السياق التحزبي تمت تجزئة هذه المجموعات بدورها إلى دواوير فوقعت المحافظة إدارياً على تبعية عروش العلوانة⁽⁷⁾ والبراشة⁽⁸⁾، من النمامشة، إلى دائرة تيسة، في حين وقع فصل عرش أولاد رشاش⁽⁹⁾ عن القبيلة الأم، وإلحاقه إدارياً بدائرة خنشلة⁽¹⁰⁾، وبأبي ذلك في إطار استراتيجية المؤسسة العسكرية الفرنسية التي كانت تعمل على تفكيك القبيلة وتجزئة محالها، حيث أكد الضابط العسكري ريشارد (Richard) سنة 1845 على ضرورة فصل الدواوير عن بعضها البعض عبر الحواجز الطبيعية كالغابات والجبال والأودية⁽¹¹⁾، كما اقترح ضرورة وحفر خنادق حول كل زمالة وإحاطة هذه الخنادق بطواحي من التين الشوكي⁽¹²⁾، وبالتالي فإن سياسة إنشاء الدواوير وحصرها ضمن مجال جغرافي محدد أدى إلى تفتيت ملكية القبائل وانزاعها منها، وقد ساهمت هذه السياسة الاستعمارية في انحلال المنظومة العقارية والاجتماعية التي يتركز عليها المجتمع القبلي مما سهل عملية استلاب

1 - تعد قبيلة النمامشة بعروشها الثلاثة (أولاد رشاش، العلوانة، البراشة) خلال منتصف القرن 19 حوالي 120000 نسمة ينتجعون بين تيسة في الشمال ووسط غرسة في الجنوب، ولئن تم توطين أولاد رشاش بش جنوب تيسة فإن العلوانة والبراشة بقوا فاطنين حول تيسة، انظر: الماجري (الأزهري)، القبيلة الولائية، مرجع سابق، ص 92 وانظر أيضاً.

2 - Colette Estabiet - «Administration et tribu chez les Némémcha (Algérie) au XIXe siècle» in: Revue de l'Occident Musulman et de la méditerranée, n°45, 1987, P25-40.

3 - يتكون عرش العلوانة التابع لدائرة تيسة من فرق أولاد شامخ، الزرامدة، أولاد سعيد وأولاد المرة، الملاصقة والحسدون أما القائد العرش فهو محمد المعصني بن أحمد الماجري (الأزهري)، القبيلة الولائية، مرجع سابق، ص 94.

4 - يتكون عرش البراشة التابع لدائرة تيسة من فرق الزرامدة، أولاد محسوب، بني وساييد، أولاد صميدة، أما القائد العرش فهو علي بن محمد بن عبد الواحد، الماجري (الأزهري)، القبيلة الولائية، المرجع نفسه، ص 93.

5 - يتكون عرش أولاد الرشاش التابع لدائرة خنشلة من فرق أولاد زايد، أولاد ثابت، مقاددة، أما القائد فهو علي بن عبد الماجري (الأزهري)، القبيلة الولائية، المرجع نفسه، ص 94.

6 - الماجري (الأزهري)، القبيلة الولائية، المرجع نفسه، ص 92 - 93.

7 - المرجع نفسه، ص 113.

أراضي السكان سواء عن طريق البيع والشراء أو المصادرة¹، وعلى استراتيجيتها انتهجها الاستعمار لتفكيك المنظومة القبلية وإزالة الحواجز أمام عمليات بيع وشراء العقارات وتسهيل انتقال الملكية للمعمرين².

لم تكن الإدارة الاستعمارية بمصادرة الأراضي وتطبيق الخناق على القبائل الجزائرية فحسب، بل سلكت سياسة عنيف مبنية على التحويل الجماعي وسياسة الأرض الفروقة بإتلاف المحاصيل ومصادرة النواحي، وقد ذكر في ذلك أحد الضباط الفرنسيين مايلي: «لقد خلقنا في طريقنا حرقا مهولا، جميع القرى التي نعد حوالي مائتي قرية قد أحرقت، وجميع السياسين بما فيها من أشجار مثمرة قطعت»³، وهو ما يؤكد فظاعة ووحشية الاستعمار تجاه القبائل الجزائرية، وذلك من خلال ارتكابه للعديد من المخازر في حق المدنيين العزل ولعل أبرزها معارة القرامشيش خير شاهد على ذلك، فأتت انتفاضة الطرق الصوفية سنة 1845، كانت قبيلة رياح التي شاركت فيها تقطن جنوب نيس فغزاعا بليسي وحطم وأحرق كل ما في طريقه طبقا لسياسة الأرض المحروقة، وقد فرت القبيلة ناحية مغارة محصنة تعرف بمغارة الغراشيش⁴ لها مدخلان يحتوي وشرفي، احتضت بها القبيلة وكان عددها أكثر من 1000

1- لقد شجنت عملية المصادرة 313 مجموعة قبلية فقدت على إثرها سبع قبائل أكبر من 90 ألف فكتار من أراضي الرعي التي شقت إلى أملاك الدولة، كما فقدت بقية القبائل 300 ألف فكتار من الأراضي الزراعية وتمسكت عملية المصادرة الأملاك الخاصة حيث لم تقتصد 54401 فكتار التزمت من 1778 مائتا ألف فكتار منهم 301 فكتار من إندراج أملاكهم عن طريق إعانة شراء عقايل مبالغ مالية فعددت بـ 500 ألف فرنك للقبيلة المنظر للتخفيف من العبء الكبير، مرجع سابق ص 84

1- الجوالي (عبد) الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1830 - 1850)، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الفدائية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1983، ص 78

2- المجلدي (الأزهري) القبيلة الولائية، مرجع سابق ص 181

3- بعد انهزام جيش الأمير عبد القادر في معركة اليربنة في شهر ماي سنة 1843 أمام القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بومال ابن ملك فرنسا، تم في المعركة التي دارت بمطلة طافير الواقعة جنوب شرق قصر الشلالة المستعبد للفاقة من جديد في أبريل سنة 1845 على يد الشاب بو مقرة في منطقة القنطرة بعد أن تلقى الدعم الكامل من قبيلة رياح حيث تمكن بعضهما من هزم قبيلة صبحان الواقعة للفرنسيين والقضاء على ألقا الذي يضمنه الإدارة العسكرية على المنطقة، وينجده لتوسيع النفوذ الفرنسي في تلك المنطقة التي قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بتجديدها من أحياء المنطقة ثم جعلت منها قوات إضافية أو تابعة لها مقابل أموال أو امتيازات، نفذت نحو قبيلة (أولاد رياح) بعد إخضاعها حيث انتهجت القوات الفرنسية سياسة الأرض المحروقة وهو ما أثار الغضب والخوف لدى القبائل حيث أسرع النساء والأطفال ومساكن الشيوخ والأطفال حاملين معهم كل ماوتحتهم وممتلكاتهم داخل مغارة تعود أولاد رياح على الصوب إليها في مال أحسانهم بالخطر وكثت بشارة عن طغيا طالبا حقيقهم من تسلط الجيش العثماني الذي كان يطمح عتاههم في سياستهم الخاصة لأخذ مصالحهم الزراعية والتي كان بدوره يفرض عليهم الضرائب والإتاوات بالقوة وحتى بالتهيب والتسليم، أما العاقل الثاني الذي كان يتنفع أولاد رياح المجهز إلى المغارة فهو أيضا كانت بمثابة السرج الحرس الذي يبعد الأخطار عن باخله لتسبب أولهما ارتفاعها من الوادي نحو الوادي

أخيرا، فقام الجيش الفرنسي بعد أن عجز عن اقتحامها بجمع الخطب وإلقاء النار عند سفحها مدة يومين وليقين ما أدى إلى إحتراق وإحتراق من بداخلها⁵.

ونظرا للعدوان الذي تعرضت له قبائل الشرق الجزائري أثر احتلال الجيش الفرنسي لسنطة الشرقية بما فيها مدينة تيسة سنة 1846، وتجميده للمجموعات القبلية المنتشرة في هذه المناطق، فإن ذلك قد خلق نوعا من الرعب في صفوف السكان مما ولد حركات بطرية كلها شهادته المنطقة تمثل في هروب جماعي من الغزو وإخلاء الأرض أمام المستعمر، وهو ما أدى إلى ظهور خلل بين الموارد الاقتصادية وحاجيات السكان الذين قتلوا الزكوة الأساسية للإنتاج، أي الأرض ما دفع بعض من الجزائريين إلى الخروج من المنع من بلنهم في اتجاه الأراضي التونسية من ضمن عديد المجموعات القبلية الأخرى لاسيما العلولة وأولاد الميساوي وأولاد الرشايش وأولاد حليقة تعمروا عن رفضهم الطاعة للمستعمر والعيش تحت حكمه⁶، إما لاعتبارات اقتصادية أي أن بعض القبائل صودرت أراضيها، أو كذلك لاعتبارات دينية، فهناك بعض التماذج من المهاجرين الذين رفضوا الإقامة في بلاد الكفرة، مثل شيخ الزاوية الرحالية بسكرة الذي هاجر إلى غطة بالجزيرة التونسية⁷، كما هاجرت مجموعات كثيرة من قبائل الشرق الجزائري في اتجاه المناطق الحدودية مع إيالة تونس كقبيلة أولاد سيدي عبد الملك من أولاد سيدي عبيد وبعض العائلات الأخرى التي رافقت شعار الدين كقبيل طهرغا⁸، حيث دعت الطرق الصوفية، خصوصا

1- هذا ومن جهة ثانية لتكونها متسكوا بالاشجار كما أن هناك غلة آخر بعض في غلة العنقودات كغلة الخوخة والمغارة أن التكتل مقيد بنعنه أحد الرجال الصالحين بتركته

2- في صبيحة يوم 18 جوان 1845 طرد الجيش الفرنسي للعارضة بعد أن عجز عن اقتحامها وإخراج من داخلها أمر بوليسي جنود بجمع الخطب وتكديسه عند مدخل القنطرة الشمالي والجوبي ثم أصبح الأمر يلقى بذلك بقول أحد القواديين الفرنسيين في رسالة لعائلته - ألقبت القنطرة مشعلته خلال طول الليل - كما صعدت الرجال والنساء والأطفال وكذا تصعد وتكسر الصخور المتفجعة التي كانت تسقط داخل القنطرة لتفعل لإفراج رجلة القنطرة - وبعد انتهاء الحملة وتحول حرد الجيش الفرنسي بصف أحد القيمين (أولاد) المضاهة الموهبة التي رأسها حيث يقول: «نشد المخلل كلفت الألفان والمغير والمروءة مستقيمة على الأجر والأيام في رفعة المصنوع عن الهواء النفسي ووضعت هذه الجيوش كلفت النصار والأطفال رأسهم على إيلا فيما لغله امرأة فقتل طغلا» في الأخير عددا 760 جلة للمروءة الظفر بن عاشره الكبريا ووقع بربعة الجمهورية بتاريخ 5 جويلية 2010

3- المجلدي (الأزهري) القبيلة الولائية، مرجع سابق ص 182

4- المرجع نفسه ص 183

5- (الداودي) (الداودي) الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالولاية التونسية (1880 - 1930) منشورات كلية الآداب والعلوم والإنسانيات مغربة 2008، ج 2، ص 46

6- (أبي) (عبد الكريم) مرجع سابق ص 86

القبائلية والرحمانية، القبائل الجزائرية إلى المحرة إلى الأمانة التونسية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر¹، ويبدو أن هذه الدعوة نابعة من معطى ديني جهادي يأبى الخضوع والعيش تحت سلطة مسيحية، وربما غارتها من الخارج.

صنع نقل الاستعمار الفرنسي، وداخل البلاد شهدت عقيدة المناطق الجزائرية ثورات مناهضة للاستعمار، خاصة أن الطرق الصوفية آنذاك لعبت دورا بارزا في مقاومة الاحتلال وهو ما أدى إلى ظهور عدة ثورات من أبرزها ثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف بـ «بومعزة» في منطقتي الشلف والونشريس (1846 - 1847) وهو من أتباع الطريقة الطييبة، حيث استقر القبائل والأعراف بتنظف الظهرة والشلف والونشريس ثم اتسعت لتشمل نواحي أولاد حلال حيث وجدت من الزاوية المخاربية وشيخها مختار بن عبد الرحمن مقدم الطريقة الرحمانية كامل الدعم والمساعدة².

وبذلك ثورة ناصر بن شهرة من الطريقة القادرية الذي بدأ بعد للثورة سنة 1846 وبعد اعتقاله سنة 1851، استمر في كفاحه ضد الاستعمار إلى سنة 1875 حين أرغمه ماي تونس على مغادرة بلاده فاختار التوجه بجرا إلى بيروت ثم دمشق التي توفي بها سنة 1882³. وبذلك يمكن القول أن الطرق الصوفية ساهمت في تأجيج الثورات في الأوساط القبلية الجزائرية في أربعينات القرن التاسع عشر وهو ما يؤكد المؤرخ الفرنسي مارسيل ليميري بقوله: «إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أعدت ونظمت ونفذت بوحى من الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدت دورا أساسيا في هذه الثورات الرحمانية، السوسية، الدرقاوية والطييبة»⁴.

ونظرا للدعوة التي أطلقها أصحاب الطرق الصوفية الجزائرية للثورة ضد الاستعمار الفرنسي فإن تلك الثورات وجدت صدى لدى القبائل الجزائرية التي خرجت للنضدي للهجرة

الاستعمارية وهو ما ولد حالة من العصيان والثورة على المستعمر الفرنسي لدى وفرة أولاد بشار من المناهضة للمفسدين في عمالة الفرنسيين...، وطلعت ثم ورقة أخرى من المناهضة لـ «أولاد العيساوي»⁵، وقبائل أولاد يحيى بن طالب المناهضون لـ «الفرانجيش».

بالإضافة إلى ذلك فقد قام بعض الجزائريين بالنسب إلى الثواب التونسي وتولاهم تعريض الفرنسيين على مقاومة الفرنسيين مدعين انتماؤهم إلى النسب الشريف، وتبين ذلك من خلال رسالة صالح بن محمد الدقي كاهية الكاف ومتولي الرقة إلى الوزير الأكبر مصطفى الخليل بتاريخ 3 محرم الحرام سنة 1277هـ / 19 أوت 1860 والتي جاء فيها قوله: «... هو أنه بلغنا يوم التاريخ جوابا من رجل اسمه محمد بن عبد الله البغدادي يدعى أنه شريف طالب لنا أن نعنه بخصان وغيرة من عائلة (كذاب) الحرب لأنه يريد أن يقاتل النصارى من ناحية الغرب وإسلامنا اعطى ومعه جواب من بعض مشايخ خير يركى لنا فيه أنه اتهم تلك الرجل المذكور بريد الجهاد في النصارى وطلبوا منا الإذن في ذلك...»⁶. كما أنه كاهية الكاف باليهليك من مدى استحابة القبائل الحمودية لدعوات محمد بن عبد الله البغدادي المخرض على الجهاد ومن مدى خطورة الوضع في الجهة، حيث أكد على «أنه لا زال عند خير ومجمعين عليه أناس كثيرة وأهم يجمعون في الأعراف ومرادهم الفساد مع القرائصيص وانما تحورت البلاد بموجب ذلك وإن ذلك كله من خير وبني مازن، فاما خير فإن حقدناهم واما من بني مازن فإن فيهم فرقين يقال لهم المشاركة وهذيل قد ابلغوا بالفساد وكثر منهم الطغيان والتحرر وظهر لهم والخير من كثرة الفساد ومن أجل فعلهم شاغبوا أكثر عروش الرقة وطلبوا في الاعانة معهم في الجهاد مع هذا الرجل...»⁷.

وقد كانت المناهضة الدينية فرصة لحيث الناس على الجهاد ضد النصارى حتى أن هجوم قبائل خير على الفرنسيين ثم بعد وأن اجتماعا مرتين الأولى في زردة سيدي ماطر والثانية في الغد يوم 17 في زردة سيدي عبد الله جمال، وفي يوم 17 كانوا حاضرين نحو أربعة آلاف روح⁸.

1 - د. الشنابلة التاريخي، صندوق 212، ملف 241، الوثيقة عدد 92.

2 - المصير نفسه، صندوق 211، ملف 223 / 2، الوثيقة 17 و 18.

3 - المصير نفسه، الوثيقة نفسها.

4 - المصير نفسه، الوثيقة عدد 26، النظر: «تغربت بلغراف من الحفظ والحاكم غنائم التي المكلف بأموال دولة فرانسة بنوايسن بتاريخ 20 أغسطس (أوت) 1860».

1 - المجدي الأربعة القبيلة الثلاثية... مرجع سابق ص 221.
2 - المصير نفسه المصير نفسه، الطريقة القادرية الرحمانية: الأصول والأثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، الطبعة الثانية في العليم الإسلامية، طبعة (PDF) جامعة الخرائط 2008 - 2009، ص 201، انظر www.google.com
3 - المرجع نفسه والطبعة الثانية
4 - المرجع نفسه والطبعة الثانية

ويدو أن الفرنسيين كانوا متخوفين من عمليات التحيش التي كان هدفها تأليب القبائل الحدودية على النصارى حيث باتت المحاسن الأمنية من أولويات السلطات الاستعمارية التي كانت تقوم بإرسال مخبرين إلى المناطق الحدودية لرصد المخرضين على الجهاد وتبين ذلك من خلال تلغراف الفتصل الفرنسي بالحاضرة إلى الوزير الأكبر بتاريخ 24 في ثاني الجمادي 1287 هـ، والتي ذكر فيها «أن سكان العايش الكاينين بعد وادي مجردة طافوا تلك الجهة يستحثون عن الأحوال فوجدوا شخصين أحدهم طويل أزعر والثاني قصير ومليان كلاهما لايسين قشيبات حجاج وكشطاهم خضر ويدعون أنهم اشرف وثارة يتكلمان فيما بينهما بلغة غربية ويشربون السبقاروا ويسمرون سريعا ويظهرون ثارة في الممرية وثارة عند أولاد علي ويسعون في التحجير على النصارى»¹.

وكنتيجة لذلك فإن السلطات الفرنسية كانت تسعى إلى دفع البايليك للقبض على المخرضين وذلك من خلال اخبار السلطات التونسية بأماكن اختفائهم حيث أعلنت «بأن نفرا يدعى الشريف محمد مزيان بن عبد الرحمان في سن الثلاثين... كان يسعى بالتحجير في عمالة الجزائر وفرو منها بزوحنيه وإخيه ونزلوا في زاوية سيدي ابراهيم بن احمد بقرب نقطه وفرو معهم خمسة عشر رجلا وثمانية نسوة وأنهم يترددون ما بين نقطة ونوزة»².

كما نهت السلطات الفرنسية من تزايد عدد «المفسدين» الجزائريين بتونس وهو ما أكدته الفتصل الفرنسي «روسطان» في رسالته إلى الوزير الأكبر بتاريخ 21 اكتوبر (سبتمبر) سنة 1879، والتي جاء فيها قوله : «أنه يوجد بالعمالة التونسية أيضا مقدار وافي من المفسدين من اهل الجزائر...»³، خاصة بعد أن بات البعض منهم يحرض القبائل الحدودية على ضرب المصالح الاستعمارية في الجزائر حيث «أن اتساعا يدعي الشرف نازل الان عند خمير وساع في حليم على القصاد...» كما أضاف «أن الشريف المذكور توجه في المدة الأخيرة للمكان المعروف باليناضه بعمرش أولاد سيدي طالب ومعه رفيق تظهر عليه هيئة المراطيين مع انه يجند الشريف المذكور كأجير له وهو الذي يخاطب الناس باسم سيده ويحثهم على الميحيان وجل اهل المكان غير مكترئين لكلامه، ساكن هناك من العروش من هم على وفاق معه وبغريهم على التحجير بقوله إن جعل طريق الحديد مضر بمصالحهم وإن المقصود منه الاستيلاء عليهم

وإزالة حريتهم ولذلك فإن مقصدهم إنما هو الإبتداء بقتل المهندسين والمستخدمين الأفرنج بطريق الحديد ثم حراب الطريق نفسه»⁴.

ورغم حالة التضييق والمطاردة التي كانت تفرضها السلطات الفرنسية على القبائل الحدودية، فإن القبائل الحدودية التونسية كانت ترحب بجيرانها من الجزائريين القبايل وتغير المماردين منهم. وتوفر لهم الحماية، وهو ما خلق حالة من الامتناء لدى السلطات الاستعمارية، وقد عبر عنها وكيل الدولة التونسية في عنابة يوسف القروا في رسالته إلى الوزير الأكبر جبر الدين بتاريخ 21 فبراير (فيفري) 1874 بقوله : «وما نجر به سيادتكم العلية ان السيد الجنرال بعنايه توجع من جانب ناس العمالة التونسية في شأن ترحيهم بالناس الذي (...) فروا من العمالة الفرائضاوية الذي (...) احبواكم عنهم قبل هذا وبلغه ان احسون فارسا من العمالة المتصورة عرضوهم وفرحو بهم كثيرا»⁵.

ويدو أنه وكنتيجة لحالة العصيان والتمرد التي أبدتها القبائل الجزائرية المتاحة للحدود التونسية ضد الإستعمار الفرنسي وخوفاً منها من إقتنصام القبائل التونسية إليها وما قد يلحقهم من ذلك من مشاكل مع السلطات الفرنسية، فإن المشر أحمد باي كان محتاطا كثيرا مما كان يجري على الحدود حيث باذر بمراسلة عماله في الجهات الحدودية بتاريخ جمادي الثانية سنة 1263 هـ / 1847 ونبههم وحذرهم من مغبة قبول أي من عروش والغزابة أو إيوائهم داخل اأقاليم التونسي وقد حص في تنبيهه مشايخ عروش والغزاشيش وورغة والرقبة وأولاد بوغانم والزغللة وشارنة والتي جاء فيها قوله : «إلى كل وال من ولات الستة عروش المذكورة ونؤكد كتب منها بعد ذكر القايد والمشايع والمرازيقية والرجال الكبار من كل فريق وبعد فإنه بلغنا أن عرش أولاد يحي صدر منهم هرج في وطنهم ومحاربة فيادونا إلى تحذيركم إذا أتاكم أحد منهم أو من غيرهم من العروش الغرب لا تقبلوه بناحيتم وأطردوه غصبا ولو بالضرب وإياكم أن بمد أحدكم يده في شيء من محاربه أو يتوجه إلى ناحية وإذا بلغنا وإن أحدكم مد يده في حرب أو أوى (كذا) أحد من عروش الغرب أولاد يحي أو غيرهم لا تعاقبهم عن ذلك إلا بالقتل والأعد حيث تحالفتم وهذا يؤدي إلى إزالة العاقبة وإيقاد نار الفتنة في (...) الأمة المحمدية فكفول السفهاء منكم وضعفاء العقول فإن العقوبة تعم

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 55، تعريب من مرسوم روستان لفتصل دولة فرانسوا بولس إلى الوزير الأكبر بتاريخ 15 اكتوبر (سبتمبر) 1879.

2 - المصدر نفسه، صندوق 211، ملف 223 / 1، الوثيقة عدد 33.

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 39.

2 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 44، بتاريخ 12 شوال 1282 هـ 1875.

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 57.

البري والحرر فاحذروا فتنة تقضي إلى تلفكم فإن بيننا وبين دولة الفرنسيين الحية والموافقة والحدود ما أمركم وبالحكمة وبخلافه ما أمرنا بجهنم نحن حذرناكم ومن أذنب فقد أعد الله بصلح أحوال بلاد...¹

ولكن عمل ياي تونس على إغلاق البلاد في وجه القبائل الجزائرية الحدودية المقاومة للاستعمار، فإن السلطات الفرنسية عملت ببلورها على تفكيك القبائل وضرب هويتها بما تحويه من ثراث مادي ولا مادي، مما دفع العديد من القبائل المنتشرة حول بكارية والحوبيجات والماء الأبيض وصفصاف الوسر إلى الالتجاء نحو قضاء الفرائش المجاور لهم مثل الصخرجات وأم علي ومريانة وفوسانة وحيدرة، في حين كانت بلاد الجريد مثل نفطة وتوزر ووحدات الشيكة ومبداس وبغزة وكذلك أولاد بويحي وأولاد سلامة من الهمامة، الوجهة المباشرة لأولاد سيدي عبيد الجتوين المنتشرين أساسا حول عقلة الحرشان وببنتة وسوكياس ويوموسي وغرين وبئر العاتر وجبل قوّة، كما استقبلت جهة الجنوب الغربي للبلاد التونسية فرق أولاد الرشايش والبرازكة وأولاد خليفة من النمامشة، إضافة إلى قبائل وادي سوف ووادي ربيع، وهو ما أكدته الضابط يار كاستال بقوله أن: «أجزاء هامة من قبيلة النمامشة الكبرى رفضت الطاعة للمستعمر وهاجرت إلى إيالة تونس»².

ويدلو أن حالة الخروج الجماعي للقبائل النخومية نحو مجال الفرائش والهمامة ومنطقة الجريد التونسي سهلت المهمة أمام السلطات الاستعمارية التي قامت بحلب عديد القبائل من العمق الجزائري بعد أن صادرت أراضيها وتوطينها ببعض المناطق الحدودية مثل بكارية من ذلك أولاد يحيى بن طالب أصيلو المريج، وأولاد عيار من سوق أهراس وأولاد ملول أصيلو عين البيضاء³.

كما تعمد الاستعمار الفرنسي انتهاج سياسة التحزلة وذلك بفصله للدواوير عن بعضها البعض عبر الحواجز الطبيعية كالعابثات والجبال والأودية، حيث اعتبرت الإدارة الاستعمارية خيال تونكلة ودكارة وبورمان الواقعة جنوب تبسة حدودا طبيعية فاصلة بين بكارية والماء الأبيض لبعث وحدتين إداريتين منفصلتين عن بعضهما البعض، ولم يقتصر المستعمر على

الحدود الطبيعية فحسب بل رسم حدودا وهمية لا تستجيب في كل الحالات إلى الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه المجموعات⁴.

ويدلو أن الاستعمار الفرنسي بنفخته للقبائل الجزائرية وتوطينه للمجموعات القبلية التي وقع ترحيلها من مواطنها الأصلية على النجوم الحدودية كان هدفه من وراء ذلك استعمالها فيما بعد كحاجز بشري وحارس للمجال في مواجهة القبائل الحدودية التونسية، وفعلا فقد استخدم المستعمر هذا الخليط البشري المتنوع في مواجهة الفرائش والهمامة والقرع الحساوي من أولاد سيدي عبيد، ويمكن اعتبار عملية التوطين الحدودي للقبائل سياسة عامة اعتمدها المستعمر في الجزائر حيث قام بتوطين أولاد سيدي يحيى بن طالب⁵ بالمريج، الذي يقع غرب قلعة سنان، على سبيل المثال لمواجهة قبيلة أولاد بوغانم التي هددت في العديد من المناسبات الواسود الفرنسي بالجزائر⁶. وهو ما أكدته ليون روش في رسالته إلى الباي بتاريخ 26 جانفي 1861 محملا في ذات السياق بعض العروش الحدودية مسؤولية ما يحصل على الحدود من تجاوزات متهمها بعضها بإختلاق المريج والفوضى على الحدود والتي جاء فيها قوله: «أنا متحقق أن مراد جناب الباي دوام خلطه المودة وحسن المجاورة وإنما الدولة التونسية لم تعد الاعانة على ذلك من جهة قيادتها ونحن الآن مرتاحين من أولاد بوغانم لأن أولاد سيدي يحيى يوطال تازلين على طول جميع الحدادة التي من جهتهم وأولاد سيدي ناجي من الفرائش لم يخلعوا كثيرا في الغارات التي تقع في عرشهم والغالب من أولاد وراز هم الأكثر غارا وخصوصا الرغبة والروايح والعثاينية»⁷.

1 - المرجع نفسه ص 155

2 - كان أولاد سيدي يحيى بن طالب مستقرين بين وبرة والمريج، وكانوا يعززون الشبان في زاوية سيدي طالب، زاوية سيدي يحيى لا زالت توجد إلى اليوم لكن الاستعمار الفرنسي فرض سياسة تقسيم الأراضي بعدة تعدادات سكان الدواوير وقبائلهم تطبقها للقاسم المشيخي الصادر بتاريخ 22 أبريل 1863، الذي يدعو إلى تقسيم الأراضي حسب القبائل والدواوير. ومن خلال التعداد الذي قامت به السلطات الفرنسية قبل قبيلة أولاد سيدي يحيى تكونت من أربعة دواوير وهي: دوار مرسط، دوار المريج، دوار قوراي دوار بن كفيف، وبناء على ذلك تكونت قبيلة أولاد سيدي يحيى من 13 عرشا بعد تقسيم القبيلة إلى دواوير والقرع صدر القرار المشيخي بتاريخ 24 أبريل سنة 1863 وهي الهمايلية الطوالية بلالة المراسسة المرازقة معاليم. اختفقت الطالبيات الهمايلية العمانية أولاد بركت أولاد سيدي، ورقنه انظر:

www.google.com «Les Subdivisions En Fraction De Ouled Sidi Yala Ben Talebs»

3 - Monchicourt (Ch) : La région de haut tell en tunisie ; le kel ; teboursouk ; maklar ; thala ; essai démonographie géographique. Paris ; a ; collé ; 1913 ; p200

4 - أ. و. ث. السلسلة التاريخية، ص 212، ملف 232، الوثيقة عدد 16، «رسالة من قنصل جبال بولصة فرانسوا بتوليس ميسيو ليون روش إلى الباي بتاريخ 26 يناير جانفي 1861 / الموافق لـ 14 رجب 1277 هـ»

1 - لقصص نفسه ص 212، ملف 241، الوثيقة عدد 49

2 - المحرق الأمازيغي، القبيلة الولائية... مرجع سابق، ص 165

3 - المرجع نفسه ص 121

وبالتالي يمكن القول أن السياسة الاستعمارية فرق تسد التي اعتمدها السلطات الفرنسية تجاه القبائل الحدودية خلقت نوعاً من الشك والريبة بين الفرائشيين وجيرانهم من «الغرايبة»، كما يمكن القول أن سياسة التحيز الجبالي التي بدأت فرنسا في تطبيقها على أرض الواقع ساهمت في ادكاء الصراعات القبلية والعروضية، بعد أن أصبحت عروش أولاد سيدي يحيى بن طالع والتماشة وأولاد سيدي عبيد والفراشيين في حالة تناحر وصراع دائم من أجل التحيز والسيطرة على الأرض والتي باتت تشكل محور الصراع في المنطقة الحدودية بين الإيالتين، حيث استطاعت فرنسا أن تشغل هذه القبائل في علاقات جانبية من أجل تحقيق مصالحها الإستعمارية في الجزائر.

١١ - المحاولات الفرنسية الأولى لتحديد المجال بعد احتلال الجزائر

لم يستطع البلاط الحسيني في تونس والدايات الجزائريون فرض سلطتهما على المناطق النعومية وبقي مفهوم الحدود قبل مرحلة الإستعمار الفرنسي للجزائر يكتفه «التراسي» بين سلطتين سياسيتين لم تستطعا فك علاقات التواصل والتكامل بين العناصر الاجتماعية المكونة للمجاليين الجزائري والتونسي ممثلة في القبائل النعومية التي ظهر ترابطها وانسجامها على مجال شاسع وغير محدود، حيث أن عملية تحديد النعوم كشكل من أشكال تحيز المجال بقيت بالنسبة للسلطين المركزيين التونسية - الجزائرية محصورة في إطار تأمين استخلاص الحماية في كلا الإيالتين، هذه العملية التي كانت تعمركلما تم الاقترب من النعوم، حيث كانت توجد بعض القبائل التي أهم ما كان يربطها بالأرض الماء، والمرعى، إذ كانت تعتمد إلى الاحتماء بالمجال الجاور كلما اشتد طلب الأداء، ولم يكن للحدود بين الإيالتين وجود كبير في ذهنية هذه القبائل.

وحتى المجال الثنائي التونسي لم تكن له مكانة كبيرة في وجدان سكان النعوم الغربية، وإن وجدت لدى بعض القبائل التي كانت تقوم بدور في حماية المنطقة الحدودية فهي مقابل اعفائها من الأداء أو جزء منه مثل قبائل خمير^{١١}، وبالتالي فإن هذا الدور لم يكن من موقع الانتماء إلى مجال البلاد التونسية بقدر ما كان من موقع الانتماء إلى مجال حدودي كانت

١١ - من سليمان الفاطمية «مجال خمير والمنطقة المركزية بتونس في القرن التاسع عشر من النعوم إلى الحدود ومن الحسن إلى المولدة» - والله 1999 - 2000 - ص 17 - 18.

رطة علاقات اقتصادية مع غرب النعوم استطاع بعض المشايخ للتفديس السيطرة عليها ونقضي إتاوات على البضائع المتبادلة والمارة عبر أسواقها^{١٢}.

وبذلك يمكن القول أن مشروع الرسم الحدودي الفرنسي للمجاليين التونسي والجزائري الفرنسي تابع من المحاجس الأمني الذي ارتبط بواقع المنطقة الحدودية في الفترة المتعددة بين 1880 و 1881 والذي كان سببا وراء التدخل الفرنسي في المجال التونسي الجاور لفرنس قبل فاصل اصطدم عند تطبيقه بالواقع الاقتصادي والاجتماعي للأهالي في المناطق الحدودية^{١٣}.

١ - تمركز الاستعمار وإثارة مسألة الحدود

عمدت السلطات الفرنسية إلى إثارة مسألة الحدود بين المجال التونسي والمجال الجزائري، إذ حاولت ربط علاقات تحالف مع البلاط الحسيني للاستعانة به لفرض سيطرتها على المجال الجزائري المتناحس لمجال الإيالة التونسية، حرصاً منها على أهمية التعاون معه لتسهيل عمليات إلحاق المقاطعات المتناحسة لمجاله (منطقة قسنطينة - سوق أهراس...) من خلال الحد من نفوذ القبائل الحدودية الجزائرية في ظل انعدام حواجز ثامة تضيق تحركاتها، وهو ما عرفت عنه المعاهدة التي وضعت بين سنتي (1830 - 1831) بين السلطات الفرنسية ممثلة في الجنرال «كلوزال» (Glauzel) من ناحية وحسين باشا باي تونس من ناحية ثانية^{١٤}، لكنها «مغامرة» ما لبث أن أعلن فشلها بعد أن رفضت الحكومة الفرنسية الموافقة على نص المعاهدتين المتعلقتين بقسنطينة ووهران كما ترتب عن هذا الموقف إعفاء الجنرال كلوزال من

١٢ - المرجع نفسه، ص 20.

١٣ - السيد دكر رئيس الحكومة الفرنسية «ليون غامبetta» (Léon Gambetta) في خطبه أمام مجلس النواب حول «أهمية المسألة التونسية في بلي» : «إن لفرنسا مصلحة توضع حارس على البوابة الشرقية لمنطقتيها الإفريقية والأندلسية» - صواب بليط.

١٤ - Voir à la porte orientale de sa grande possession africaine, un gardien, un portier vigilant.

١٥ - مرجع من كتاب:

Mayeur Jean-Marie, Léon Gambetta, la patrie et La république, Paris Fayard : 2008 p 381

١٦ - المرجع نفسه، مرجع سابق، ص 11.

١٧ - السيد المعاهدة «المغامرة» في توقيع كلوزال (Glauzel) والباي الحسيني معاهدة بسم مقتضيات تعيين باييين أواسطهم أحدهما على بابليك وهران والأخر على بابليك قسنطينة مقابل الاعتراف بمصوغها للمعاهدة «المغامرة» انظر التجميع عند الخليل، «مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1891» - المجلة التاريخية لفرنسا، سنة 5 ج ١ في يناير 1976 تونس، ص 5 - 18.

مهاجرات¹⁴، واضعة بذلك حدا للتعاون الفرنسي الحسيني في وقت سعت فيه السلطة الفرنسية لفرض نوع من التفوق عبر تأمين تواجدتها في لتوانس وما حوله¹⁵.

ولم يكن خيار الأول بالنسبة للسلطات الفرنسية عدم الخوض في مسألة الحدود فجاء إشارة إشكال مع الخليفة الحسيني إلى حين تمكنها من فرض سيطرتها العسكرية التامة على المنطقة الشاحنة خلال الأياضة التونسية، فإن ذلك الخيار سرعان ما انتهت دوافعه بعد ظهور العامل الأجنبي كمتوتر في الموقف الفرنسي، بعد اصطدامه بصعوبة السيطرة على المجال المكسب والذي ارتبط أساسا بالمنطقة الحدودية مع تواتر عمليات الإغارة التي رأت فيها فرنسا محاولات غير مباشرة من البلاط الحسيني لفرض سيطرته على المجال التحويمي¹⁶.

وتظهر هذا التوجه بعدما بسط الاستعمار الفرنسي سيطرته على كامل التجموع الشرقي للجزائر، وقد مثلت أحداث 1259 هـ/ 1843 م وما عرفته من أعمال حرب طالت عديد الأماكن التونسية على طول الشريط الحدودي للمنطقة الغربية¹⁷، مناسبة للضغط على الباي ليخيل فتح مفاوضات حول مسألة التحديد وقد اصطدم الأهالي بالقوة العسكرية الفرنسية التي غبت ما لديهم وأحرقت محاصيلهم واجتاحت ضوايعهم وقتلت من قتل منهم وقد

1 - لقد أثار ما قام به الجنرال (Glaszoff) حملة السلطات الفرنسية التي رفضت المعاهدة وفي ذلك كتب وزير الجبهة إلى الجنرال (Glaszoff) مستذكرا ما قام به ما يلي: «وجب علي أن ألفت قبضتيكم إلى العاصم الذي مستعرج من هذه المعاهدة ومن ذلك الإصرار في هذه المسألة ومعرفة ما إذا ستبقى النقاء نهائيا في 12 نوفمبر لم 12 وفي حالة بقاءنا فبقينا مستعملين بالتأجيل على الانتفاضة بتمرة تصورتنا. إننا لم نرنا بكون هذه المعاهدة مستلزمة بتأجيل كما فعلوا بالخانة تونس. الطور المرجع نفسه ص 12

2 - تاركة مهمة تسخير العواصم إلى أيديهم من الأقاليم يعرفون بسلطانها وبشؤون السلطة باسمها كما هو الشأن مع الباي أحمد باي فيسطنبولي في 3 و 4 و 5 و 6 و 7 و 8 و 9 و 10 و 11 و 12 و 13 و 14 و 15 و 16 و 17 و 18 و 19 و 20 و 21 و 22 و 23 و 24 و 25 و 26 و 27 و 28 و 29 و 30 و 31 و 32 و 33 و 34 و 35 و 36 و 37 و 38 و 39 و 40 و 41 و 42 و 43 و 44 و 45 و 46 و 47 و 48 و 49 و 50 و 51 و 52 و 53 و 54 و 55 و 56 و 57 و 58 و 59 و 60 و 61 و 62 و 63 و 64 و 65 و 66 و 67 و 68 و 69 و 70 و 71 و 72 و 73 و 74 و 75 و 76 و 77 و 78 و 79 و 80 و 81 و 82 و 83 و 84 و 85 و 86 و 87 و 88 و 89 و 90 و 91 و 92 و 93 و 94 و 95 و 96 و 97 و 98 و 99 و 100 و 101 و 102 و 103 و 104 و 105 و 106 و 107 و 108 و 109 و 110 و 111 و 112 و 113 و 114 و 115 و 116 و 117 و 118 و 119 و 120 و 121 و 122 و 123 و 124 و 125 و 126 و 127 و 128 و 129 و 130 و 131 و 132 و 133 و 134 و 135 و 136 و 137 و 138 و 139 و 140 و 141 و 142 و 143 و 144 و 145 و 146 و 147 و 148 و 149 و 150 و 151 و 152 و 153 و 154 و 155 و 156 و 157 و 158 و 159 و 160 و 161 و 162 و 163 و 164 و 165 و 166 و 167 و 168 و 169 و 170 و 171 و 172 و 173 و 174 و 175 و 176 و 177 و 178 و 179 و 180 و 181 و 182 و 183 و 184 و 185 و 186 و 187 و 188 و 189 و 190 و 191 و 192 و 193 و 194 و 195 و 196 و 197 و 198 و 199 و 200 و 201 و 202 و 203 و 204 و 205 و 206 و 207 و 208 و 209 و 210 و 211 و 212 و 213 و 214 و 215 و 216 و 217 و 218 و 219 و 220 و 221 و 222 و 223 و 224 و 225 و 226 و 227 و 228 و 229 و 230 و 231 و 232 و 233 و 234 و 235 و 236 و 237 و 238 و 239 و 240 و 241 و 242 و 243 و 244 و 245 و 246 و 247 و 248 و 249 و 250 و 251 و 252 و 253 و 254 و 255 و 256 و 257 و 258 و 259 و 260 و 261 و 262 و 263 و 264 و 265 و 266 و 267 و 268 و 269 و 270 و 271 و 272 و 273 و 274 و 275 و 276 و 277 و 278 و 279 و 280 و 281 و 282 و 283 و 284 و 285 و 286 و 287 و 288 و 289 و 290 و 291 و 292 و 293 و 294 و 295 و 296 و 297 و 298 و 299 و 300 و 301 و 302 و 303 و 304 و 305 و 306 و 307 و 308 و 309 و 310 و 311 و 312 و 313 و 314 و 315 و 316 و 317 و 318 و 319 و 320 و 321 و 322 و 323 و 324 و 325 و 326 و 327 و 328 و 329 و 330 و 331 و 332 و 333 و 334 و 335 و 336 و 337 و 338 و 339 و 340 و 341 و 342 و 343 و 344 و 345 و 346 و 347 و 348 و 349 و 350 و 351 و 352 و 353 و 354 و 355 و 356 و 357 و 358 و 359 و 360 و 361 و 362 و 363 و 364 و 365 و 366 و 367 و 368 و 369 و 370 و 371 و 372 و 373 و 374 و 375 و 376 و 377 و 378 و 379 و 380 و 381 و 382 و 383 و 384 و 385 و 386 و 387 و 388 و 389 و 390 و 391 و 392 و 393 و 394 و 395 و 396 و 397 و 398 و 399 و 400 و 401 و 402 و 403 و 404 و 405 و 406 و 407 و 408 و 409 و 410 و 411 و 412 و 413 و 414 و 415 و 416 و 417 و 418 و 419 و 420 و 421 و 422 و 423 و 424 و 425 و 426 و 427 و 428 و 429 و 430 و 431 و 432 و 433 و 434 و 435 و 436 و 437 و 438 و 439 و 440 و 441 و 442 و 443 و 444 و 445 و 446 و 447 و 448 و 449 و 450 و 451 و 452 و 453 و 454 و 455 و 456 و 457 و 458 و 459 و 460 و 461 و 462 و 463 و 464 و 465 و 466 و 467 و 468 و 469 و 470 و 471 و 472 و 473 و 474 و 475 و 476 و 477 و 478 و 479 و 480 و 481 و 482 و 483 و 484 و 485 و 486 و 487 و 488 و 489 و 490 و 491 و 492 و 493 و 494 و 495 و 496 و 497 و 498 و 499 و 500 و 501 و 502 و 503 و 504 و 505 و 506 و 507 و 508 و 509 و 510 و 511 و 512 و 513 و 514 و 515 و 516 و 517 و 518 و 519 و 520 و 521 و 522 و 523 و 524 و 525 و 526 و 527 و 528 و 529 و 530 و 531 و 532 و 533 و 534 و 535 و 536 و 537 و 538 و 539 و 540 و 541 و 542 و 543 و 544 و 545 و 546 و 547 و 548 و 549 و 550 و 551 و 552 و 553 و 554 و 555 و 556 و 557 و 558 و 559 و 560 و 561 و 562 و 563 و 564 و 565 و 566 و 567 و 568 و 569 و 570 و 571 و 572 و 573 و 574 و 575 و 576 و 577 و 578 و 579 و 580 و 581 و 582 و 583 و 584 و 585 و 586 و 587 و 588 و 589 و 590 و 591 و 592 و 593 و 594 و 595 و 596 و 597 و 598 و 599 و 600 و 601 و 602 و 603 و 604 و 605 و 606 و 607 و 608 و 609 و 610 و 611 و 612 و 613 و 614 و 615 و 616 و 617 و 618 و 619 و 620 و 621 و 622 و 623 و 624 و 625 و 626 و 627 و 628 و 629 و 630 و 631 و 632 و 633 و 634 و 635 و 636 و 637 و 638 و 639 و 640 و 641 و 642 و 643 و 644 و 645 و 646 و 647 و 648 و 649 و 650 و 651 و 652 و 653 و 654 و 655 و 656 و 657 و 658 و 659 و 660 و 661 و 662 و 663 و 664 و 665 و 666 و 667 و 668 و 669 و 670 و 671 و 672 و 673 و 674 و 675 و 676 و 677 و 678 و 679 و 680 و 681 و 682 و 683 و 684 و 685 و 686 و 687 و 688 و 689 و 690 و 691 و 692 و 693 و 694 و 695 و 696 و 697 و 698 و 699 و 700 و 701 و 702 و 703 و 704 و 705 و 706 و 707 و 708 و 709 و 710 و 711 و 712 و 713 و 714 و 715 و 716 و 717 و 718 و 719 و 720 و 721 و 722 و 723 و 724 و 725 و 726 و 727 و 728 و 729 و 730 و 731 و 732 و 733 و 734 و 735 و 736 و 737 و 738 و 739 و 740 و 741 و 742 و 743 و 744 و 745 و 746 و 747 و 748 و 749 و 750 و 751 و 752 و 753 و 754 و 755 و 756 و 757 و 758 و 759 و 760 و 761 و 762 و 763 و 764 و 765 و 766 و 767 و 768 و 769 و 770 و 771 و 772 و 773 و 774 و 775 و 776 و 777 و 778 و 779 و 780 و 781 و 782 و 783 و 784 و 785 و 786 و 787 و 788 و 789 و 790 و 791 و 792 و 793 و 794 و 795 و 796 و 797 و 798 و 799 و 800 و 801 و 802 و 803 و 804 و 805 و 806 و 807 و 808 و 809 و 810 و 811 و 812 و 813 و 814 و 815 و 816 و 817 و 818 و 819 و 820 و 821 و 822 و 823 و 824 و 825 و 826 و 827 و 828 و 829 و 830 و 831 و 832 و 833 و 834 و 835 و 836 و 837 و 838 و 839 و 840 و 841 و 842 و 843 و 844 و 845 و 846 و 847 و 848 و 849 و 850 و 851 و 852 و 853 و 854 و 855 و 856 و 857 و 858 و 859 و 860 و 861 و 862 و 863 و 864 و 865 و 866 و 867 و 868 و 869 و 870 و 871 و 872 و 873 و 874 و 875 و 876 و 877 و 878 و 879 و 880 و 881 و 882 و 883 و 884 و 885 و 886 و 887 و 888 و 889 و 890 و 891 و 892 و 893 و 894 و 895 و 896 و 897 و 898 و 899 و 900 و 901 و 902 و 903 و 904 و 905 و 906 و 907 و 908 و 909 و 910 و 911 و 912 و 913 و 914 و 915 و 916 و 917 و 918 و 919 و 920 و 921 و 922 و 923 و 924 و 925 و 926 و 927 و 928 و 929 و 930 و 931 و 932 و 933 و 934 و 935 و 936 و 937 و 938 و 939 و 940 و 941 و 942 و 943 و 944 و 945 و 946 و 947 و 948 و 949 و 950 و 951 و 952 و 953 و 954 و 955 و 956 و 957 و 958 و 959 و 960 و 961 و 962 و 963 و 964 و 965 و 966 و 967 و 968 و 969 و 970 و 971 و 972 و 973 و 974 و 975 و 976 و 977 و 978 و 979 و 980 و 981 و 982 و 983 و 984 و 985 و 986 و 987 و 988 و 989 و 990 و 991 و 992 و 993 و 994 و 995 و 996 و 997 و 998 و 999 و 1000

3 - تطور الأمر إلى تهديد بعض القبائل التونسية بحصار القبائل التي خضعت إلى النفوذ الفرنسي بل وأقربت القبيلة التونسية بتاريخ 10 نوفمبر 1839 اقترابا خطيرا من القبائل المصغر السابق ص 11

4 - قام الجيش الفرنسي بمحاولات عديدة ضد قبائل الجبل الغربية راح ضحيتها العزيم من الأهالي كما قام بحلب القبائل للضرورة كل ما لديها من خيام ما فيها من الأغصان والحطب والنقد كما صاروا حيواناتهم وغلابتهم ونسبوا القوا كما قاموا بحرق محاصيلهم من القمح والشعير الطير شهادة «الشارة بعض عساكر فرانسيس على أنبار من أولاد حمزة بجهة ريفية أولاد متغيرة عقالة تونس بتاريخ يوم الخميس الجاني عشر من شهر رمضان الأول 1259 هـ/ 1843 م بحبل يعرف بوشهين الكلبين بعميرة ريفية أولاد سديرة من تراب القبول التونسي فربطوا إلى أمير المؤمنين أحمد باشا باي بتاريخ أوامر ثاني الجصادي من عام 1259 هـ. انظر أ. و. ت. سلسلة التاريخية صندوق 12 ملف 232 وبنية رقم 110

انظر أيضا: المصدر نفسه وبنية عدد 111 - شهادة إشارة عساكر الفرنسيين على أولاد علي أوامر جصادي 1259 هـ/ 1843 م رتبة شكوى إلى أحمد باشا باي بتاريخ أوامر جصادي من عام 1259 هـ/ 1843.

وأضا: المصدر نفسه وبنية عدد 114 - نازلة إشارة الحملة الفرنسية على عرش الفرائشيش عام 1259 هـ/ 1843 عساكر الفرنسيين على عرش أولاد علي يوم الأحد الخامس والعشرون من شهر جمادى الثاني 1259 هـ.

وصل الأمر بحملة أحد الضباط الفرنسيين ويدعى كينيبي وأثناء حملته على عرش أولاد علي من الفرائشيش سنة 1259 هـ / 1843. أن استخرجوا قم من مغابر أهلهم ثلاثين راية وحرقوهم بالنار¹⁸، كما أبحجه لهم بحية وثلاثين خالصة مبنووين حصا ومسطورة وبول¹⁹، وأيضا حرق لهم وقدر شمشواشي (كلا) مبنووين قنجا وحاروا رمادا وبداخلهم الذين شعروا بحرقين بالنار²⁰....²¹

لوتيجة لثبات وجهات النظر حول الحدود فقد ساهمت عمليات المند والمجزر في قيام الرامات تربية مست كامل الشريط الحدودي، ففي المنطقة الواقعة جنوب وادي سراط ما فتئت السلطة المركزية في تونس تلقى شكاوى من المجموعات القليلة حول التعديات الواضحة للقبائل الجزائرية المدعومة من الفرنسيين وهو ما نينه رسالة محمد بن قعيد بن سالم إلى مصطفى حنندار والتي جاء فيها: «ليكن معلومكم هو أن لنا ثمانية دواور قراشيش للزلي بحمامهم بتراب مولانا نصره الله الذي به الفرائشيش قد فرغ لهم حاكم تبسة أولاد يحي بن طالب والماملة (كلا) وغار عليهم وأخذهم أخذة راية وفي دعواه أنهم في تراب الغرب وأحال أنهم في تراب سيدنا...»²².

ولم يكن هذا الوضع القائم ليشكل مصدر قلق للسلطة المركزية في تونس، فالتحديد الذي لا يمثل حاجسا بالنسبة لها ما دام معنى السيادة لا يتجاوز مدى قدرته على استخلاص الهي ووصول عملة الباي إلى أبعد مكان ممكن، وهو معطى يتناقض تماما مع مفاهيم السيادة بالنسبة لفرنسا والتي تقتضي بحالا تريبا محددا تستطيع أن تمارس فيه نفوذها²³.

1 - أ. و. ت. سلسلة التاريخية صندوق 12 ملف 232 الوثيقة عدد 114. خلال عمليات ضبط الحدود التي شملت المنطقة شمال وادي مجيرة شكل مجال عرش أولاد علي الذي انقسم إلى جزئين أحدهما في الجزائر وأخره في تونس كان هذا المجال «مسيا في اندلاع عدة نزاعات تربية وشكاوى من مبنووين تونس من أولاد علي إلى أهالي من تعديات الفرنسيين انظر «نازلة إشارة الحملة الفرنسية على عرش الفرائشيش عام 1259 هـ/ 1843 عساكر الفرنسيين على عرش أولاد علي سنة 1259 هـ.

2 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 114

3 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 114

4 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 4. رسائل في شأن شارة حاكم تبسة على الفرائشيش «رسالة إلى مصطفى حنندار من محمد بن قعيد بن سالم بتاريخ ربيع الأول 1275 هـ.

5 - مصطفى مبرج سابق ص 18.

2 - محاولات التحيز الفرنسي لضبط حدود المجال

ظل سكان المنطقة الحدودية بالمساحات العليا وسكان بواحي تبسة يعيشون في حالة تواصل دائم في معظم الأحيان إذ كانت تربطهم شبكة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية المتداخلة تتجاوز كل محاولة تحيز فرنسية تدفعها الأغراض المعادية مثل عمليات الانتعاج في منطقة المساحات خاصة لما يعصف الجوع بالقطيع ويرتفع ثغاره يقتصد الرجل ومروء الحيوات الصواب وتضي الحدود عندهم¹. أو في التحول للقيام بالنشاط الزراعي في منطقة المساحات العليا كما هو الشأن بالنسبة لقبائل الفرائش².

ويبدو أن السلطات الفرنسية قبلت ذلك على مضض، لوعيتها أن الدفاع وراء ذلك هو معاشي بالأساس، فبقية لأي مصادمات مع القبائل الحدودية هي في غنى عنها، وأن ما يحصل بين القبائل من إغارة وتجاوز لهذا المجال أو ذاك لا يعدو أن يكون سوى حوادث عادية يمكن تجاوزها وضبطها مع مرور الوقت وهو ما عبر عنه أحمد باشا باي أمير الأبالسة التونسية في رسالته إلى القنصل الفرنسي بتونس والتي جاء فيها : «... وإنما دأب الحكام الوقوف وبذل الجهد دائما في إطفاء ما يقع بينهم (القبائل) من ذلك تمنعهم من النزول في غير وطنهم وغصبيهم على رد ما يأخذونه وحراستهم من أسباب ذلك بحيث لا يسهل لهم الحاكم هذا الأمر ولا يضمر لهم حماية هذه هي السياسة المألوفة في إصلاح أحوالهم بالمراد أن تعرف جناب الجنرال بذلك ليكون عوننا لنا بضبط من نشطره ونحن نضبط من في ثرابنا وذلك بمقتضى الوفا بحق الجوار من الجانبين وعرفه أن هذه السير عادة في العريان بحيث لا يهوله أمرها ولا يتوقع منها فساد أو ولا غيرها أن شاء الله تعالى»³.

يبد أن ذلك لم يثن السلطات الفرنسية التي كانت على ما يبدو قد كتفت من مساعيها لدى الباي من أجل ترسيم الحدود بين الإيالاتين فعلا فقد وجدت مطالبها صدى لدى السلطات التونسية حيث أن هنالك أشغالا طبوغرافية قام بها الفرنسيون من سنة 1842 حتى

1844 انتهت إلى رسم خريطة وافق عليها أحمد باي في أواخر 1846 أثناء زيارته لمقره⁴.
وكان على علامات حدودية قام بوضعها الجنرال راندون بين عامي 1844 و 1846⁵.

ورغم تلميحات السلطات التونسية بضبط الحدود فإنها لم تعد صدى لدى نظيرتها الفرنسية «الجزائرية» وهو ما عبر عنه السيد علي اللبقر قبطان الصاعية المشوي أمور تبسة والوطن القبلي بتاريخ 10 شوال 1269 هـ الموافق ليوم الأحد 17 جويلية 1852 في كتابه في السوء القوم بن غنند قايد مانجر والفراشيش والذي جاء فيه مايلي : «كان يلحقنا أضراركم ولا نكرم لنا فيه أن الأوجاق مستوية والوطن في مثل وطن واحد فلتعلم يا عين هذا الكلام منكم ما يكون إلا باللسان في الطاعة والاتباع...»⁶.

حيث أن تكرر حوادث الإغارة والسرقة بين القبائل الحدودية ولد حالة من اللامس بين الطرفين إلى حد تشكيل السلطات المتولية لأموار تبسة في قدرة قياد الفرائشيش في ضبط قبائل الحدودية واضعائها لسيطرتها، وهو ما عبر عنه علي اللبقر في كتابه إلى قسوم بن أحمد والذي جاء فيه قوله : «أولاد سيدي يحيى بن طالب يطل عليهم سراح الطرف وكل لب الفرائشيش يطلبون على واد مطرف وماتوا منهم ثلاثة رقباب وفي ليلة راجوا ثمانية من الإبل (في ليلة زوج من الخيل وكل يوم يشتكون إلينا حتى فلدوا من فساد الفرائشيش وعملوا هاتبة الواقعة (هارة) ولم نرضيها منهم وحردت السعي (الغنم) وأنتم كان عندكم طاعة وحكم تردوا ما ضاع لهم وسعي الفرائشيش يكون راجع بالنعام وإن اتهم تجاوزتوا ولم تقدرنا على رد المظالم فالحسن لا نرضوا رعبتنا بضيع سعيهم ونحرصوا على عقابهم لأجل المغير وأنا ما كلمتك هذا الكلام إلا عانتهم في الضرر الكبير»⁷.

وبالتالي يمكن القول أن حالة الاثقلات الحاصلة على طرفي الحدود حتمت على السلطات الفرنسية القيام بإجراءات من شأنها أن تبين الحدود بشكل دقيق وتفصل بين مجالي الإيالاتين

Chicourt (Ch) : «La Frontière Algéro-Tunisienne Dans Le Tell Et Dans La Steppe.» In Revue Africaine, 38, P31-50.

rouch (T) : «Pouvoir Et Souveraineté Territoriale La Question De La Frontière Tunisie-Algérie» in Actes Du Premier Congrès D'histoire Et De La Civilisation Du Maghreb, Tome Deux, 9, P.205.

1 - «السلطنة التاريخية» صندوق 212، ملف 232، الوثيقة عدد 2.

2 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

1 - للتاريخ الأهم: القبيلة الولاية، مرجع سابق ص. 28.

2 - أ. و. م. «السلطنة التاريخية» صندوق 212، ملف 232، الوثيقة عدد 5 «رسالة من حاكم تبسة الكفاحه ابن قفالي إلى محمد بن علي قايد الفرائشيش بتاريخ الثالث من ذي القعدة سنة 1275 هـ الموافق لـ 3 جوان 1859 م».

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 1 «كتاب صادر عن أحمد باشا باي أمير الأبالسة التونسية إلى مفتيها ناظمه قسطنطينة عن رجال دولة الفرنسيين بتونس بتاريخ 21 جمادى الثانية 1258 هـ، 1842».

لذلك قام الجنرال الفرنسي راندون برسم تحديد للمحال والذي على أساسه تم رسم خريطة تونس سنة 1857، حيث تم وضع علامات متواصلة من كاب رو (CAP ROUX) حتى بعض الكيلومترات جنوب خنقة للوحد شرق تبة ثم تم بعد فترة من الانقطاع وضع علامات جديدة حول الماء الأبيض وسلسلة قريانة، لكن الرسم لم يشمل بقية المناطق من الساس حتى الصحراء¹.

وعندما أصبح راندون وزيرا للحرب أمر أنه من واجب فرنسا أن لا تغسر هيمنتها وبالتالي تحافظ على النشاط الصناعية (ويقصد بذلك منحهم كاف الطول) وتثبت مصالحها الدبلوماسية، في الانتهاء كان الباي مصمما على مساومة فرنسا بإعادة رسم الحدود حتى وادي الزين حلانا للطوغرافية التي وضعها الجنرال دماس سنة 1851 والتي ترسم الحدود في جبل حدادة، ورغم الاختلاف الحاصل بين الديبلوماسيين والعسكريين، فقد توصل الشيفر محمد بن عباد الى فض النزاع حول المنحهم لصالح المستغلين لكن مرض الباي وإهانة للفاوض التونسي تركا مسألة الحدود معلقة حتى أن مشروع 6 أوت 1852 «مات في المهد» رغم أنه تم الاشتغال عليه في كنف التوافق².

وبالتالي يمكن القول أن رسم الحدود التي تم وضعها بين جبل غرة من الشمال حتى فج للوحد جنوبا عملت على الفصل بين القبائل التونسية : وشتاتة، أولاد سديرة، الخماسنة، شاون، أولاد بوغانم، وغزالة، والفراشيش من جهة والقبائل الجزائرية : الشيانة، أولاد ضحي، حنانشة وأولاد يحي بن طالب³ من جهة أخرى، وقد تيسر لنا وجود وثيقة يدون تاريخ تبين لنا أسماء مناطق جهات التحديد من الشمال الى الجنوب بين تبة ومنطقة الوسط الغربي وهي : الفريطس، ابو ربيعة، الكويق، عين الباي، عين الشجرة، فج الموحد، بحيرت بن قاليه، بئر ثمر والزيت، وادي بودرياس، عين ام علي، خنقة الصفصاف، وادي ام القصب، المهلاء، باطن الفخ، وادي الصليب، بئر منصور، عكلة الزميتة⁴.

1 - Monchicouin, «La Frontière Algéro-Tunisienne», Ibid Op cit, P51-59
2 - Bachtrouch, Ibid Op cit P205
3 - Ibid Op cit P205

والضم : 1 و 2 سلسلة التاريخية، مسدوق 212 ملف 229 الوثيقة عدد 121، من تاريخ : بيان اسماء جهات الحدود
إلى غاية 1857، بين تونس وفرنسا

يدوره فقد وجد الجنرال روندون، طريقة ذكية للحد من تقلبات القبائل التونسية إلى الشمال الجزائري للجزائر والخصاص وذلك بفرضه مبدأ «خضوع الأرض لا الفرد للمحجي»، وسدوا أن السلطات التونسية لم تستع ذلك في بادئ الأمر وهو ما عثر عنه محمد باشا باي في مطالبته إلى القنصل الفرنسي بتونس بقوله : «أما بعد فإنه أنا أنا مكتوب من قاييد أولاد وازل من الفراشيش مضمونة أن حاكم تبة خاطب ولاد وازل يطلب الحكر على قلاحتهم السلطنة بأرضا وتوعدهم بالأخذ...»⁵، واعتبر الباي أن ذلك لا يعدو كونه عملا فرديا قام به حاكم تبة دون تدخل فرنسي في المسألة وذلك بقوله : «ونحن وإن تحققنا أن مثل هذا لا يقع من أعيان الحكام هناك إنما المراد علمهم بذلك ليقع التهي منهم على أمثال هذه المواقف...»⁶، وبالتالي فقد أصبحت القبائل الحارثة في عمالة الجزائر الفرنسية مطالبة بدفع اللزومة⁷، أي بدفع ضريبة الحكر على الأرض إضافة إلى ضريبة العشر على الصابة⁸، حيث كانت عملية تحديد النجوم كشكل من أشكال تحييز المجال في إطار تأمين استخلاص الحماية من طرف الماسكين بالحكم في كلا البلدين، وهو ما كان «شأن الفراشيش الحارثين»⁹ بعمالة الجزائر، حيث كانوا مطالبين بـ «خلاص اللزومة» على كل حاية عشرة دورو وثلاثة فرنك وزوج (10) صوريدي¹⁰ إلى حاكم تبة، بناء على أوامر من الجنرال الفرنسي بقسنطينة، وإن رفضوا ذلك فإن زرعهم مهدد بالانقلاب من طرف السلطات وذلك «بسريح الهوايش (الدواب) عليه لتأكده»¹¹.

ولم يكتف حاكم تبة بفرض ضرائب على قبائل الفراشيش أثناء الحرث والخصاص بل أن ذلك تعدى إلى التبييه على قياد المناطق الحدودية بضرورة إحلاء «بيوت» و«دواوير»

1 - 1 و 2 سلسلة التاريخية، مسدوق 212 ملف 232، الوثيقة رقم 3 - كتاب من الشيفر منحهم باشا باي صاحب الملكة التونسية إلى العصبة مسبو، رئيس المكلف بأمر الدولة العصرية (كندا) الفرنسية وقنصل الجنرال باخترنشا تونس بتاريخ فعصة الحرام أي المصادف 1275 هـ 1858 -

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 3
4 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 5

5 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 4 : رسالة من حاكم غرب تبة إلى فرنسا قاييد وحاكم بلاد الكاف بخصوص بيوت من الفراشيش ادعى أنهم نزلوا خارج حدودهم بتاريخ 2 أكتوبر 1858 -

6 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 5 : رسالة من حاكم تبة إلى الكمانند ابن فغالي إلى محمد بن علي قاييد الفراشيش بتاريخ 3 من ذي القعدة سنة 1275 هـ 3 جوان 1859 -

7 - المصدر نفسه
8 - المصدر نفسه

الأمراء قاستو بتاريخ 11 يوليو (جويلية) 1859 والتي جاء فيه قوله أن : «الشكاية الصادرة من قايده الفرائش فاسدة في أصلها»¹.

لقد باتت السلطات الفرنسية على قناعة بأنها لا تستطيع إقفاء التشنجات الحدودية بين القبائل الجزائرية والتونسية، لذلك حاولت فرض النظام في المنطقة بتعاونها مع السلطة المركزية في تونس لعلها تستطيع فرض سيطرتها على مواطنيها، وربما أن السلطات الفرنسية كانت تعتمد إلى حد حاكم تيسة على أجلاء قبائل الفرائش من مناطق معينة للقتل الياء السلطات التونسية والضغط عليها من أجل ترسيم الحدود باعتبار أن عمال حدود وادي سراط لم يخضع للترسيم بشكل نهائي وقد مثل ذلك حاجزا أمنيا للسلطات الفرنسية وذلك ما عثر عنه الفتحال الفرنسي في رسالة للباي بقوله : «كنت عرفكم بأن عشرين دوارا في عرش زائرة في عرش الفرائش حضروا للإقامة في ترائنا في محل يسا للماء لسود بعد تسعة أميال من تيسة والجنرال حاكم ناحية تيسة أذنتهم بالخروج من ترائنا وحيث لا يمكن لنا أن نسكنوا على أمر مثل هذا أذنت حاكم تيسة بأن يرسل قسم العسكر لحماية ترائنا أن أحواله بذلك وعرفتمكم بما وقع.. وبأن الزائرة لم يعتبروا كلامنا وحيث أرادوا الخروج من ترائنا فعصا علينا وعمون حركتهم بأناس مسلحة فيهم، هذه الزائرة بإرسال العسكر لأجل إظهارهم ففروهم وكان غاية مرادنا أن يشكو من ذلك إلى الدولة التونسية ولكن لم يصدر منهم ذلك...»².

وبالرغم من أن السلطات الفرنسية تعي أن انتقال القبائل الحدودية وبخاصة الفرائش إلى الحمرت بالقرب من تيسة يعد أمرا طبيعيا ومتوارثا لدى هذه القبائل ثم الرجوع إلى الحال التونسي والعودة أثناء فصل الحصاد، فإنها كانت ترفض ذلك وهو ما عثر عنه قاستو حاكم ناحية قسنطينة بقوله : «في هذا العام عند وقت الحصاد الدوار المذكور (سابقا) حضر ونزل بالحرب الأماكن التي حركوها من غير إذن ليحصدوها وحين ما بلغ لي هذا الخبر أذنت بمنعهم من ذلك ولا أردته أنه بسكوكي تطفل فائدة ما كنت صنته أولا وبخصوصا أردته أن لا يترتب عاقبة جديدة مخالفة لما يلزم لراحة وهنا البلاد وكل واحد يحكث في ترائيه...»³.

1 - المصدر نفسه. الوثيقة نفسها. «جواب من أمير الأمراء قاستو حاكم ناحية قسنطينة إلى ماضي وادي سراط والجنرال بولت الفرنسية بتونس مؤرخا في 11 يوليو (جويلية) 1859».

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

الفرائش من تريب والغرامة والتي نتجت في أخذها ومن الواجب إعلانكم خبر أن خمسة وعشرين بيتا من الفرائش نازلين في ترائنا بجبهة الماء الأسود وحركوا فيه لكن إن هذه الأرض ليست هي من حدودكم الشرق، نعلم محددنا لا يد بوصول كتابنا إليكم تأمرهم بالرجيل إلى وطنهم ولا نجهم يدخل إلى وطننا وإذا لم يمتثلوا وبقيوا هناك فإن (كذا) نركب ليهن الخيل ونأخذوهم...»⁴.

ويبدو أن السلطات الفرنسية كانت تدفع حاكم تيسة إلى التصدي لقبائل الفرائش ومنعهم من دخول عمال الجزائر الفرنسية حيث أنها كانت تعمل على فرض رقابة حدية على عمال نفوذها معتبرة أن ما قام به «عشرين دوارا» من عرش الفرائش نزلوا وقلعوا في أرض الفرنسيين⁵، تعديا على «الحدادة»⁶، ولذلك فإن السلطات الفرنسية المتمثلة في حاكم قسنطينة لم يعد بوسعها السماح للفرائش باحتياز الحدود من أجل الحمرت حيث اعتبر أن ذلك يعد تعديا على حقوق رعاياه وذلك بقوله : «لم يزالوا يزرعوا في أراضينا حقوق عروشنا فتعرفكم أنني لا يمكن لي أن أصر على تلبية على ترائنا وأذنت حاكم تيسة أن يلزم الأمر أن يمنعهم هذا العام عن الحمرت في ترائنا وأن يوصي العسكر الذي يرسله لذلك بعدم الخروج من حدادة ترائنا»⁷.

كما كانت السلطات الفرنسية تؤكد دائما أن شكاوى الفرائش سكان «الحدادة» من تخارات حاكم تيسة لا تعد سوى مجرد افتراءات وهو ما عثر عنه ليون روش نائب قنصل فرنسا بتونس في رسالة إلى الباي المؤرخة في 9 أوت 1859 م والتي جاء فيها قوله : «يظهر لسيادتكم أن لا يلزم تصديق العرب الساكنين في الحدادة في مقالهم حيث غاية مرادهم أن لا توجد الراحة والمنا حيث بواسطة ذلك يستر لهم الخروج من شوكة حكامهم في القصاص الذين يستحقونه بأعمالهم»⁸، مدعما جوابه بما ورد عليه من حاكم ناحية قسنطينة أمير

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 7 «رسالة من الرئيس روسو نائب قسنطينة جنرال فرنسا بتونس إلى حاكم باشا باي بتاريخ 17 أكتوبر 1858 الموافق لـ 9 ربيع الأول 1275 هـ».

3 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 8 «تعريب رسالة الجنرال حاكم قسنطينة إلى قنصل فرنسا بتونس مؤرخا في 11 أكتوبر 1858».

4 - المصدر نفسه.

5 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 13. «جواب من ليون روش نائب قنصل جنرال دولة فرانسه بتونس إلى الباي مؤرخ في 9 أوت 1859».

على تسمية أهمية كبيرة لما يحدث في المنطقة الحدودية وربما ذلك ناتج عن قلة وعي بالأهمية لهذه المنطقة.

3 - إشكالات ترسيم «الحدادة»

شكل تطور الأحداث على طول الحدود الغربية تعديدا للقبائل الحدودية التونسية، حيث ساهمت عمليات المد والجزر على الحدود في قيام نزاعات تربية مست كاملة الشريط الحدودي، حيث ما قتلت السلطة المركزية في تونس تلتقي الشكاوى من المجموعات القبلية عنها حول التعديتات الواضحة للقبائل الجزائرية المدعومة من الفرنسيين لارتباطها بمستحداث سياسية ملئت أساسا في الثورات ضد الاستعمار الفرنسي.

ويبدو أن عدم اقتناع قبائل الفراهيش بسياسة التحديد التي انتهجتها السلطات الفرنسية جعل حاكم تبة واسل محمد بن علي قائد القراشيش بتاريخ 2 أكتوبر 1859 والتي جاء فيها قوله : «... نعلم بأنك تعرف الحدادة التي بيننا ونحن أيضا عرفناك بما فلا بد تنبه على الحدود التي في حكمك أن لا تخونوا في بلادنا بل نخونوا في بلادهم... »¹.

كما أن الفراهيش بدورهم رفضوا سياسة الأمر الواقع الفرنسية التي سلكتها السلطات الاستعمارية في تعديد الخلال وهو ما أدى إلى تكرار إرسال الشكاوى إلى السلطات المركزية في تونس وذلك من خلال وصف تحديد دقيق للمجال وهي عبارة عن وثيقة مستفيضة في الحد بين وطن الفراهيش ووطن الغرب أتى بها السيد فرحات أمير لواء وأغة الكاف عام 1860م والتي جاء فيها أن رسم «الحدادة» بين وطن الفراهيش ووطن الغرب يبدأ من «منتهى الحد في ملك الفراهيش ومن يأتي ذكرهم من العروش من ناحية الجوف وهو الحد الفاصل بين أملاكهم وأملاك يحيى بن طالب وأولاد سيدي مبارك بن صحرأوي و«الحد» ذلك من جبل وادي الصفصاف الذي فيه منتهى تراب أولاد بوغانم ومنتهى تراب الفراهيش فيمر الحد من هنالك مغربا حتى يتصل بالوجه القبلي من دير أولاد يحيى بن طالب ومن الحد معه مغربا إلى أن يتصل بالاصيلع وهي كدية هناك تسمى بذلك فاصلة بين فرقة الحدادة من أولاد يحيى المذكورين وبين ملك الخواطف أولاد علي من الفراهيش ثم يمر الحد من الاصيلع المذكور مغربا إلى أن يتصل بالخل المعروف برأس الصري المذكور قواما للاحية الغرب

لم يكن الأمر يتوقف عند حد الشكاوى بل أن ذلك يصل إلى حد استعمال القوا وبجهد الحيلة وانتدوا حصادنا بالحصار...² وهو أسلوب كانت قد انتهجته السلطات الاستعمارية لتحويل القبائل الحدودية وإلزامها بالخضوع إلى شروطها وهو ما عر عنه حاكم ناحية قسطنطين بقوله : «والفراهيش الذين كانوا عاضين نبحرا فيهم ما جرا أولا مطالبوا من الإذن بالحصار وأخذ حصول ذرعهم واشترطوا على أنفسهم دفع الحكرى العشر على الجوابه لقي حزنوها فوافقهم على ذلك وهم احتاروا دفع الأداء بدل أن يضيع عليهم محصولات عظيمة...»³.

ويبدو أن قياد الفراهيش كانوا يرفضون الامثال إلى الأوامر الفرنسية فيما يخص «الحدادة» حيث كانوا يجاملون نظراءهم من «الغراب» في التسه على عروشهم من الفراهيش وبما كأسلوب لامتداد عدم الرضى حول الحدود التي تريد السلطات الفرنسية فرضها حيث أن قائد الفراهيش على حد قول قاستر حاكم تبة وكان يظهر لرباننا من غير قوة في ذلك للكان (أي المكان الذي حرت فيه القراشيش) كان يدير على عرشه بالمناظلة وواعده بإعارة الحسامة الساكنين بقرب فرانة ليحاربه...»⁴.

لكن ما كان يخبر من ممارسات في مناطق التحوم الغربية للبلاد التونسية أقرز ردود فعل من طرف سكان هذه المناطق اختلف باختلاف غط عيش سكانها، فلقد كانت قبائل الفراهيش على ما يبدو تتحين الفرصة لمواجهة السلطات الجزائرية - الفرنسية دفاعا عن مجالها يد أنها كانت تترتب الأمر ليعيقها باحتلال موازين القوى، وبالتالي يمكن القول أن السلطات المركزية في تونس وكنيجة لحالة الضعف قد قبلت بسياسة الأمر الواقع الفرنسية في تعديد المجال في وقت سابق وذلك دون تشريك القبائل في ذلك أو مراعاة لمصالحهم وأملاكهم عاصمة أن السلطات الجزائرية - الفرنسية كانت قد حددت المجال منذ سنة 1855 وهو ما ذكره قاستر في رسالته لثاني بقوله ويلف الجنايكم (نسخة) من الكارطة الذي وقع عملها في سنة 1855 بإذن حاكم عموم الجزائر ومنها يظهر لكم أن الحرت الذي نشأ عنه النزاع وقع في تراسة...⁵ وهو ما يعطي تصورا أن السلطة المركزية التونسية آنذاك

- 1 - المصدر نفسه
- 2 - المصدر نفسه
- 3 - المصدر نفسه
- 4 - المصدر نفسه

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 14، مؤرخة من حاكم تبة إلى ضخمته بن علي قائد الفراهيش بتاريخ 2 أكتوبر 1859.

إلى أن يتصل بعين غيلان الفاصلة بين أملاك أولاد زيد من قضاة من عرش الفرائش
وبين الجوامع من أولاد يحيى المذكورين ثم يمر الحد منها فواما إلى الغرب إلى أن يتصل بدراع
الصنوبر وهو جبل به غاية صنوبر فاصل بين الحوادث من الفرائش وبين الجوامع من أولاد
يحيى المذكورين ثم يمر الحد من دراع الصنوبر المذكور فواما للاحية الغرب إلى أن يتصل بجبل
الحبيسة الفاصل بين أولاد سيدي مبارك بن صحراوي وبين الحوادث من الفرائش وتمر الحد
من هنالك فواما مغربا فاصلا بين من ذكر إلى أن يتصل بوجه جبل شوكلة وهو فاصل بين
النمامشة وبين الروايح والبعاصة والختادرة من الفرائش من أولاد واز فإن انتهى جبل شوكلة
المذكور يمر الحد من متنها مغربا حتى يلقى بحيرة الأوب التي هنالك الفاصلة بين النمامشة
وبين أولاد واز من الفرائش فيمر الحد فيها مغربا إلى أن يتصل بالكرب وهي كندا من
تراب ثابت بها الشيخ وتمر منها الحد باستقامة للاحية الغرب في وسط بحيرة تبت الشيخ
وتمر منها الحد باستقامة للاحية الغرب في وسط بحيرة تبت الشيخ أيضا فاصلة بين النمامشة
المذكورين وبين أولاد واز من الفرائش المذكورين إلى أن يتصل بمنشير العدليات وهو بناء
قديم بالحجارة العظيم جاهل وفي وسطه جبانة قديمة لأولاد واز وأخوتهم معدة لدفن أمواتهم
مشهورة بهم من قديم الزمان يدفنون فيها أمواتهم إلى الآن ثم يمر الحد من المنشير المذكور
مغربا باستقامة في بحيرة هي دمار تبت الشيخ فقط فاصل بين الفرقتين المذكورين إلى أن
يتصل بجبل أي جلال وهو جبل عظيم شاقق مسمى بذلك فيأتي الحد من أسفل في الوجه
القبلي منه وتمر فيه الحد مغربا حتى يقطع الجبل المذكور فيتصل الحد المذكور بأرض دمار
تعرف بفاجية الغنم لا تبت إلا الشيخ فيمر الحد فيها مغربا باستقامة إلى أن يتصل بمنشير
من بناء جاهل بالحجارة العظيمة قديما هنالك فيمر الحد منه باستقامة للاحية الغرب إلى أن
يتصل بالجبل المعروف بروس الأحباس وهي حياض كبيرة في الحجر يجتمع فيها ماء المطر
فاصلة بين النمامشة وبين أولاد واز المذكورين وتلك الحياض المذكورين هي الحد بينهم ثم
يمر الحد منها قليلا فتصل بالطريق المعروفة بالوسرة فيمر الحد مع الطريق المذكور مغربا إلى
أن يتصل بالطريق والحد بالجبل المعروف بتخروقة الذي به علوة الشيخ المز والركة سيدي
عبيد نفعنا الله ببركاته (...) وبالصالحين أمين فيمر الحد والطريق المذكوران مع وجه الجبل
المذكور مغربا إلى أن يتصل ببخيرة الرق والصابون فيمر الحد فيها مغربا مستقيما إلى أن يتصل
بكدوة المريقب التي وسط بحيرة الرق المذكورة وفي ذلك الجبل جبانة قديمة العهد للفرائش
وأولاد سيدي عبيد وتلك الجبانة داخلة في بلد الفرائش المذكورين يدفنون بها أمواتهم سلف

من خلف إلى الآن ثم يمر الحد المذكور في الجبل المذكور مغربا باستقامة في وسط بحيرة الرق
المذكورة إلى أن يتصل بجبل شاقق عظيم شاقق يسمى بذلك الاسم ثم يمر الحد
المذكور في الجبل المذكور مغربا إلى أن يتصل بجبل آخر يعرف بعنبر الجبل وفي ذلك الجبل
جبانة قديمة لأولاد واز وأولاد سيدي عبيد معدة لدفن أمواتهم من قديم الزمان مشهورة بهم
من كافة العروش داخلة في ملكهم ثم يمر الحد مع الجبل المذكور مغربا إلى أن يتصل برأس
العروبة متاع رأس الصلب وهو جبل شاقق عظيم وأصل بين أولاد سيدي عبيد وأولاد واز
وبين النمامشة وجبل رأس الصلب هو الجاهز بينهم فيمر الحد منه مغربا مستقيما في صحراء
تبت الحماسة إلى أن يتصل الحد بجبل ميداس حوفي عقلة تبتة وحوفي دشرة مبدلس التي
هنالك فإن النسق الحد بالجبل المذكور يقسمه إلى الغرب ويتصعد مع صعوده وينزل مع نزوله
سارا للغرب إلى أن يقطع الجبل فيتصل هنالك بسحرا تعرف بسحرة علي بن خليفة الزباني
فيمر الحد فيصل مستقيما مغربا إلى أن يتصل بسيخة بها الملح تسمى بشط العرسة وهي
دمار فاصلة بين النمامشة وبين الحماسة فما كان من أول التحديد إلى آخره للاحية القبلة
فهو للفرائش ثم لأولاد سيدي عبيد أولاد سيدي الحمادي ثم ملك الحماسة وما كان من
جواني التحديد المذكور من أوله إلى آخره فهو ملك إلى أولاد يحيى بن طالب المذكورين ثم
ملك إلى أولاد سيدي مبارك ابن سخراوي المذكورين ثم ملك النمامشة المذكورين وإن ما
كان من قبلي التحديد المذكور بيد أربابه أهل الشرق يتصرفون فيه بالحرث والمرعى وحفر
الرثبات وخزن حيوتهم وجعل الجبابين ودفن أمواتهم فيها بالمعاقبة سلفا عن خلف من قديم
الزمان لا يعلمون أن أحدا غير تلك الحدود ولا تجاوزها فأهل المشرق حايرون لما بأيديهم
من قبلي الحدود المذكورة يتصرفون بمحضر كافة أهل العروش من أهل الشرق وأهل الغرب
وأهل الغرب يتصرفون فيما هو جواني الحدود المذكورة كتصرف أهل القبلة لم يغيرا حد من
أهل الزبابين على صاحبه في شيء من ذلك أصيلا...".

ومن خلال ما ذكر فإن الفرائش باستدلالهم بحاته الوثيقة التي تبين الحدود بشكل
مفصل ودقيق يؤكدون على ملكيتهم للأراضي محل النزاع وذلك من خلال استشهادهم
بالمقابر القديمة والرتبات المعدة لحزن طعامهم للتأكيد على قدم تواجدهم وسكنيتهم في تلك
المناطق المتنازع عليها منذ زمن بعيد وأنه لا يمكنهم التنازل عنها مؤكدين من خلالها مكان

1. أ. د. السلسلة التاريخية، ص 12، 229. الوثيقة عدد 114. وثيقة مستقيمة في الحد
والحد الفرائش ووطن الغرب.

مستقر كل قبيلة من القبائل الحدودية على طول الشريط الحدودي للتنازع عليه من الشمال حتى الجنوب.

كما أن الفراشيش لم يكتفوا بالوثيقة المقدمة أنفا بل تقدموا بمحة أخرى مكتوبة ليبريوا من خلالها على أحقيتهم بالأراضي موضوع النزاع وهي عبارة عن شهادة تحدد الشاطئ الحدودية بكل وضوح بين قبائل الفراشيش ونظرائهم من الغزابة والتي حياء فيها ما يلي : جميع أراضي بضياء معدة للحرثة والزراعة كاتبة بوطن الفراشيش ما هو معروف بجبل أبو ربيعة المعروف بوادي الصفصاف التي هو رأس الحد الحاضر بين أولاد سيدي بجيل أبو ربيعة للفراشيش وأولاد سيدي يحيى وتقد قواما إلى ناحية الغرب حتى يتصل بالوجه القبلي بوقاتم والفراشيش وأولاد سيدي يحيى من طالب للمذكورين ويمر الحد معه مغربا إلى أن يتصل بالأصليج وهي كندوة هنالك تسمى بذلك فاصلة بين فرقة العبادنة من أولاد يحيى المذكورين وبين ملك الحوافض أولاد علي من الفراشيش ثم يمر الحد من الإصليج المذكور مغربا إلى أن يتصل بالمعمل المعروف باسم الصري وهو جبل من غير غاية كله معمور بالحراث والحد فيه بين الفريقين تباينغ للماء ثم يمر الحد من الصري المذكور قواما ل ناحية الغرب إلى أن يتصل بعين عيلان الفاصل بين أملاك أولاد زيد من فاطمة من غرض أولاد علي من الفراشيش وبين الغوامع من أولاد يحيى للمذكورين ثم يمر الحد منها قواما إلى الغرب إلى أن يتصل بذراع الصنوبر فاصل بين الحوادث أولاد ناجي من الفراشيش وبين الغوامع من أولاد يحيى المذكورين ثم يمر الحد من ذراع الصنوبر المذكور قواما ل ناحية الغرب إلى أن يتصل بجبل الجيسة فاصل بين أولاد سيدي مبارك بن صحراوي وبين الحوادث المذكورين ويمر الحد من هنالك قواما مغربا فاصلا بين من ذلك إلى أن يتصل بوجه تونكله وهو فاصل بين النمامشة والروايخ والنعاصد والحدادة من الفراشيش أولاد وزار فإن انتهى جبل تونكله المذكور يمر الحد من منتهاه مغربا حتى يشق بحيرة الأرنب التي هنالك الفاصلة بين النمامشة وبين أولاد وزار من الفراشيش ثم بل جنوب الماويين المعروفين بالماء البيض والماء الأسود فيمر الحد فيهما مغربا إلى أن يتصل بالكرب وهي كندا من ثواب نابت فيها الشيع ويمر الحد قواما ل ناحية الغرب وسط بحيرة تبيت الشيع أيضا فاصلة بين النمامشة المذكورين وأولاد وزار المذكورين إلى أن يتصل بمشيد العديلات وهو بناء قديم بالحجارة العظيم جاهل وفي وسط حيانة قديمة لأولاد وزار وأولاد سيدي عبيد معلقة لدفن أمواتهم مشهورة بهم من قديم الزمان يدفنون فيها أمواتهم إلى الآن

من الحد من المنتشر المذكور مغربا باستقامة في بحيرة دمار فاصلة بين النمامشة وأولاد وزار إلى أن يتصل بجبل يسمى بجبل أبو جلال وهو جبل عظيم شاهق يأتي الحد من أسفل في الوجه القبلي منه ويمر الحد فيه مغربا حتى يتقطع الجبل المذكور فيتصل الحد المذكور بأرض دمار تعرف بقائمة الغنم أرض مرغى لا لها حرت من الجانبين فيمر الحد فيها مغربا باستقامة إلى أن يتصل بخصير ببناء جاهلا بحجارة عظيمة قديما هنالك فيمر الحد منه باستقامة إلى أن يفصل برعوس الأحباس وهي حياض كبيرة في الحجر يجتمع فيها ماء المطر فاصلة بين النمامشة وبين أولاد وزار وبين أولاد سيدي عبيد وتلك الحياض المذكورين هي الحد بينهم ثم يمر الحد منها قليلا فيتصل بالطريق المعروفة بالوسرة فيمر الحد مع الطريق المذكور مغربا إلى أن يتصل الطريق والحد بالجبل المعروف بتعرفوه الذي به حلوة الشيخ المزارد البركة سيدي عبيد لله الله به عامين فيمر الحد والطريق المذكوران مع وجه الجبل المذكور مغربا إلى أن يتصل بحفرة الرق والصابون فيمر الحد فيها مغربا مستقيما إلى أن يتصل بكندة المريقب التي بها حيالة قديمة للفراشيش وأولاد سيدي عبيد وتلك الجبانة داخلة في ملك الفراشيش المذكورين يدفنون فيها أمواتهم إلى الآن ثم يمر الحد مغربا بوسط بحيرة الرق المذكور إلى أن يتصل بخندق الصنع وهو جبل عظيم ثم يمر الحد المذكور في الجبل المذكور مغربا إلى أن يتصل بجبل عاتر يعرف بعاتر البير وفي ذلك حيانة لأولاد وزار وأولاد سيدي عبيد معدة لدفن أمواتهم من قديم الزمان ومشهورة بهم وهي أرض مرغى لا لها حرت لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ثم يمر الحد مع الجبل المذكور مغربا إلى أن يتصل برأس (...) الغروية تعرف برأس الصليب وهو جبل شاهق عظيم فاصل بين أولاد وزار وأولاد سيدي عبيد وبين النمامشة وجبل رأس الصليب هو الحاضر بينهم فيمر الحد منه مغربا مستقيما في صحراء تبيت الحماضة إلى أن يتصل الحد بجبل ميداس جوفي عقلة بنية وجوفي قرية ميداس التي هنالك فإن التسق الحد بجبل المذكور بطنه ويصعد مع صعوده وينزل مع نزوله مارا للغرب إلى أن يتقطع الجبل فيتصل هنالك بصحراء تعرف بصخرة علي بن خليفة الزناتي فيمر الحد فيها مستقيما مغربا إلى أن يتصل بصخرة فيها الملح تسمى بشط الغرسة وهي دمار فاصلة بين النمامشة وبين العمامة فما كان من أول التحديد إلى آخره ل ناحية القبلة فهو للفراشيش ثم لأولاد سيدي عبيد أولاد سيدي الحادي من جبل بل من وادي الصفصاف إلى جبل بوجلال المذكور فهو للفراشيش وما هو جبل أبو جلال المذكور إلى أولاد سيدي عبيد المذكورون بل إلى جبل ميداس المذكور لأولاد سيدي عبيد وما هو من جبل ميداس إلى الصحرة المذكورة وسط الغرسة المذكور

لنهمامة وزاوية بيت الشريفة وما كان من أول التحديد المذكور إلى آخره الخوف فهو لعائلة الغرب وإنما كان من قبلي التحديد المذكور بيد أربابه أهل الشرق يتصرفون فيه بالحرث والمربي وحفر الرقيات وحزن طعامهم كما ذلك يبق في غير هذا بالشهادة العادلة من قديم الزمان بين عابائهم وأجدادهم مع جبايتهم الزامية في الحد الفاصل المذكور مع ما هو معد إلى الحرب بروابط عزن طعامهم كل ذلك بمعابيتهم ومتصل في علمهم وعلى عين التحديد المذكور^(١١) كما كانت قبائل الفرائش دائما تؤكد على معرفتها بالحدود وتتمسك بها وأن في علمهم وتحققهم ومعرفتهم بالحدود الفاصلة بين الفرائش ومن عطف عليهم المذكورون أمامه وبين عروش الغرب المخاذية لهم بالجوار وهم أولاد سي يحيى وأهل تبسة واللمامشة معرفة بشي بما الشك والظن وأن في السنة الفارطة عن سنة التاريخ أن حاكم تبسة ومعه جمع غفير من التباية وأولاد سي يحيى بن طالب واللمامشة وغار على الرعاية والحفاظ من الفرائش بمكان يقال له بورمان قريبا عن الحد الفاصل المذكور بنحو عشرين ميلا فأكثر بالتحري والحال أن الرعاية والحفاظ نازلين عن منادهم وروابط عزن طعامهم وأخذوا له ثمانية دواوير من ابل وغنم وبقر وخيلا وحلي وجميع خيامهم ولا يغالط شيء وقتلوا له رجال في الغارة المذكورة كما ذلك هو محرر بالشهادة العادلة وفعلمهم لم بما ذكر بمجاورة الحد الفاصل المذكور بنحو العشرين ميلا كما ذكر حورا منهم وتعديا وبغيا منهم لم وم يرجعوا ذلك لم إلى الآن وأن في شهر جمادى الأولى الفارط عن التاريخ من سنة التاريخ أن الروابح والجديات من الفرائش حاليين بخيامهم بمكان يقال له بير الروابح على منادهم وروابط عزن طعامهم إلى أن أتاهم حاكم تبسة المذكور وعروشه المذكورين وغار عليهم ونهب ما بأيديهم وقدر ذلك زوج يعاير ذكر وأنثى وثلاث من الخيل وعشر رؤوس (كذا) من البقر وثلاثة أغنام من المعز والضأن قدر مائتين شاةا وذلك كله خارج الحد الفاصل قريبا عنه بنحو عشرة أميال فأكثر وهم نازلين عن روابطهم ولم يرجعوا ذلك لم إلى الآن (...). علمهم (...). قال شهوده وفي أواخر الشهر المنصرم عن شهر التاريخ غار حاكم تبسة المذكور على عرش الحوافظ من الفرائش ومعه جمع غفير من عروشه المذكورين بمكان يقال له خنقت (كذا) الجمال أحد أماكن وطن الفرائش وصار بين حاكم تبسة وعروشه المذكورين وبين عروش الحوافظ المذكورين عراقا شديدا بالمكان المذكور وغلبوهم وهزموهم عن حالهم ورجع حاكم تبسة وعروشه مهزومين والآن الحاكم المذكور منع الحوافظ من مكائهم

١ - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 68. "شهادة الفرائش أيضا وقع بينهم وبين عروش الغرب سنة 1276 هـ.

الحدود وغارته عليهم قريبا عن الحد الفاصل المذكور ومجاورته لهم عن الحد الفاصل المذكور بنحو الثلاثة عشر ميلا فأكثر بالتحري ولم ينهي عن فعلة المذكور إلى الآن والحال أن عاتة الأراضي التي منعها حاكم تبسة المذكور وعروشه عن أربابها عروش الفرائش المذكورين من ذلك من أملاك الفرائش ومالا من أموالهم يتصرفون فيها بأنواع التصرفات القاطعة (...). الحارة بمعابيتهم ولا يعلمون أن أحدا عارضهم من عروش الغرب المذكورين إلى الآن كل ذلك حصل في علمهم وعلى ذلك قيدت شهادتهم تحت سنوات...^(١٢).

والظن أن يكون الفرائش كانوا متشبهين بأرضهم وأن الشهادة المذكورة أتت من قبلهم تؤكد عليهم في ملكية الأراضي المتنازع عليها حتى أنهم استندوا في شهادتهم للغارات التي تعرضوا لها من طرف حاكم تبسة الليبي من خلالها مكان توليهم الأصلي قبل تعرضهم للإعارة، وبالتالي يمكن القول أن السلطات الفرنسية كانت تدفع حاكم تبسة وعروشه قصد الإغارة على قبائل الفرائش المجاورة للحد من أجل إحالاتهم بعيدا عن الحدود، متهمه بإهم بالقيام بعمليات عدائية تجاه الجزائريين، خاصة أن ما أقدم عليه قياد تبسة من أعمال تجار الفرائش من في الواقع كانت بإيعاز من السلطات الفرنسية وهو ما أكدته القنصل الفرنسي روسو في خطابه محمد المنصف باي والذي جاء فيه قوله: «بأن الفرائش ينتمون عمل الحرة واحتاج الأمر لوقوف الدولة التونسية بنهيم عن فعلهم والحكم فيهم والجواب الذي خاطبني به الدوك دي مالاكوف.. لا يحتاج لزيادة شرح وفيه بخبري بأنه أذن حاكم قسنطينة لمرافقه الفرائش غصبا إن إمتنعوا عن الخروج من ترابنا والرجوع إلى تراب العسالة^(١٣)، وقد طلب القنصل الفرنسي في رسالته إلى أكثر من ذلك بل اعتبر أن ما قام به الفرائش من حرث في دوائر تبسة «قطنية»^(١٤)، وإذا كان الفرائش لم يمثلوا لأمر جنابكم (الباي) ويقوا في أرباب الجزائر الذين غاروا عليه من غير حق فهم يكونوا السبب في الغيار الذي يقع في الحدود...^(١٥) حسب رأيه.

١ - المصدر نفسه. والوثيقة نفسها.

٢ - ر. ه. السلسلة التاريخية صندوق 212، ملف 232. الوثيقة عدد 57، رسالة من القنصل مسيجو روسو إلى حاكم قسنطينة حلال دولة فرانسيس بالمناصرة لجناب الأرفع محمد منصف باي مؤرخا في 16 ربيع الثاني 1276 هـ 21 أكتوبر 1861 م.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - المصدر نفسه.

ورغم أن بعضاً من الفرائش لديهم حجج عادلة تثبت ملكيتهم لأراض قرب الحدود فإن ذلك لم يكن كافياً لإثبات ملكيتهم حيث أنه وظهر أن بيد البعض من عرش الفرائش... أملاحي ملاحقة بعض الحدود المذكورة أعلاه أمامه مبيناً فيها ذكر بعض أماكن التحديد المذكورة هنالك وتلك الأملاك بعضها حبس وبعضها ملك وكلها بيد الفرائش متصرفون فيها من قديم الزمان وبأيديهم رسوم لتلك والحبس بالعدالة قديمة التاريخ تؤيد شهادة الشهود المذكورين أمامه في ثبوت بعض الحدود المذكورة وتقتضي جيلان أيديهم في تلك الأملاك الداحلة في التحديد المذكور أمامه بالحسبة في بعضها وبالملكية في بعضها وأزيد تضمنها هنا تصحيحاً لثبوت الحد للشهود به أعلاه أمامه وتأييداً للشهادة المذكورة أمامه فمن ذلك رسم يقتضي تحسيس المرحوم للنعم الأفخم المسم ثابت بن شوف من أعيان أعراف أهل الشرق ومن أهل الكلمة الباقلة منهم لجميع ما يملك هو وأخوته من جميع الأرض البيضاء التي بعضها معمور وبعضها فناء الكائنة بجبل بورمان وتعرف بقرية بكارية، وبكارية وهذا الاسم مذكور في بعض التحديد أمامه بحدها على مقتضى رسم تحسيسها وبأبي ذكر تحديدها لتطابق عليه الحد بعد هذا ومن ذلك رسم يقتضي ملك المكرم عمر بن علي الفريشني البعوضي لجميع الأرض البيضاء للعدة للجرانة الكاين بوطن الفرائش وتعرف بأبي فالية¹ بحدها قبلة على مقتضى رسم تملكها الذي أريد الاحتجاج به هنا قبلة رأس الحدية مع أرض العضاكية على النج مشاع عبد الملك ويصعد الشوشة إلى الكرب وهو متوجه إلى الحوف ويتحدر مع سافل تفيضات إلى ماء سبعة دهار ويتحدر إلى واد موسى وشرقا جبل السيف إلى السرب ويتحدر إلى حقة الجلال وتمر بحوقا إلى أن يتصل بالطريق الذي قبله جبل الحبيسة وهو المذكور في بعض الحدود أعلاه أمامه وهنا تطابق الحد بذكره لجبل الحبيسة المشار إليه أمامه وثبت به تملك الفرائش بعض لا هو متصل بجبل الحبيسة المذكور في التحديد أمامه ثم قال مع الذراع المحدود الذي هو قبلة رأس عين حقة بكارية وهذا اللفظ الذي هو بكارية (...) ما بين الفرائش وغوهم من أهل الغرب كما هو مذكور بعض حدود الوثيقة أمامه ثم قال مع تباين الماء بين سيدي عمر بن صخرأوي بن عمر بن علي الفريشني البعوضي وهذا الاسم وهو سيدي عمر بن صخرأوي مذكور في بعض الحدود

1 - عين منشكور منه أثناء زيارته عام 1904 إلى منطقة بن فالية أن قالني المنطقة أكسوا له أن بن فالية هو نسبة إلى اسم الضابط الذي قام بوضع علامات التحديد في تلك الجزء من الحدية بين سنتي 1854 و 1860 وهذا الحاكم العام له الشرة لبسة بوقليم. انظر:

• Monchicourt, «La Frontière Algérie-Tunisienne» - Ibid Op cit P39

للمرافعة أمامه بذلك ما هو مذكور في هذا الرسم ثبوت تملك الفرائش لهاته الأرض الملاحقة الحوسية وبكارية وتأيدت شهادة الشهود بما تضمنه رسم الملك القديم من التحديد المجاور بين أهل الشرق وأهل الغرب...²

يبدو أن هذه الحدود المذكورة والتي استشهد بها الفرائش هي في الأساس ماء على حجج عادلة لأشخاص بينهم سواء كانت أراضي حبس وأملاك استنادا إلى رسم وحقة، وشهادة عدلين من عدول تسمى³، والرسم المذكور من قديم الزمان الذي يريد على المائتين حقة على مقتضى تاريخ الرسم ويحتجوا به على من أراد محاولة الحد المذكور إلى القبلة فكتب لهم هذا هنا تضمننا ذلك بالإذن من الشيخ القاضي بالفرائش أمامه⁴:

كما أن الفرائش تعملوا على ما يبدو في إحدى المحج لإثبات أحقية ملكيتهم للأرض محل النزاع ببيان مكان نزول كل قبيلة من الفرائش وجوارهم من القبائل الجزائرية على رما يتم ثبيان حدود ومكان نزول كل قبيلة من الجانبين التونسي والجزائري وقد ورد فيها ... أن الفرائش ثلاثة عروش متجاورين في أملاكهم ما يلي الناحية المذكورة لبعضهم بعض فالعرش الأول يقال لهم أولاد علي (...) والعرش الثاني أولاد تاجي ما يلي ذلك وغربا عنهم والعرش الثالث أولاد واز ما يلي ذلك وغربا عنهم أيضا فأولاد علي وأولاد تاجي المذكوران أولا جوارهم ما يلي الحوف جوارهم أولاد يحيى بن طالب (...) فرقة المازقة وفرقة العبادنة وفرقة المغارسة وفرقة الحمالية وفرقة الطوايبة وأما أولاد واز (...) لهم حار من الناحية الجنوبية من أعراف تلك الناحية لكونه جوفيا عنهم جبل عظيم يقال له برمان وأصل الحد الفاصل بين العماليتين قالوا شهوده يبدأ شرقا فريطسه وتمر غربا إلى بورنيعة وتمر غربا إلى الكويف المعروف بالصري وتمر غربا إلى عين الي وتمر غربا إلى عين الشجرة وتمر متحركة قبلة جوفي بكارية وتمر على جبل بورمان إلى أن تبلغ حقة تعرف بتونكة هناك المجاورة بين جبل بورمان المذكور وجبل الدكان التي هو حد بلاد النمامشة المجاور بلاد أولاد واز غربا وتمر من الحنفية المذكورة قبلة إلى العاديات وتمر قبلة إلى جبل بوجللال التي هو غربا عن الماوان الماء الأبيض والماء الأسود وتمر قواما إلى رعو (كذا) الأحياس وتمر قواما إلى طريق خليفة وتمر

1 - أ و ث. السلسلة التاريخية صندوق 212 ملف 229 الوثيقة عدد 114، «وثيقة مستفيضة في الحد بين وطن الفرائش ووطن العرب»

2 - المصدر نفسه والوثيقة ذاتها

3 - المصدر نفسه والوثيقة ذاتها

قواما إلى حدك الضبع وتمر قواما إلى جبل بير العاتر وتحرف شيء قليل وتمر على الصلب والجوهر وتمر إلى ابتيلة والضواجع جوفي مبداس وتمر بفتح عبود متحرف لجبل القلة وتمر على غالت السندس وتمر إلى الضافية وشط الغربية جوفي بلد نقطة وتمر على بوناب والرقعة وبعدا انتهاء الحد الفاصل بين العمالتين¹¹⁴.

وبما أن لبعض عروض الفرائش ما يفيد أن الحدود المذكورة في نقش الوثيقة (114) هي نفسها الحدود منذ ما يزيد عن مائتي سنة ولديهم ما يفيد ذلك خاصة وبعد أن ظهر أن بيد البعض من عرض الفرائش المذكورين أعلا أمامه أملاك ملاصقة لبعض الحدود المذكورة أعلا أمامه مينا فيها ذكر بعض أماكن التحديد المذكورة هنالك وتلك الأملاك بعضها بحس وبعضها ملك وكلها بيد الفرائش متصرفون فيها من قدم الزمان وبأيديهم رسوم الملك والحبس بالعدالة القديمة التاريخ تؤيد شهادة المذكورين أمانة في ثبوت بعض الحدود المذكورة وتقتضي جيلان أيديهم في تلك الملاك الداخلة في التحديد المذكور أمامه بالحسيه في بعضها وبالملكية في بعضها وأريد تنظيمها تصحيحا لثبوت الحد المشهود به أعلا أمامه وتأييد للشهادة المذكورة أمامه من ذلك رسم يقتضي تحيس المرحوم المنعم الأنعم اقسام ثابت بن شوف من أعيان أعراس أهل الشرق ومن أهل الكلمة النافذة منهم لجميع ما يملكه هو وأخوته من جميع الأرض البيضاء التي بعضها معمور وبعضها فناء الكائنة بجبل بورمان وتعرف بقرية بكارية، بكارية وهذا الاسم مذكور في بعض التحديد أمامه بعدها على مقتضى رسم تعبئتها وبأني ذكر تحديدها المنطبق عليه الحد بعد هذا ومن ذلك رسم يقتضي تلك عمر بن علي الفريشي البعوضي لجميع الأرض البيضاء المعدة للحراثة الكائين بوطن الفرائش وتعرف بأين قالية بعدها قلة على مقتضى رسم مثلها الذي أريد الاحتجاج به هنا قلة رأس الحدية مع أرض العضائية على الفج متاع عبد الملك وبصعد الشوشة إلى الكرمه وهو متوجه إلى الجوف وينحدر مع سافل تقيضات إلى ماء سبعة ديار وينحدر إلى أولاد موسى وشرقا جبل السيف إلى المسرب وينحدر إلى حنقة الجلال وتمر بحوفا إلى أن يتصل بالطريق الذي قلة جبل الجبسية وهو المذكور في بعض الحدود أعلا أمامه وهنا تطابق الحد لذكور لجبل الجبسية المشار إليه أمامه وثبت به تلك الفرائش بعض ما هو متصل بجبل الجبسية المذكور في التحديد أمامه ثم قال مع الذراع الممدود الذي هو قلة رأس

عين حنقة بكارية وهذا اللفظ الذي هو بكارية قد حذبه ما بين الفرائش وغيرهم من أهل الغرب كما هو مذكور في بعض حدود الوثيقة أمامه ثم قال مع تبايع الماء بين سيدي عمر بن صحراوي بن عمر بن علي الفريشي البعوضي وهذا الاسم وهو سيدي عمر بن صحراوي مذكور في بعض الحدود المرقومة أمامه بدل ما هو مذكور من الرسم ثبوت تلك الفرائش فانه الأرض الملاصقة للجبسية وبكارية وتأييد شهادة الشهود بما تضمنه رسم الملك المقام من التحديد المجازر بين أهل الشرق وأهل الغرب ولا حاجة لتذكر بقية حدود الأرض المذكورة حسب الرسم المذكور في غير هذا متضم بشهادة عدلين من عدول تبة.. ومؤرخ بتاريخ أوائل ربيع الأول عام ثلاثة وسعين والفاء¹¹⁵.

ولئن سعت السلطات الفرنسية بفرض سياسة الأمر الواقع على قبائل الفرائش وذلك من خلال طردهم من أراضيهم ومنعهم من الوصول إليها لحربها أو استغلالها والتعمير فيها بالقوة وذلك من أجل إجلائهم عنها حتى يتم ضمها للقراب الجزائري فإنما كانت على ما يبدو تحت حاكم تبة على الإغارة على القبائل الحدودية من أجل ابتعادها وبث الرعب فيها ومنعها بالقوة عن أراضيها بعد ضمها وما يؤكد ذلك ... أن أولاد وراز الذي نجحهم حاكم تبة ومن معه من عمله أنه نجحهم في بلادهم أمام جبل بورمان كاتهم قاضين عن روابطهم وطعامهم وقصصهم وأندبرهم وكيشموره (؟) أيضا أنما ملك عاباينهم وإحداهم خلفا عن سلف ولا نازعهم فيها منازع ولا غاصص ولا شريك ولا مشارك مرة مبررة وسنين عديدة لا من عمل الجزائر ولا لأحوالهم الفرائش¹¹⁶.

ولئن امشهد أولا وراز بملكيتهم القديمة للأرض من خلال روابطهم وقصصهم وأندبرهم فإنهم يؤكدون على ذكر الحدود مع عمالة الجزائر وإن جوفي بلادهم المذكورة جبل محدد يقال له بورمان حاجز بينهم وبين بلاد الجزائر سوى نجع التمامشة لهم جار غربا والحد بين أولاد وراز والتمامشة حنقة تونكة التي هي حد بورمان المذكور وحد جبل الدكان شرقا وإن نجع التمامشة إلى الآن يشهدون بذلك أن وجدوا للحق سبيلا¹¹⁷.

1 - المصدر نفسه: الوثيقة عدد 114

2 - أ. و. ت. السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 232، وثيقة 117. إغارة حاكم تبة في نجع شعير من عمله على أولاد وراز من الفرائش القاضين حول جبل بورمان الفاصل بين عمالة تونس والجزائر بتاريخ 1277 هـ.

3 - المصدر نفسه

كما أن حكام السلطات الفرنسية - الجزائرية كانوا يأمرؤ عروش النمامشة وأولاد يحيى ومن منهما أن يجتمعوا مرتين بالذات في بلاد أولاد وراز¹¹. ويبدو أن ترميل أو انتحار قبائل أولاد يحيى والنمامشة بقوة في أرض أولاد وراز كان المراد منه حرمانهم من استغلال أراضيهم سواء بالحرث أو الرعي وإن ما قامت به القبائل الجزائرية وليس (لها) مصلحة في ذلك وإنما عبء متاع أربابها من الحرث والعمارة¹².

لقد انتهج أولاد وراز ورغم ذلك سياسة التعتل وقلعوا جحافة عقلا من أولاد وراز ليروادون بعض الزمائل للمذكورة (...) لأجل حرث أراضيهم المذكورة...¹³ بيد أن ذلك لم ينجح وهو ما يؤدي إلى الإغارة ورد الفعل بين كلا الطرفين ويبدو أن مشكلة الحدود بقيت من أؤكد الأولويات للسلطات الفرنسية في وقت كانت تصير فيه قبائل الفرائش على التسلل بأراضيها لذلك فإهم كانوا لا يمتثلون لما تهرده السلطات الفرنسية قرضه على أرض الواقع حيث كانت ودواوير من عروش الفرائش تزلوا وقلعوا في أرض الفرنسيين¹⁴، وفي جرة للاء الأسود بعيدا بثلاثة فراسخ من تبسة¹⁵.

ورغم اعتراض السلطات الفرنسية على ذلك ومكاتبها وحاكم المحل المذكور ليكاتب الدوار المذكور بالرجيل فكاتبهم وأذنهم بالخروج من الحدادة... (ولكن) ادعوا للإذعان (ولكن) ورغم ذلك لم يولوا بزعوا في أراضيهم جنوب عروشان¹⁶. وأكثر من ذلك فإن السلطات الفرنسية كانت تؤكد من خلال مراسلاتها للباي بعدم تصديق العرب الساكنين في الحدادة في مقالهم حيث غاية مرادهم أن لا توجد الراحة والمنا حيث بواسطة ذلك يسر لهم الخروج من شوكه حكاهم في القضايا الذين يستحقونه بأعمالهم هذا¹⁷.

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

3 - المصدر نفسه

4 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 8 - رسالة من ألفنس رينو نائب قنصلية جنرال فرنسا بتونس إلى مجاهد بابشماشي بتاريخ 17 أكتوبر 1858 الموافق لـ 9 ربيع الأول 1275 هـ وثيقة عدد 7 معربة في وثيقة عدد 8 تتعلق بعشرين دولا في عروش الفرائش تزلوا في أرض الفرنسيين.

5 - المصدر نفسه

6 - المصدر نفسه

7 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 13 - جواب من لبيون روش نائب قنصل جنرال دولة فرانسة ليون روش إلى الباي بتاريخ 9 أوت 1859 هـ.

ويبدو أن مشكلة الحدود بين العماثين لم تعد جدوى لدى قبائل الفرائش التي بقيت محافظة على حرانة أراضيها بالسهول المجاورة لمدينة تبسة وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى حدوث مناشات بين كلا الطرفين تؤدي إلى استعمال القوة سواء من طرف السلطات الفرنسية التي كانت تأمر حاكم تبسة بالتصدي لهم وهو ما أكدته القنصل الفرنسي ليون روش بقوله : «وحيث لا يمكن لنا أن نسلكوا على أمر مثل هذا أذنت حاكم تبسة بأن يرسل لهم العسكرة¹⁸». أو كذلك من القبائل الفرائش حسب تعبير روش والذين أرادوا الحرث في ترابنا غصبا علينا ويحسون حرثهم بأناس مسلحة فيهم هذه أزمنا بإرسال العسكرة لأجل تطريدهم¹⁹.

وبالتالي فإن السلطات الفرنسية كانت تعتمد إلى طرد الفرائش من أراضيهم من أجل أن يشكى هؤلاء إلى السلطات التونسية التي قد تعتمد إلى طلب ترسيم الحدود بين الإيالتين وهو ما عبر عنه قاسم حاكم ناحية قسنطينة بقوله : «وكان غاية مرادنا أن يشكو من ذلك إلى الدولة التونسية ولكن لم يصدر منهم ذلك»²⁰.

وقد ذهب الفرنسيون في مراسلاتهم إلى حد اتهام قايد الفرائش محمد بن علي بالتواطؤ وهو ما ذكره القنصل الفرنسي ليون روش في قوله : «وإن كان قايدهم محمد بن علي الذي كان يظهر لربنا من غير قوة في ذلك المكان كان يدبر عرشه بالمحاطلة وواعده بإعانة النمامة الساكنين بقرب قرية ليجاريتا»²¹.

وإنه كان يريد محاربتهم بالتواطؤ مع قبائل النمامة ويبدو أن هناك ترسيما للحدود قد وقع في سنة 1855 بإذن حاكم عموم الجزائر ويبدو أن قايد الفرائش آنذاك على علم بذلك وهو ما ذكره حاكم تبسة في رسالته إلى قايد الفرائش بتاريخ 2 أكتوبر 1859 والتي جاء فيها : «السيد محمد بن علي قايد الفرائش... تعلم بأنك تعرف الحدادة التي بيننا ونحن أيضا عرفناك بها»²².

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

3 - المصدر نفسه

4 - المصدر نفسه

5 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 14 - رسالة من حاكم تبسة إلى مجاهد بن علي قايد الفرائش بتاريخ 2 أكتوبر 1859 هـ.

ونظرا لما كانت تشهده المنطقة الحدودية من غارات خاصة أن قبائل الفرائش كانت تنحصر إلى الأراضي والسهول الواقعة في أجوار منية لسة وبكارية وذلك دواوير كثيرة من التواصة رأوا حداثة خط لسة⁽¹⁾، رغم أن الباي وجه مسحق للفرائش ليخرجهم من هناك⁽²⁾، ومع ذلك فقد بقي موجود منهم خمسة وعشرين دوارا في جبل طرية⁽³⁾، ويبدو أن قبائل الفرائش لمسكوا ملكيتهم للأرض وهو ما جعل إختفاء الدولة التونسية عرض أنهم يرجعهم لأرض تونس استشهدوا بكتب من قضاة للمكان على أن أرض الفرائش وأصله لواء بورمان في تنكلة وبكارية وأخذوا الكتايب المذكورة وزعموا بها⁽⁴⁾.

وأمام غشك الفرائش بأحقنتهم بالأرض على النزاع، فإن السلطات الفرنسية كانت تعتد أن الحدادة بين خط تبة وعصالة تونس هي الخط الذي يتدي من هم المواد ويمر على دشرة من قبالة وجبل طامر وواد بودريس (كدلة) وعين أم علي وحقة الصفصاف⁽⁵⁾. بيد أن الفرائش كانوا متمسكين بأن ليست هذه حداثةهم بل هي تدي من هم المواد وتمر على جبل بورمان وحبل تنكلة وتحادد واد الماء الأبيض وشاية مسوم وتنتهي في حنقة الصفصاف⁽⁶⁾، ويبدو أن التقضاة شنوا لهم دعواهم هذا امتنعوا من الخروج من المسافة للوجود بين المخلين للبين أعلاه ونزلوا في الدخلة وفي الطائفة وقربوا من قرية الديوانية وهي دشرة لم يأتوها قط...⁽⁷⁾ على حد قول السلطات الفرنسية.

ورغم محاحجة الفرائش بما لديهم من صحيح، ثبت ملكيتهم للأراضي الواقعة بين المخططين ورغم عرض دعواهم من قبل الجنرال حاكم قسم الخوايز والذي جاء فيه قوله : «بتاريخ 25 فبراير (فيفري) سنة 1860 كنت عرضت دعواهم هذا على الجنرال رئيس العساكر البرية والبحرية وفي ذلك الوقت يتصل طليهم إلى بكارية فأجابني في 23 فبراير (فيفري) أن لا يقتضي اعتبار دعوى الفرائش وأن الحدادة التي رسمت في سنة 1852 تبقى محفوظة»⁽⁸⁾.

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 29 - رسالة من الجنرال حاكم قسم الخوايز للجنرال حاكم قسم الخوايز بتاريخ 5 مارس 1861.

2 - المصدر نفسه

3 - المصدر نفسه

4 - المصدر نفسه

5 - المصدر نفسه

6 - المصدر نفسه

7 - المصدر نفسه

8 - المصدر نفسه

طلت السلطات الفرنسية - الجزائرية دائما متمسكة برسم الحدود لسنة 1852 ويبدو أنها قد أشعرت القبائل الجزائرية بصعوبة الإقترام بذلك على أن يعودوا يرد القبائل التونسية خلف الحدود التي تم رسمها وهو ما يتت حاكم قسم الخوايز في مراسله لحاكم عموم الخوايز والتي جاء فيها قوله : «أتمت عروضا بتوج شديد من أهم بتحاوية الخط الذي هو الحدادة وأذنت أن يطردوا بالقوة كل دوار تونس الذي لم يرد الخروج من أرضنا بعد اتية عليه»⁽¹⁾. فإن القبائل التونسية لم تكن تعبر التيهات الجزائرية الفرنسية أي إقتسام بل بالعكس وأسلت قبومها إلى الأراضي لتتازع عليها باعتبارها حقا من حقوقهم حيث أن الدواوير المذكورة كثرت وموجود منهم خمسة وعشرون في جبل طامر وحمام حباب الذي ليس فقط لم يرجعهم لأرضهم بل الطاعز أنهم تعرفوا لهم بحقوق على أرض متأسس لنا والفرائش غادتهم سب الآن يأخذ يقع التعريف هم بالحدادة المارة من قب لواء بجلي بورمان وتنكلة واد الماء الأبيض والواد المعلوم وحقة الصفصاف⁽²⁾.

وكنتيجة لتسلك الفرائش بأراضيهم فقد عمدت السلطات الفرنسية إلى محاولة الباي عن طريق قضاها في تونس حيث تناول حاكم الخوايز في رسالته بتاريخ 22 مارس 1861 الأوضاع على الحدود التونسية-الجزائرية على مستوى عمال الفرائش والتي أكد فيها على عصيان الفرائش لأوامر الباي ومطالبة السلطات الفرنسية من السلطات التونسية أن يلزم رعاياها من الفرائش باحترام الحال كما هو عليه على الحدود خاصة أن ذلك يأتي في الوقت الذي على ما يبدو ستاؤل فيه مسألة رسم الحدود بين الطرفين التونسي والفرنسي بشكل رسمي، كما طلعت من الباي حتى يأمر بالمحازنية من جديد لإتجاهل الفرائش من الأراضي محل النزاع بين الطرفين وقد جاء في رسالته : «بأن دواوير من الفرائش بعدد كبير تحاوروا الحدادة قرب تبة وأن باي تونس عين لهم من المخرج ليخرجوا من هناك ولم يطعموا له فقي الوقت الذي به شتق للداولة رسميا بين دولتي فرنسا وتونس لفصل نازلة الحدادة لرغب كثيرا إحترام الحال على ما هو عليه وكذلك أذنت الجنرال حاكم قسم قسطنطية بأن لا يستعمل الغصب مع هؤلاء الفرائش الذين نزلوا بقرب تبة لإخراجهم من هناك وذلك لمنع كل واقعة جديدة ينتج منها مشاق فصل نازلة الحدادة غير أنهم لم يفهموا معنى هذه المساعدة وانتهزوا فرصة إعطائي الأذن بريد ما تحري (عجب) منهم سابقا بالتسام ودخلوا

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

في أراضي وادعوا بأنها أرضهم مع أننا حينئذ لم نكن نعلم أن فرنسا كانت تعرفها منذ سنة 1852 وفيها الآن أبنية أوروبية...
فلخرجو منكم أن نعرضوا على جناب الباي ليعده أمر المحاذية في ادخال الفرائش
للحدادة التي كانت معروفة لهم للآن⁽¹⁾.

وبالنسبة يمكن القول أن الفرائش ورغم عمليات الإغارة والعنف التي مورست ضدهم
من أجل إعادتهم عن أراضيهم فإنهم بقوا متشبثين بأحقية ملكيتهم التي قامت السلطات
الفرنسية بحمايتها لتوطيد المعمرين الأوروبيين بها، ويبدو أن الفرائش علموا بتوقيت المداولات
بين السلطات التونسية والفرنسية لذلك عملوا على الرجوع إلى أراضيهم متتهين سياسة
ضغط النفس التي كان يتخلى بها الفرنسيون في محاولة من قبائل الفرائش على ما يبدو
لفرض سياسة الأمر الواقع على الفرنسيين خاصة أن السلطات الفرنسية كانت حريصة على
فض مسألة ترسيم الحدود دون مشاكل بين الطرفين، وهو ما يؤكد على أن قبائل الفرائش
ورغم صدهم من طرف السلطات الفرنسية وذلك عن طريق الإغارة عليهم وغصبهم على
الخروج، فإنهم تمسكوا بأراضيهم حتى أن الفرائش (صناروا) عتقلوا مع عرباننا (الجزائريين)
في المسافة الكابتة بين الخططين من عين الشجرة إلى خيفة الصفصاف⁽²⁾.

ويبدو أن السلطات الفرنسية رأت في ذلك خطرا ما قد يؤدي إلى تصادم بين القبائل أو
محاولة من السلطات التونسية إلى التدخل من الحدود التي رسمت سنة 1852 وهو ما أكدته
حاكم الجزائر بقوله : ومن يوم إلى يوم يمكن أن يقع بينهما حصار يجري فيه الدم ويرمي
التحير في الحدادة، فانشرف بأن أطلب من فضل جنابكم أن تعلموا القنصل بتونس هذا
الخط وندعوه أن يطلب من جناب الباي أن يرد الفرائش الآن على بكاره ولا الرجوع على
حدادة ليست منذ سنة 1852 ومبينة في كازطة الجزائر التي رسمتها لجنة الحرب سنة 1852
وإن زكنا الفرائش يوصلوا لتكلم البعيدة من تبسة ثلاث ليغات فقط كأننا فتحنا الباب
لسرهم ويضل الأمان في غواوير المدينة نفسها ويضيق ما فعلاه منذ سنة 1852 لتكبير
الراحة وإلها في هذا القسم من الحدادة⁽³⁾.

1 - المصدر نفسه: الوثيقة 119. - تعريب نسخة مكتشف للارشاق ماكنم الخرابم للقنصل الفرنسي بنجس
في 22 مارس 1861.

2 - المصدر نفسه: وثيقة 20.

3 - المصدر نفسه.

وزعم محاولة الصدد والمنع التي انتهجتها السلطات الفرنسية فإن قبائل الفرائش يبدو
أنها لم تكن معنية بما يحصل بين سلطات الإيالتين من محاولات لفض النزاع الحدودي، بل
كانت مصرة على ما يبدو على التمسك بأراضيها واستقلالها وذلك من خلال ما ورد في
رسالة القنصل الفرنسي بتونس روستو إلى محمد الصادق باشا باي تونس بتاريخ 25 ديسمبر
1861 والتي جاء فيها : «بلغني من تبسة بأن التونسية دخلوا مرة أخرى إلى ترابنا ووصلوا إلى
رقبة تنكله وبكارها وذكروا أن مرادهم حرث الأراضي شرقي تلك الجهة...»⁽¹⁾.

وبذلك فإن السلطات الفرنسية كانت تتلرع بحرصها على الأمن بين القبائل حتى لا
تقع صدامات بين القبائل الجزائرية والفرائش وفي ذات الوقت محاولة التأكيد على الباي
بأن يمنع الفرائش من استغلال الأراضي محل النزاع وأجلائهم عنها وذلك من خلال ما
جاء في الرسالة سالفة الذكر... فالظاهر أن الإذن الذي صدر من جنابكم إلى الفرائش
بالخروج من التراب الذي طلبه حاكم عموم الجزائر والرجوع إلى الحدادة لم يعمل بمقتضاه أو
أن سبق منهم الفصل على مقتضاه فقصوه... ولا يخفى عن جنابكم الغيار الذي يمكن أن
ينشأ في غياب الفرائش⁽²⁾.

ويمكن القول أن السلطات الفرنسية كانت تعمل على الضغط على السلطات التونسية
حتى تقوم بإجلاء قبائل الفرائش من الأراضي الحدودية وذلك من خلال إختلاق بعض
الذرائع : «لأن هذا من الممكن أن أدخلوا التونسية لبعض عروشنا شيء ولم يرجع لهم حقهم
يصلوا إلى اليد ويقع تحجير في الحدادة ويجب حيشه الابتعاد عن هاته الأسباب لأن في
عواقبها ينشأ الغيار على كل وجه فاطلب حينئذ... إعطاء الإذن اللازم إلى الحدادة بغصب
الفرائش على الرجوع ثانيا من التراب الذي طالب (به) المارشال دوك دي مالاكوف ذاكرا
بأنه من تراب الجزائر وبعد تعدي حدادة العمالتين إلى أن يقع الكلام في نازلة حوز هذا
التراب المتنازع فيه⁽³⁾، على حد تعبير القنصل الفرنسي.

وأمام الإلحاح الفرنسي على الباي فإنه أعطى الأوامر إلى مستشار وزارة العتالة بأمر قياد
الفرائش بالخروج من التراب الجزائري والذي جاء فيه ما يلي : «... أما بعد فإن القنصل

1 - المصدر نفسه: الوثيقة 45. - رسالة من القنصل الفرنسي روستو بتونس إلى محمد الصادق باشا باي
تونس بتاريخ 20 ربيع الأول 1276 هـ الموافق 25 ديسمبر 1861.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

الفرنسي عرض على سيدنا شكايه وردت له من حاكم الجزاير بأن الفراهيش دخلوا مرة أخرى إلى تراب الجزائر ووصلوا رقبه تنكله ويكادها وذكروا أن مرادهم حرق تلك الأراضي التي هي شرقي تلك الجهات وطلب الإذن من مولانا في كف هؤلاء الناس عن هذا الفعل وصدر الإذن بإعلامكم لتخاطبوا قياد الفراهيش بأن يرجعوا لمكاهم ويخرجوا من التراب المذكور على مقتضى الإذن الذي صدر لهم سابقا¹.

وأمام محاولات الفرنسيين إبعاد الفراهيش عن الأراضي الحدودية، فإنهم لم يأخذوا ذلك على عمل لحده بل إن الفراهيش كانوا يرون أن الأراضي المتنازع عليها من حقهم ولم يعبروا السلطات الفرنسية - الجزائرية أي اهتمام بل وزادوا إلى الأمام لأن في اليوم الحادي والعشرين من سبتمبر حضروا إليهم إلى سهلة تبسة وأكلوا (الجزائريين) أكوام الثمن². وهو ما اعتبره الفرنسيون من قبيل التفريط³، وإن ذلك قد وسبب هرج وتجير في الحدودية⁴، معتبرين أن ما قام به الفراهيش ثم يتفق مع السلطات التونسية وهي أن أولاد وزاز يستولون على ما ظهر إلى جماعة أرسلت في شهر أغسطس (أوت) الماضي من تونس إلى الحدودية ليأتمروا فيها يدعوا بأن الحدودية تعد على رقبه بكاريا وبورمان رقبه تنكله فحشيت جميع التراب الكاين شرقي تنكله بين بحيرة الأرنب بكاريا وبورمان للعماله فزلوا فيها وقسموا تراب الخرب بينهم⁵.

ويبدو أنه مع اقتراب فترة الحرب فإن مشكلة الحدود تعود لتطفو من جديد وهذا التراب اعتبر من حقنا (الجزائريين) وفي كل عام أهل عماثنا يزعمونه وحصاده منذ أشهر قليلة وحيث الآن قرب وقت الزرع ولم ينتظر إلى الأمطار الأولى⁶. ويرى الفرنسيون أن هي الحدودية متعلقة بالقياد الذين يقع ولائهم على عروش الحدودية⁷. باعتبارهم لا يؤدون

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 49. «أمر من الباي إلى مستشار وزارة العمالة بأمر قياد الفراهيش بالحسوع من التراب لجزاير في موزع بتاريخ 17 ربيع الأول 1276 هـ / 12 أكتوبر 1861».

2 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 50. «رسالة من القنصل جيسيو إلى حاكم الكلف بفتصلات جسرال فرانسيس بالقبلة إلى محدة الصافي بلبا في تاريخ 5 ربيع الثاني 1276 هـ / 10 أكتوبر 1861».

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه.

5 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 57. «عرب رسالة للرشال لفتصل فرنسا بتاريخ 4 أكتوبر 1861».

6 - المصدر نفسه.

7 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 63. «رسالة من السبيور ليون رول لتكلف بأمر دولة فرنسا وفتصلها الجسرال لوليس في 3 يناير 1862 الموافق لـ 2 رجب 1276 هـ إلى محدة الصافي بلبا».

وظيفتهم بل اتهامهم بإثارة المشاكل والتواطؤ وإن ما يحدث من شعب وغارات على مستوحي الحدود لا يتم دون علم القايده ولاكن لا يسوغ للقياد ادعاء الجهل في غارات وقعت في عدد كبير من الأتجار الذين لا يتيسر اجتماعه في مكان من غير موافقة القايده المتولي على المكان المذكور⁸.

وفي نفس الوقت اعتبر قياد الفراهيش محرضا للقبائل على التوغل داخل الأراضي المتنازع عليها منذ زمن بعيد وهو ما أكدته القنصل الفرنسي ليون روش بأن «محمد بن علي أظهر مرة أخرى أن ما أصابه من العقاب سابقا لم ينقص ميله الشرير للذاتي لحتى الحدادة ولا شك بأنه يقتضي نظرا لجناب العلى استعمال ما يتناسب مع العامل المذكور لمنع نتائج شرورته»⁹.

ويبدو أن السلطات الفرنسية - الجزائرية أنشأت حرسا للحدادة لمراقبة انتهاكات الفراهيش وصدهم عن الأراضي المتنازع عليها حيث «أنه صدر إذن شديد من الجزاير لحراس الحدادة وهذا الإذن يقتضي مضرة من يتحاصر بالتعدي على غروشتا»¹⁰.

وأمام كثرة التشنجات على المنطقة الحدودية أصبح لدى السلط الفرنسية قناعة راسخة بأنها لا تستطيع إيقاف الانتهاكات الحدودية التي كانت في مجملها موجهة نحو التصدي لوجودها في المنطقة، لكن يقدر وعي الحكومة الفرنسية بأن الحدود أصبحت غير قابلة للسيطرة عليها كانت تتجنب الدخول في عمليات تحديد بصورة نهائية ومدققة في المنطقة الحدودية رغم أن حاكم تبسة عمده إلى وضع علامات تحديد على طول الحدود بين مجالي الفراهيش ونظرائهم من قبائل «الغرامة» وذلك بتاريخ 11 رمضان 1283 هـ / 1866، وهو ما ذكره سمير بن علي بن زهو في رسالته إلى العامل علي الصغير بن مبارك والتي جاء فيها مايلي : «أخبرني علي شان حاكم بلد تبسة فإنه قدم إلى بلادنا (...) تخبرك سيدي كل ما بلغك من الخبر على حاكم البلد المذكور فهو صحيح وجعل علامات العلامة الأولى جعلها في راس الذراع الذي متاع فج الميطة الذي مقابل عين موسى جدي من جوف والعلامة الثانية في العين البيضاء الذي غرب كدية سيدي صالح والعلامة الثالثة في راس الذراع الذي جوفي عين طاقاة والعلامة الرابعة في راس الكدية الذي تشهر بالمدقشه الذي

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

عربي عن طائفه أيضا وصار مقربا قوما إلى أن بلغ نعيمة بزرقان وجعل فيها علامة وصار مقبلا وجعل علامة أيضا في رأس الخنق وصار مغربا إلى أن بلغ إلى عشوم النمرين الصغيرة وجعل فيه علامة أيضا وجعل علامه أيضا في البكاره وجعل علامة أيضا في بر السبايكنه في حقة الصفصاف من حوف وجعل علامة في رأس المظلل متاع البطن من حوف وجعل علامة أخرى في مرصد البطن من حوف امتن (....) إلى الركب وجعل علامة في الطوبه من غرب وجعل علامة في رأس السكه من حوف وجعل علامة في بر العائر من قبله على حد الطريق لشار غربا وشرقا ورجع عليا من دهايه إلى أن بلغ إلى بر ام على ومعه خمسة أفراد فيهم القايد شتوج من عبيد الواحد وجعل فيها علامة أيضا¹.

ورغم علامات التحديد التي وضعها حاكم تبة فإن ترسيم الحدود لم يكن بعد واضحا ولم يلق نقابوا لدى السلطين التونسية والفرنسية على ما يبدو وهو ما جعل السلطات الاستعمارية تطالب بتاريخ 8 جمادى الثانية 1292 هـ / 12 جويلية 1875 بالتريث في ذلك وهو ما أكدته حاكم الجزائر في رسالته إلى الفئصل الفرنسي بتونس بقوله : «وإذا لم يساعد الوقت الآن في الكلام على شأن ترتيب الحدود من الجهتين فإنه يماسب أن كل عرش يقى بوطنه الأصلي»²، وهو ما قد يمكنها من فرض رقابة حدية على محال نفوذها، فقد كانت متأكدة من عدم جدوى رسم الحدود آنذاك والتي كانت ربما تلقى ملاحظة كثيرة من الأهالي كما يمكن أن تكون صعبة على أرض الواقع، كما أن الظروف العالمي ليس مواتيا لطرح مثل هذه الإشكاليات التي من شأنها إثارة حفيظة القوى المتنافسة³.

كما أن تكرار محاولات القبائل الجزائرية للمهاجرة داخل الإيالة التونسية للعودة إلى التراب الجزائري مطالبة باستمرار أملاكها الترابية وأراضي المرعى خاصة، أدى في كثير من الأحيان إلى مناوشات بين القبائل وذلك إثر نزول أولاد سيدي الحمادي (فرع من قبيلة أولاد سيدي عبيد الجزائرية الذين كانوا قد هاجروا إلى الإيالة التونسية) بـسعيهم (أغنامهم) في صحراء

1 - أ و ت، السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 2/343، الوثيقة عدد 58، رسالة من الصمصوم علي بن

رهم إلى العاهل علي الصغير بن عمار بتاريخ 11 رمضان سنة 1283 هـ / 1866.

2 - المصير نفسه، وثيقة عدد 70، «تعارف من حاكم الجزائر إلى الكلف باصور دولة فرنسية بتونس بتاريخ 8 جمادى الثانية 1292 هـ / 12 جويلية 1875».

3 - أ و ت، السلسلة 18، صندوق 204، ملف 1، وثيقة رقم 1، 104، ورد على لسان وزير الخارجية الفرنسي «الفد الملقبي صغير القنطرة بنفسه على لفظات هذه الأخيرة ما جعلني أؤكد له أنه لا توجد تبة بالكرة لتغير الوضع القائم».

عمل تبة⁴. طالبين إعادة الاستقرار بأراضيهم السابقة، ما أدى إلى حصول معادلات مع أهالي قبيلة التمامشة وأولاد سيدي عبد (فرع بكارية خاصة⁵). وقد تعاقدت بذلك التحفقات الفرنسية، وهو ما دفع الحاكم العام الفرنسي في الجزائر «شارلي» (Charney) والفئصل الفرنسي ووسطان (Roustan) إلى مطالبة قبيلة الأولاد حيو الدين بالامتناع على الساتكو (Lo statul-quo)⁶، أي الوضع القائم، باعتباره أن ذلك «يعتبر مانعة من الحدود التي لم تزل في الشك لا تعطي حقاً لأحد من الجانبين في استحقاق تلك الجهة قبل الانفصال في تعيين الحدود»⁷.

كما جذرت السلطات الفرنسية الثاني من تدفق أولاد سيدي الحمادي إلى الأراضي الجزائرية وذلك من خلال رسالة الفئصل الفرنسي بتونس ووسطان (Roustan) إلى الوزير الأكبر والتي جاء فيها : «أن أولاد سيدي الحمادي الذين نزحوا في العصبية المارطلة جهة تهرين بين جبل زقاق ويزراني نزحوا الآن جهة أبو موسى العوامي وجهة وادي سوفية ووادي شعراوي وسعيهم يصل في الرعي إلى منطع عين الشروق بالتمامشة الذين صاروا على نهاية في حرتهم سينزلوا للصحراء فيختطفون بأولاد سيدي الحمادي ما عدى جهة تهرين ولذلك يوشك وقوع المشاجرة بين الطرفين وكذلك السوفية سيقدموا بسعيهم الأراضي التي يطلونها ويطلونها أولاد سيدي عبيد فيخلدون أنفسهم مع رعابا تونس فإذا أدام عدم المظربدة أخرى فإن قلة المرعى تلزم هؤلاء الرحالة بأن يلتفوا في جهة واحدة ويحشوا وقوع المرح مع ذلك، وبموجب ذلك نرى أنه لزم خطاب القبولة التونسية بأنها تنه على أولاد سيدي حمادي بالانتقال إلى الجهة الأخرى من الحدادة...»⁸.

1 - أ و ت، السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 235، وثيقة عدد 73، رسالة من الصمصوم ووسطان للكلف باصور دولة فرنسية ولتصلها الجزائر بتونس إلى الوزير الأكبر جبر الدين باشا بتاريخ 10 شوال 1292 هـ الموافق لـ 12 نوفمبر 1875.

2 - أ و ت، السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 229، وثيقة عدد 118، «ولد كلف السلطنة الفرنسية تبة أقرب أولاد سيدي عبيد في المنطقة المنارح حولها والتمامشة حيز العائره وهي منطقة ذات أهمية كبيرة جعلت عليها السلطة العسكرية الغربية مركز انطلاق العمليات عتصم الطور أيضا» أ و ت، السلسلة 18، صندوق 204، مضمهر سابق من 66.

3 - أ و ت، السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 232، وثيقة 73.

4 - المصير نفسه.

5 - المصير نفسه، الوثيقة عدد 73، «رسالة من الصمصوم ووسطان للكلف باصور دولة فرنسية ولتصلها الجزائر بتونس إلى الوزير الأكبر جبر الدين باشا بتاريخ 10 شوال 1292 هـ الموافق لـ 12 نوفمبر 1875».

ويبدو أن القراشيش بدورهم تمسكوا بأراضيهم موضع النزاع حيث بأن فرقة أولاد عزيز من القراشيش حرثوا في الحفود... وهم من فرق متعددة بالروابع حيث حرثوا في كادية سيدي صالح والصوق (الزرق) حرثوا في جبل شطاطيب والزراعة حرثوا بأبي شيكة¹. وقد أغروهم على ذلك قائد القراشيش ليصور لهم حتى بأن يطلبوا تلك الأراضي التي حرثوها فيها الآن إذا وقع الفصل في تعيين الحدود بين العمالتين².

وبما أن السلطات الفرنسية طالبا تحجيت الدخول في الحرية الجديدة وسعت دوما نحو القيام ببعض محاولات فرض النظام في المنطقة الحدودية بتعاونها مع السلطة المركزية في تونس من خلال تكوين لجان مشتركة للنظر في النزاعات القبلية على الحدود، فالمرجحت الحكومة الفرنسية اثر ذلك على الوزير خير الدين تكوين لجان مشتركة للنظر في النزاعات الحدودية المعلقة بين القبائل وهو اقتراح تته الحكومة في لرنسا طالبا لا يحس به الوضع القائم³.

لقد مثل ومؤقر سيدي يوسف، أول بحرية من هذا النوع⁴، اهتمام حلاله الطرفين بحل المشاكل المتعلقة بعمليات الإغارة والسرقات والغصب في المنطقة الحدودية، وقدم خلال مداولاته الجانب الجزائري تقريرا مفصلا عن مختلف الحالات التي تعرض لها الجزائريون بينما طلل للوزير التونسي ضيفا إذ لم يستطع الجنرال رشيد عرض الشكاوى التونسية إلا بعد شهر من ابتداء أعمال اللجنة⁵. وهو ما يعطينا تصورا بأن السلطة المركزية في تونس لم تكن تحدي أهمية كبيرة لما يحدث في المنطقة الحدودية ربما من قبل وهي بالأهمية الأمتية لهذه المنطقة، فيما كانت السلطات الفرنسية تتقدم بشكاوى كلما للدمت قبائل القراشيش تجاه السهول الغاذية لبسة وبكارة وتونكله من أهل المروى أو المرفط خاصة أن السلطات

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

3 - محضر مصادرة وزير الحربية إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 16 أفريل 1875.

4 - Archives Doune - Mar 1875, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100.

5 - سجل اتصال هذه اللجنة التي جمعت بين الجنرال رشيد كتيبة... (FEBLIAARD) فقد متعلقة عنده كممثل عن الجيش الفرنسي يوم 10 جوان 1875 ومختبر إلى جانب المتكلم عن الحكومة التونسية والحكومة الجزائرية... (البيان بعناية) والملك بركيز سيدي يوسف المنطقة الحدودية الواقعة بين القبائل... (البيان بعناية) في حويلية من نفس السنة قبل.

6 - Ibid - Folios 333, 350, 351, 352, 353, 354, 355, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 362, 363, 364, 365, 366, 367, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 387, 388, 389, 390, 391, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400.

7 - النظر... (FEBLIAARD) 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 387, 388, 389, 390, 391, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400.

الفرنسية كانت تعتبر أن «نازلة الحرب هذه لا اعتبار لها في ذاتها لاكن يلزم الاعتناء بها لأنها إذا تركنا التونسية ينزلوا في تراتنا من غير تسجيل على تعديهم المذكور لعل ذلك اعتراف منا باستحقاقهم الأرض المذكورة التي يحرثونها الآن فيعسر بعد ذلك احتكاكها منهم»¹، على حد قول حاكم عموم الجزائر الذي طالب الفصل الفرنسي بتونس بأن «يجلب نظر الدولة التونسية على هذا الأمر حتى يعلم القراشيش أن حرثهم الآن تلك الأراضي لا يعطيهم حقاً في استحقاقهم لها فيما بعد»².

وعلى عكس السلطات الفرنسية، فإن السلطات التونسية لم تكن على ما يبدو على وعي تام بما يحصل على الحدود واعتبار ذلك أمراً هامشياً لا يعدو أن يكون مجرد علاقات بين القبائل لذلك فإنها اكتفت بإرسال بعض المحجج وتكليف عامل الكاف بالبحث عن ذلك³. حتى أن السلطات الفرنسية لم تأخذ ما قدمه عامل الكاف من حجج على محمل الجد بل اعتمدت التقرير الذي وجهه في 11 يولييه (جويلية) الفارط حاكم عامل تبسة للجنرال حاكم عمل قسطنطين⁴، والذي ورد فيه ما يلي أنه «في دعاوى كل من الجانبين المتنازعين وبيان المحجج التي يستند إليها كل منهما دعاوية مع مزيد التحري في قطعة الأرض الواقع بها النزاع والجواب هو أن الحدادة بالمكان المذكور هي التي رسمت بمقتضى العادة ووقع التعرف بها في 1866 من الجمعية التي وقع تكليفها بتبسة بإجراء ما تضمنه أمر الأمير نابليون في النازلة والحدادة المذكورة تنبدي من حققة الموحدة وهي قطعة يتساوى بها أولاد سيدي يحيى وأولاد سيدي عبيد وقرم للقبلي على طريق موصل للجامع سيدي ظاهر وهو بتراب عمالة تونس وتحديدها بالمكان المذكور هو حققة الجمل بجبل الصيف وعين نافرة ويزر قرم وزيت ومن سيدي ظاهر تتوجه الحدادة لجهة الشرق وتنزل بوادي بودرياس إلى أن تصل لسبالة بودرياس ثم بين القبلي والغرب وتنتع طريق بير أم علي إلى فج أم تامسميدة وقرم على فج التين وشنير قصة ومن فج أم تامسميدة ثمر لحدادة يخط مستقيم بين القبلي والغرب إلى كدية أم علي الكائنة شرقي بير أم علي الذي هو بأرض الجزائر ثم من كدية أم علي تتوجه

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

3 - المصدر نفسه

4 - المصدر نفسه

5 - 1 - أ. ت. السلسلة التاريخية، جندوب 212: ملف 232، وليقة عنه 73، «تعرّيت رسالة من حاكمهم عموم الجزائر إلى قنصل فرنسا بتونس 28 أكتوبر 1875».

6 - 3 - المصدر نفسه، الوثيقة عنه 75 - رسالة من مسبو رسطان المكلف بأمور دولة فرنسا وقنصلها بالجنرال بنون إلى الوزير الأول غير المعلن بأشيا بتاريخ 11 رمضان 1293 هـ الموافق لـ 30 سبتمبر 1876.

7 - المصدر نفسه

جهة القبلي إلى أن تصل إلى حقة القل ومنها تتج رأس جبل الصفصاف ومنها تدخل جهة القبلي هذا وإن أولاد سيدي عبيد يستولوا في دعواهم على قطعة الأرض المذكورة إنما كانت دائما في حوز عروش الخزاير وبقيت محافظين عليها إلى الآن من غير القطاع منذ استولوا على عمالة الخزاير ويستولوا أيضا كاستدلال الفراهيش بأن هم مقابر قديمة بالمكان أقدم من مقابر الفراهيش وأكثر منهم عددا وما يلزم اعتباره هو أننا اعتبرنا دائما القطعة المذكورة أنها قطعة من أرض الخزاير وواقعنا عليها سابقا بالقوة كدفاعنا على بقية الحدود لأن الفراهيش لم يدعوا إلا فقط على هذه الأرض المخصصة وهي ابن فالب وذراع الحريا وبوشكة بل سنة 1861 أولاد وزار نزلوا مرة أيضا بالمكان المذكور كنزولهم هذه المرة فأمر المارشال بليسي الذي كان إذ ذاك حاكم عموم الخزاير بالتبنيه عليهم بالرجل وإن لم يحتلوا يقع غصبهم⁽¹⁾.

وأمام المحاولات المتكررة من السلطات الفرنسية لفرض النظام على الحدود التونسية الجزائرية وخاصة فيما يخص ضبط المجال بين القبائل الحدودية فإنها عملت على قبول دعاوى أولاد وزار المدعين ملكيتهم للأرض محل النزاع، وأنها ذهبت إلى أكثر من ذلك وذلك بالتعاون مع السلطات التونسية من أجل تكوين لجنة مشتركة للبحث في خفايا النزاع الحدودي وهو ما عبرت عنه رسالة روستان وقنصل فرنسا إلى الوزير الأول خير الدين والتي جاء فيها : «أن أولاد وزار مدعين على الأرض المذكورة منذ مدة وبين كيف كانت تقبل منا دعاويهم للمذكورة وفي شهر أغت (أوت) من السنة المذكورة (1861) توجه أنصار من جانب الدولة التونسية وهو ضابط عسكري ومهندس أوربواوي ومروا على جهة الحدادة المذكورة واستوعبوا حالها من أهل العمالة التونسية وقيدوا شهادة كل واحد من هؤلاء المسؤولين...»⁽²⁾.

ويبدو أن أولاد وزار استشهدوا آنذاك بمقابر هم بالأراضي المتنازع عليها وهو ما لم تذكره السلطات الفرنسية «ومنذ ذلك العهد كان أولاد وزار يدعوا وجود مقابر لهم بالمكان المذكور وبوجد حقيقة أماكن بها مقابر جهة غير روابح وجنوبي بقية ينزل لها الفراهيش»⁽³⁾. وأرجعت السلطات الفرنسية وجود تلك المقابر وأنها حدثت في المدة التي كانت العروش المتحددة عائشة بالها مع بعضها وكانت تختلط مع بعضها بحيث أن الفراهيش كانوا ينزلوا

عند أولاد سيدي عبيد من غير أن يمتنعهم أخذ وهذا هو السبب الذي صار به روابح مسمى باسم إحدى فرق عرش الفراهيش أقسم أقاموا بالمكان المذكور أكثر من إقامتهم بغيرة⁽⁴⁾. كما اعتبرت السلطات الفرنسية - الجزائرية أن «ما يستند إليه التواصة يستند إليه الجزائريون أيضا لأن للحزبين مقابر بالمكان المذكور ولعلها أكثر من مقابر الفراهيش، كما يوجد بالمكان المذكور مطامر قديمة كانت لأولاد سيدي عبيد...»⁽⁵⁾.

كما تمسكت السلطات الفرنسية بأن هذه الأرض كانت منذ زمن بعيد محل نزاع حول الحدادة وأن التحقيق أثبت «أن في الزمان السابق كان دائما شك بين الجانبين في نازلة هذه الجهة من الحدادة الممتدة قبلي بكارية ولما تولت الدولة الفرنسية إدخال أولاد سيدي عبيد والسماسة لطاعتها في سنة 1842 وهم كانوا نازلين إذ ذاك بالجهة المذكورة استولت دولتنا على الأرض المذكورة وكلما كان التواصة يريدون الدخول لها متعاضمين»⁽⁶⁾.

وقد ذهبت السلطات الفرنسية أبعد من ذلك في تكرارها لحقوق الفراهيش في الأرض وادعت أن «دعوى الفراهيش تختلف دائما مع كثرة المبالغة»⁽⁷⁾. معتدة أنه «لا يتيسر للدولة التونسية الوقوف مع الفراهيش في دعواهم... لعدم صحتها»⁽⁸⁾. وأنه إن حصل واسترد الفراهيش تلك الأرض المتنازع عليها فإن ذلك ينتج منه منع أولاد سيدي عبيد عن حمل زرعهم ومرعى أعمامهم وتخليطهم مع السماسة قصير الأرض متنوعة عن الجانبين المتنازعين»⁽⁹⁾.

كما أن السلطات الفرنسية التي كانت تخشى من ترك الأرض محل النزاع دون استغلال من الجانبين والرجوع عن الحد المذكور إلى الخلف، فإن الفراهيش الذين لا يعرفون الحافطة على الشرط لعلمهم بخالفوا إذن أمرهم ويستولوا على تلك القطعة التي يقع الاتفاق على بقائها الحالية من الجانبين»⁽¹⁰⁾.

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

3 - المصدر نفسه

4 - المصدر نفسه

5 - المصدر نفسه

6 - المصدر نفسه

7 - المصدر نفسه

8 - المصدر نفسه

9 - المصدر نفسه

10 - المصدر نفسه

1 - المصدر نفسه

2 - المصدر نفسه

3 - المصدر نفسه

وبالتالي يمكن القول أن سياسة التمييز بين محالي الفراشيش والغرابية التي سلكتها السلطات الفرنسية سعت بغير فعال في تحقيق الحقائق حول تحركات القبائل المحدودة والتي بنسكل فعال في غط عيبتهم وهو ما خلق حالة من التدمير والتسلل لدى متساكني المنطقة بالحدودية الذين وجدوا صعوبة في التحرك داخل المجال وهو ما ولد حالة من الشعور بالتمييز والتفرق بين الفراشيش وجراغهم من الغرابية.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لقبائل الفراشيش و«الغرابية»

1 - نمط عيش القبائل الحدودية

1 - العلاقات الاجتماعية

لقد تميز نمط عيش قبائل الفراهيش وقبائل «الغراب» بالأندواجية إذ هي تتأرجح بين الاستقرار من جهة والترحال الجزئي، وتجمع بين النشاط الزراعي والنشاط الرعوي وذلك وفق المتغيرات المناخية والاجتماعية والسياسية.

ونظرا لامتداد مجال الفراهيش في ضاحية الغربي محاذيا لجبال قبائل «الغراب»، فإن الموقع الحدودي قبل حلول الاستعمار الفرنسي بالجزائر لم يكن يؤثر كثيرا على حياة ونمط عيش القبائل المتجاورة، بل كانت تلك المجموعات القبلية تشترك مع بقية المجموعات القبلية المحلية أو الخارجية في نمط عيشها وثقافتها، وبالتالي فلا الحروب بين الإيالتين في السابق، وولا أوامر المنع الصادرة عن الحكام كان لها تأثير على أسلوب عيش أهالي المناطق الحدودية من الحاليين ولا على علاقات التواصل التاريخية، لذلك كان القضاء الحدودي مفتوحا بين البلاد التونسية والجزائر وكان يتميز بخصوصيات بشرية متداخلة بين القبائل التونسية والجزائرية، فتحرك القبائل في المجال الحدودي كان مرنا وسهلا ذلك أن الحدود بمفهوم الحدود العازلة لم تكن مطروحة لدى منسأكي هذه المجالات فقد كانت تربط العديد من القبائل الحدودية التونسية - الجزائرية علاقات نسب⁽¹⁾، أو الانتماء إلى نفس المجموعة القبلية⁽²⁾، فالفراهيش كانوا يجرئون باستمرار بهجات بكارية وبشر العاتر جنوب تبة التي كانت تابعة للبلاد التونسية⁽³⁾. وأولاد بجيا من عمل تبة بجاورين للفراهيش وبينهما النسب والاختلاط⁽⁴⁾. لكن ظاهرة التواصل بين المجموعات الحدودية والتي صورها القائد العسكري رندون بـ «حالة

1 - أ. ت. السلسلة التاريخية. صندوق 212. ملف 241. الوثيقة عدد 72 بتاريخ 18 سبتمبر 1848. لقد كان لأهل صوف أو «المواطنة» في لغة الوثائق علاقات قرابية بأهل الجريد.

2 - المصدر نفسه. صندوق 212. ملف 229. الوثيقة عدد 62. سنة 1866. مثال تلك انفصال الزغالة وأولاد بوعلم إلى قسمين مجموعة أهل التراب التونسي وأخرى وأهل التراب الجزائري لأنها كانت في السابق تعيش في إطار مجموعة واحدة بيد أن عمليات التحديد قصصت مجال القبيلة إلى جزئين.

3 - الشامي (الأحرار). قبائل مااجر والفراهيش. - مرجع سابق ص 35.

4 - أ. ت. السلسلة التاريخية. صندوق 18. الملف 195. الوثيقة عدد 163.

الإصحاح الثامن^{١٠} أصبحت مصدر قلق بالنسبة لحكام الجزائر الحدد ودفعتهم إلى وضع حد نهائي لها عبر السعي إلى تحويل الحدود من قضاء مفتوح بين المجموعات اليهودية إلى عامل انفصال وتقييد.

ولكن عرفت كامل لسلطة اليهودية بين تونس والجزائر بطابعها الرعي، حيث كان المجال فيها غير محدد، فالقبائل من الجانبين كانت تنقل في هذا القضاء دون ضوابط وجوايز وكانت القبائل تمر في الأقاليم وتنوع على المجال الجزائري بين تونس والجزائر جنوب وادي سبرات أي منطقة الوسط الغربي للبلاد التونسية على الناحية التالية للفرانكيش ثلاثة عروش متجاورين في أملاكهم... فالعرش الأول يقال لهم أولاد علي^{١١}، والعرش الثاني أولاد ناجي^{١٢}، أما باقي تلك وغربا عنهم والعرش الثالث أولاد واز^{١٣}، وغربا عنهم أيضا فأولاد علي وأولاد ناجي فأولادهم من عمل الجزائر أولاد يحيى بن طالب وتقسيمهم قرة المازقة وقرقة العبادنة وقرقة للغارسة وقرقة الحمايلية وقرقة الطواينة وأما أولاد واز ليس لهم حجاز من الناحية الجنوبية من أعراس تلك الناحية... (بل غلغلم) بلاد النمامشة...^{١٤}

وبالتالي فإن العروش الثلاثة على الحدود هي عروش أولاد علي (المخروط)^{١٥} وأولاد زيد^{١٦} من قضاة، وأولاد الخاج والمواذات عرش (أولاد ناجي) والبغاية والرغاية والزوايح والمناذرة (أولاد واز) وأولاد سيدي تليل ويقابلهم من الجانب الجزائري فرق المراجع وقرقة المازقة وقرقة

١ - اقتصر وصول آل لقط الذي رسعه أو ما أطلق عليه اسم المصود من الجزائر وتونس ثم سكن في المواقع حول جهنم حدوده آل لقط حسب أنه كفت معنوخة من جميع الجهات والسكان يدخلون عن الموانئ التي استعملها بها ليعبر القضاة وفي سنة 1842 أغلقت تونس الموانئ الفرنسية في هذه المدن الحدودية لتعوض في حالة انتهاء إلى درجة أن قطعها لزم في تلك المدن هذه الأقاليم أو لندة المظفر بن سليمان الأعراب واليهودية - مرجع سابق ص 209

٢ - يتكون عرش أولاد علي من الفرق التالية: الموانئ، المازقة، المصافة، البليانة، أولاد ميمونة، أولاد ريد المروانة (أ)، غمسة القضاة، القفر: OP CIT - Nomenclature.

٣ - يتكون عرش أولاد علي من الفرق التالية: أولاد الخاج، المواذات، المازقة، أولاد موسى بن ناجي، أولاد، ميمونة، 1840

٤ - يتكون عرش أولاد واز من الفرق التالية: أولاد عسكري، الرغاية، الغنارة، الأقاليم العروسة، أولاد، ميمونة، البغاية، أولاد، موسى، والقضاة، 1840.

٥ - في السلسلة التاريخية صندوق 212 ملف: 229 الوثيقة عدد 110 و 114 و 68

٦ - يتكون عرش الموانئ من الفرق التالية: أولاد عين الله، العروسة، أولاد، ميمونة، أولاد، موسى بن إبراهيم، أولاد علي بن إبراهيم، المصافة، أولاد، ميمونة، الغنارة: OP CIT - Nomenclature.

٧ - عروش أولاد ريد هي: المازقة، البليانة، أولاد، يحيى، أولاد، شفاص، أولاد، ميمونة، بن ريد، أولاد، عبد الله، وأولاد علي بن ريد 1840.

العبادنة وقرقة للغارسة وقرقة الحمايلية وقرقة الطواينة وأولاد سيدي مزيك بن صحرابي والمامشة أو الممامشة ثم أولاد سيدي عياد^{١٧}.

ويمكن القول أن القبائل التونسية الجزائرية المتجاورة في المجال الحدودي جنوب وادي سبرات ما تكت تبين نوعا من التلاحم الاجتماعي والاقتصادي قرينة بالأساس التصاق مجالها وحمايتها المتبادلة، فهذه المنظمة السياسية التي شكلها الملتفاتات المحلية أقررت وحدة المجال الجزائري والطبيعي وتشابه عظم العيش والتاريخ المشترك والانسجام الداخلي بين القبائل اليهودية حيث أنه كلما اتعبنا حينما كان مجال «الندوة» لها يتسع، خارجا بمطلة الترحالي عن أي سلطة تقييد مركبة سقت الوجود الفرنسي (حسيني أو تركي)، فهم لا يعترف سوى بسلطة القبطية التي تخضع عروشها لهذا الحقبة خاصة أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية مثلت الحاضر الأساسي للحركة داخل المجال الحدودي حيث مثلت أراضي الرعي أو الخرج مركز صراع بين «العصيات» زادها القسوة للناحية تعمقا.

يمتد هذا المجال الحدودي من الشمال إلى الجنوب من جبل القنيطرة حتى حفرة الصفصاف مرورا بحمل أي ربيعة، عين الي، عين الشجرة، عين غلان، بكناية، توكلمه، بن فاليه، جبل غر وابت، وادي الماء الأبيض، طافقة، بن أم علي^{١٨}، ليفصل بين عياد العروش من القبائل وأهل قبيلة الفرانكيش من الجانب التونسي وأولاد يحيى بن طالب والمامشة أو الممامشة وأولاد سيدي عبد من الجانب الجزائري^{١٩}.

ويشكل هذا القضاء الحدودي عبورا مهما للمبادلات حيث مثل قضاء عبور ضروري بين الشمال الجنوبي والجنوب الشرقي إضافة إلى أهمية المعاملات مع الشرق الجزائري، فقد كان السكان من الجهتين يعبرون المنطقة في جميع الاتجاهات، فمدينة الكفاف مثلا كانت مركزا تجاريا نشطا تنصب بها كل يوم خميس سوق أسبوعية يؤمنها إلى جانب أهالي البلاد

١٠ - في السلسلة التاريخية صندوق 212 ملف: 229 الوثيقة عدد 110. والمظفر أيضا «مرونة تسيطر حدود العروش القبطية بالمصود التونسية الجزائرية من الشمال إلى الجنوب المصود نفسه السلسلة (A) صندوق 212 ملف: 27 وثيقة عدد 51

٢ - المصدر نفسه، السلسلة التاريخية صندوق 212 ملف: 229 الوثيقة عدد 110. «مراشات ومصحح ومصحح متعلقة بالمصود التونسية الجزائرية وتفسير شؤون العروش المتواجدة بالمناطيل الحدودية التاريخ 1767 - 1880»

٣ - المصدر نفسه، السلسلة (A) صندوق 212 ملف: 27 الوثيقة عدد 51 «مرونة تسيطر حدود العروش العبادنة بالمصود التونسية الجزائرية من الشمال إلى الجنوب»

التونسية رعايا إيالة الجزائر وتلتقي عندها على الأقل خمس طرقات قادمة من الجزائر، لعل أهمها تلك التي تمر عبر تسة والقالة وقسنطينة¹.

وبذلك يمكن القول أن شبكة الأسواق في منطقة التل العلوي متزامنة الأطراف، فهي تتصل من جهة الشمال بأسواق إفريقية، ولا سيما سوق الخميس وذلك بتحكم ارتحال المجموعات القبلية للسامب العليا إليها موسميا للعمل (ظاهرة المطايا أو الصياغة) أو للبحث عن المراعي الخصبة وبحكم حاجتهم للجنوب، وبحكم الخور التجاري الذي ينشق البلاد من الشمال إلى الجنوب²، كما تتصل هذه الشبكة بالتراب الجزائري وحامسة بسوق أمهراس والمجموعات القبلية الجزائرية الحدودية³.

وتعد سوق الأربعاء بزاوية القصور⁴، السوق القطب، فهي السوق الرابطة بين أسواق إفريقية، وأسواق السامب العليا، ولأن السوق تجلب الثمن لقضاء مصالحها⁵، فقد جاء في تقارير الضباط الفرنسيين أن 120 تاجرا متشكلا كانوا يؤمّنون سوق القصور لبيع مختلف البضائع التي يقع استهلاكها يوميا، أما عن المجموعات التي تسوق من سوق القصور فهي الفرائشيش وأولاد عيار وورثان وتوابيع وأولاد يعقوب⁶، وماجر والحمامسة ودوقان الكعوب والقوازين وبني ررق...⁷، وسوق القصور، سوق حبوب وحيوانات أساسا، فمعظم المجموعات القبلية المحيطة بها مجموعات رعوية تعتمد على تربية الماشية من الأغنام أو البقر (ورثان خاصة) إلى جانب زراعة الحبوب (أولاد عيار وأولاد عون) لذلك تحول إلى سوق يومية للحبوب في فصل الصيف⁸.

أما بالنسبة لعلاقات التبادل التجاري، فإن قبائل الوسط الغربي ترتاد القرى والمدن المجاورة لها وحتى البعيدة عنها، من أجل شراء أدوات الإنتاج مثل الخرافات والفأس والمنجل... أو ما

يحتاجونه من مؤونة ومواد استهلاكية كالملائس والبلغة والحلي وفي نفس الوقت يبيع متوجاتهم الفلاحية كالشمن والعسل والقطران والفحم والحيوانات والصوف... وتجعل سوق تالة أهمية كبرى بجهة السامب العليا فهي السوق الوحيدة بالجهة، وهي منسوبة إلى قبليتي ماجر والفرائشيش، ولكن يؤمنها التجار والمشترون من التل العالي والسامب السفلي والساحل ومن الجريد⁹، وهي أيضا سوق عامة تباع بها بعض المسوحات الصوفية من براسي وجوالي إلى جانب الحبوب والحيوانات من أغنام وماعز، إلا أن جماعة 1867 والأزمة العامة للبلاد التونسية ثم الاستعمار قد حد من أهمية هذه السوق¹⁰.

أما على الواحة الأخرى أي في إيالة الجزائر فتعد سوق أمهراس والذي تؤمه القبائل التونسية الحدودية كشارة وورغة وأولاد بوغانم، وتتركز المبادلات على الأغنام والحبوب والحلفاء وما يصنع منها من خصر وسجاد وقفاف... الخ¹¹، كما لعبت سوق تيسة نفس الدور إذ كانت تجلب إليها أهالي إيالة التونسية من القصرين وقوسانة وأقران وبودرياس والطباقة وحيدرة وتالة وفريانة والجريد أي قبائل الفرائشيش والحمامسة، وكان لأهل الجريد عدة محلات تجارية في المدينة... ويتوجه أهل الصوف أو الصنّاقفة تيسة إلى وادي سوق كما تسميهم الوثائق الذين كانت لهم علاقات مينة بأهل الجريد بدورهم إلى مدينة تونس مروراً بقسنطينة أو تيسة¹²، وبذلك يمكن القول أن المبادلات التجارية في كامل المنطقة الحدودية كانت تتم في كنف الحرية التامة من الجانبين دون حواجز أو موانع تعيق تنقلاتهم، فهذه التجارة الحدودية إن صبح التعبير كانت تتم في الأتجاهين فالتونسيون كانوا يؤمّنون الأسواق الجزائرية كما الجزائريون بدورهم كانوا يؤمّنون سوق الأربعاء بزاوية القصور¹³، وتالة وغيرها من الأسواق الحدودية ولم يستطع الاستعمار أن يضع لها حداً إذ تواصل تحريب البضائع عبر الحدود التونسية - الجزائرية رغم التطورات السياسية لكلا البلدين¹⁴.

1 - بن سليلم الأرض والهوية - مرجع سابق ص 309

2 - بن طاهر (مقال) «أسواق على الأنهار التونسية بالنسبة خلال القرن 18» - الكراسات التونسية، مجلد 37/38 الأعداد 145 - 147، 146 - 148، لسنة 1988 - 1989، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس ص 93

3 - المرجع نفسه والصفحة ذاتها

4 - أ و ت، سلسلة التاريخة صندوق 18، ملف 199 الوثيقة عدد 15205 بتاريخ 25 ربيع الثاني 1283 هـ

5 - المصدر نفسه، وثيقة عدد 15203، بتاريخ 25 ربيع الثاني 1283 هـ

6 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها

7 - بن طاهر، مرجع سابق ص 93

8 - المرجع نفسه ص 94

1 - المرجع نفسه والصفحة ذاتها

2 - المرجع نفسه والصفحة ذاتها

3 - المرجع نفسه والصفحة ذاتها

4 - بن سليلم الأرض والهوية - مرجع سابق ص 309

5 - أ و ت، سلسلة التاريخة، صندوق 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15205، بتاريخ 25 ربيع الثاني 1283 هـ

6 - بن طاهر، مرجع سابق ص 95

وبشكل عام يمكن اعتبار الأسواق الحدودية، أسواقاً ذات خصوصية تجارية لما تظهله من حمرة وجعل من متوحات الشمال من الحبوب معاصرة ومتوحات الجنوب والواحات والتي تشتمل أساساً في التمور واللباس الصوفية... فالقوافل التجارية والمبادلات عامة بين شمال البلاد وجنوبها تمر حتماً بهذه الأسواق¹.

وهذه عامة يمكن القول أن هذه الأسواق الأسبوعية كانت تعد أسواقاً عامة، فتجد بها كل المواد الاستهلاكية من حبوب وزيوت وقطور إلى جانب ما تتحه المجموعات القبلية للمنطقة من إنتاج حيواني كالصوف والماشية وبعض المتوحات الحرفية كالخضير المصنوع من الخلفاء ولباح الخمر والقطران والدهان... إلخ².

2 - دور الزوايا في حياة الفرائش والغرابة،

نظراً لما يتميز به مجال قبائل الفرائش وقبائل أولاد سيدي يحيى بن طالب والنامشة من موقع استراتيجي باعتبار أن الأول توسط الإبلات التونسية والثاني متاحم له يغطي منطقة الحضاب العليا والشرق الجزائري، ولتفاعلهما على بعضهما البعض وهو ما جعل من المجالين الحدوديين يتعبان دوراً هاماً في عملية التواصل بين الشرق الجزائري والفضاء الحدودي التونسي، خاصة أن شبكة الطرق والمسالك التي تشق المجالين الحدوديين جعلت منهما ممراً حيويًا للمبادلات التجارية بين الشمال والجنوب من جهة وبين الإبلات التونسية والجزائرية من جهة أخرى.

وكنتيجة لتشعب الطرق والمسالك المارة عبر المجالين تقللت هذه المسالك شبكة من الزوايا والأضرحة في الشريط الحدودي للمجالين فتجد على سبيل الذكر على الحد الفاصل بين قبائل الفرائش وجيرانهم من الغرابة، زاوية سيدي صحراوي بكاراية وجامع سيدي طاهر³ بمنطقة بوزرياس وخلوة سيدي عبيد بجميل تحرقه⁴، كما تنتشر بمنطقة الوسط الغربي عديد الزوايا والأضرحة التابعة للشريط الحدودي مثل زاوية الشيخ أحمد التليلي بقريانة والتي أطلقت أشغال بنائها في 7 محرم سنة 1146 هـ / 20 جوان 1734 م، لتأخذ إشعاعاً دينياً وعلمياً وعمرانياً هاماً أخرجها تدريجياً من وضع الهامشية التي ظلت عليها لزمن طويّل

1 - المرجع نفسه ص 87

2 - المرجع نفسه ص 88

3 - 1 و 2 - المسجلة التاريخية مسبوقة 212 ملف 252 الوثيقة عدد 76

4 - المصدر نفسه الوثيقة 114

لتحول إلى منارة علم تشع على ما حولها بمنطقة السبابة⁵، وزاوية الشيخ مبارك (ت 1865) التي تأسست بحالة سنة 1860 والتي كان لها نفوذ كبير إذ قدر الباعها - آنذاك - بنصف الفرائش⁶، وزاوية سيدي أحمد الزاير التي تأسست سنة 1847 في كدية الخلفاء⁷، وزاوية الشيخ الشافعي بعين المنشية (بين حيدرة وثالة) التي تأسست سنة 1278 هـ / 1862 م في شكل هبة من طرف فيهد بن سالم⁸، وزاوية سيدي علي بن إبراهيم قرب حيدرة، وزاوية المروانة⁹ وزاوية البنانة¹⁰، إضافة إلى أضرحة الأولياء وقبائهم المنتشرة بمجال قبائل الفرائش النحومية على كامل المسالك والطرق كسيدي بوعام بالسفح الجنوبي لجبل يريشو شمال غربي قوسانة وسيدي حمزة ببخيرة قوسانة والفالح بوشندادة بخصودة (قوسانة) وسيدي خرات بالسفح الجنوبي لجبل حمامة، وزاوية المولدي بمنطقة الحمار بقوسانة، ولقد اعتبر العديد من الباحثين أن الانتشار الجغرافي للزوايا والأضرحة، استراتيجي كانت تهدف إلى إقرار الأمن بالمناطق التي يتعسف بها الحضور المركزي، واعتبروا الأولياء أسبانيا للحدود¹¹.

أما بالنسبة لمجال والغرابة فتجد زوايا الأوراس كزاوية سيدي ناجي وسيدي عقبة وصيار المنعة، على الطرق التي تتقاطع بقرية قتيص أين يوجد ضريح سيدي عبيد وهو على طريق نيسة ووادي سوف من الشمال إلى الجنوب وعلى طريق توزر ووادي سوف والأوراس من الشرق إلى الغرب¹²، حيث تتوسط قرية قتيص مناطق الشمال التي تقطنها المجموعات القبلية المنتشرة مثل الحراكمة بعين البيضاء، وأولاد يحيى بن طالب بجهة ورة والحانشة بسوق أهراس، وقبائل الجنوب شبه الراحلة مثل النمامشة والسوافة وطروود¹³.

1 - البصري (عبد الحلي)، زوايا التوسد الغربي، دورها الاجتماعي، مجلة الحياة الثقافية: المجلد الثاني، العدد 21، ديسمبر 1982، تونس 1 مايو 1982، ص 55 - 60

2 - العميلي (الطيب)، دور بعض مشايخ الطرق الصوفية في قبائل ثورة علي بن غصان، النظر مجلة :

Ibla, T56, N°174, Tunis, P111-141

3 - العميلي (الطيب)، العزق الصوفية - مرجع سابق ص 46

4 - الديهسي (هاشم)، زاوية الشافعي وعلاقتها بالسلطة المركزية بحث ليل شهادة الاستاذة في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بـ 2005 - 2006 ص 11

5 - 1 و 2 - المسجلة التاريخية مسبوقة 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15910، بتاريخ 4 شعبان 1283 هـ

6 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15295، بتاريخ 10 جمادى الأولى 1283 هـ

7 - المجري (الأحمد)، قبائل ماجور والفرائش - مرجع سابق ص 223

8 - المجري (الأحمد)، القبيلة الوطانية، مرجع سابق ص 45

9 - المرجع نفسه والمفصلة نفسها

ونظرا للطابع الرقي الذي تتميز به هذه المنطقة النخومية للإياليين التونسية والجزائرية وما تحتويه من خصوصيات، حيث ساهمت صعوبة المناخ وقساوة الطبيعة في جعل النفس البشرية ذات ثقافة دينية قوامها طلب الإحتماء واللجوء - زمن الكوارث والأزمات - إلى من يلاذ إليه طمعا في تفرج الكرب، واحتساء من المكافأة¹، وبذلك ساهمت المعطيات الطبيعية في إيجاد مناخ نفسي لدى قبائل المناطق المحدودية التي كانت مستعدة لقبول تلك الظواهر الدينية المتمثلة في الطرق الصوفية - بما فيها من تساييح واستغفار وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها من الممارسات الروحية - ضربا من الخصاصة² باعتبارها أداة لعلاج أُنفس مهزوزة تخضع للعديد من الضغوطات الطبيعية والاجتماعية والسياسية، لأن المرید يحتاج إلى شيخ أو أستاذ يقتدي به لا محالة... إذ أن سبيل الدين غامض، وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طريقه³.

إلى هذا يتضاف طبيعة الحال الجهل الذي كان يسود سكان تلك المناطق، والذي كان يمثل حفلا خصبا لقبول المبادئ الطرقية، خاصة أن الجهة كانت تعج - علاوة على ما بها من روايا تابعة للطريقة الرحمانية - بالمزارات والقباب وأضرحة الأولياء والأشجار المقدسة⁴، ويقدم الفرائشيش لهذه المعالم الدينية القرابين والتذوق، كما أنه كل ما جاء المنطقة وفي من ناحية الغرب أو من منطقة أخرى من البلاد التونسية إلا وزادت المشاعر الدينية حرارة وعمقا، ويذهب الفرائشيش كذلك إلى زيارة بعض الروايا بالجزائر كنيسة وسوق أهراس⁵.

1 - العنصر العنقري الصوفي - مرجع سابق ص 63

2 - المرجع نفسه ص 63

3 - المرجع نفسه ص 25

4 - على غرار العرشاية صلالة وهي شجرة عرشية محصورة تقع بالمغارة في ريف حيدرة وتعد شجرة مقدسة وينتقل ولديها عرش «القبائل» وينتقلون بها بينهم وتدير أحوالها حسب ما يحيط به سمور الكبار أو «العشيرة السوداء» أمراها عاشت في الزمن الغابر بمنطقة المغارة وقامت بقطع بعض العرش من الشجرة المعصرة لاستعماله في «بالغة جلد خروف ولما عادت العرش السوداء إلى منزلها تلقت هيران في المنام امرأة قالت لها ما سألتك أغني في العرشة غربي ما أخذته مني إلا سئلتك عليك لعنتي فلبست «العشيرة السوداء» الأضر ورت ما أخذته ومنذ ذلك العهد انتشرت هذه الرواية وباتت العرشة تسالمة محل لتجمل وأصل ذلك شجرة الطلائع والتي توجد على الطريق في أرض الصفاق العنبري على حافة إحدى حيدرة حيث يقوم البرون بربط لجلعة فماش بها للممركة الظفر - صديقي (محمد الناصر) - المعتقدات الشعبية في مناطق الساسية التونسية - مجلة الثقافة الشعبية العدد 22 المبرين 2011

5 - التيمومي، انتفاصات القلاحين - مرجع سابق ص 102

ومع تطور التصوف العملي وانتشار الظاهرة الصوفية في الأوساط الشعبية، كثر عدد الأتباع والمريدين، والتفوا حول شيخ ونسجوا حوله هالة من التقديس والتجليل، وبدأت تظهر الطرق الصوفية، فانتقل بذلك التصوف وتطور من ظاهرة أو مسألة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية طرقة كثر رجالها وأتباعها ولم تشذ بلاد المغرب العربي عن بقية دول العالم الإسلامي في سيطرة الطرق الصوفية على جميع مناحي الحياة، فقد انتشر التصوف على درجة واسعة، وغطى مناطق عديدة من بلاد المغرب العربي، ففي كل بقعة منه زاوية أو مقام ولي صالح، وحلقه ذكر أو شيخ طريقة يدعو إلى التسلك بالشرعة والاقتداء بصفة المصطفى، وقد اشتهر من هذه الطرق بالجزائر على الخصوص تسعة : القادرية، الشاذلية، الخلولية، الرحمانية، الرحمانية، العيساوية، الطيبية، السوسية، العمارية⁶.

لقد كانت الطرق الصوفية في إيالة الجزائر أو في تونس بمثابة النقطة التي يلتقي عندها الجميع، مركز الدائرة ويحور اهتمام الحكام والعامة على حد سواء في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية وظلت وسيطاً بين السلطة والشعب، تسعى لفضاء مصاخ الطبقات الكادحة والمحرومة وتعمل على معالجة أوضاع المريدين في القرى والمدن والحواضر، بإرشاد الفضال ورعاية الفقراء والمساكين، وفي ذلك كتب الرحالة فيليبي (Filippi) عن مدى تحافت الناس على الأولياء الصالحين و«طلب المقدس» في تونس عام 1829 ما يلي : «... تمثل مهنة الولي الصالح في شمال إفريقيا أكثر المهين هيبه وزججا...»⁷.

ولما غزت الجيوش الفرنسية الجزائر بتاريخ 25 ماي 1830، قامت الطرق الصوفية بتحريض الناس للدفاع عن البلاد، حيث عرفت الجزائر عديدة الثورات المناهضة للاستعمار وقد لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في ذلك تحت قيادة الطريقة القادرية متمثلة في شخص الأمير عبد القادر الجزائري، ابن شيخ الطريقة القادرية في الجزائر الشيخ محي الدين بن مصطفى الحسيني. ولما انتهت ثورة الأمير، واصلت الطرق الصوفية حركة الجهاد وإن كانت منفصلة وغير متحدة، فقامت الطريقة الرحمانية بثورة في بلاد القبائل والصحراء والدرقاوية في الغرب الجزائري والشيخية في الجنوب الغربي⁸.

1 - الحسيني، مرجع سابق ص 171

2 - التيمومي، الاستعمار الأسباني - مرجع سابق ج 1 ص 168

3 - الحسيني، مرجع سابق ص 172

كما قاد الشريف بن محمد بن عبد الله المعروف بـ «بومعزة» ثورة في منطقتي السلف والونشريس (1848 - 1847) وهو من أتباع الطريقة الطليعة، والتي تسعت لشمع عدة مناطق من البلاد ووجدت من الزاوية للحنانية وشيخها عتار بن عبد الرحمان مقدم الطريقة الرحمانية كمنزل الدعم والمساعدة⁽¹⁾.

وبالنسبة لما يمكن القول أن الطرق الصوفية لعبت دورا هاما في تجميع الناس حولها لتتصدى إلى الاستعمار الفرنسي وهو ما يؤكدته المؤرخ الفرنسي ليجري بقوله: «إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد اندلعت ونظمت وتقدمت بوحى من الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي آوت دورا أساسيا في عهده الثورات، الرحمانية، المتوسية، الدرقاوية، الطليعية⁽²⁾».

ولكن لعبت زوايا الطرق الصوفية دورا هاما في الجزائر في مقاومة الاستعمار فإنها عملت كذلك على توحيد القبائل والعروش وذلك من خلال إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاعات بين العروش والقبائل وكذلك ساهمت بدور فعال في الحياة الاجتماعية للناس من خلال تقديم المساعدات للفقراء والمساكين وأيواء العجزة والعريان إضافة إلى دورها الديني لتعش في تعليم القرآن، لذلك احتلت الزوايا مكانة مرموقة في المجتمعات الحدودية، إذ كان لها دور فاعل في معظم الأحداث وكان للفكر الصوفي الطوفي تأثير كبير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية.

ونظرا للمكانة التي كان يحتلها هذا التيار الصوفي وخاصة الطريقة الرحمانية فقد انتشرت هذه الطريقة بين القبائل في المنطقة الغربية للإيالة التونسية ودخلت من مغدلين، فظهرت أولا في الكاف، فقد أسس يوسف بوحجر - أحد أتباع سيدي عبد الرحمان - زاوية رحمانية لم تلبث أن سارت بمثابة الزاوية الأم للطريقة بالبلاد فيما بين 1821 و 1843، تنسج وتمارس تقودها على أغلب جهات الشمال الغربي، وثانيهما بنقطة، ذلك أنه بعد احتلال الفرنسيين لجهة بكرة بالجزائر سنة 1843، غادرها الشيخ محمد بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانية واستقر بنقطة أين أسس زاوية رحمانية لم تلبث أن صار لها تقود على الوسط والوسط الغربي⁽³⁾.

1 - المرجع نفسه ص 177

2 - المرجع نفسه ص 201

3 - القبلي، الطرق الصوفية ... مرجع سابق ص 45

ونظرا للدور الذي كانت تلعبه الزوايا من تجميع للناس حولها، فقد كانت لها مكانة لدى القبائل المجاورة لها، فمثلا زاوية سيدي أحمد التليلي كانت تجمع حولها فضلا عن عروش الفرائش والمسامة وماجر قبائل النمامشة وأولاد سيدي عبيد من الجزائر، أما في الطرف الشمالي من مجال الفرائش فكانت زاوية سيدي علي بن ابراهيم بيجرة تستقطب عروش الحوافظ من الفرائش والزغلفة وأولاد بوغانم، وكذلك قبائل أولاد سيدي يحيى بن طالب وأولاد حيار من الحراكمة الجزائريين، وتستقطب زوايا سيدي أحمد الزاير بكل من الروحية وسيبية، من أرض ماجر عروش ماجر وأولاد عيار وجلاص، أما الزاوية الصادقية فتستقطب بدورها عروش الممامة والفرائش وماجر، كما كان جامع سيدي طاهر يستقطب بدوره عروش أولاد وزاز وأولاد الحاج وأولاد محفوظ وحيوهم والغزاية، سكان الكويكف وبكارية من النمامشة وأولاد سيدي يحيى بن طالب من خلال الزودة التي تقام به إسوة بزودة سيدي علي بن ابراهيم إلى وقت قريب من ثمانينات القرن الماضي.

وتشكل الجوانب الاحتفالية الموسمية والتي يعبر عنها بالـ «زردة» والتي تقام حول الزوايا وأطرحه الأولياء لحظات هامة في حياة القبائل الحدودية، على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، نظرا للدور الذي كانت تلعبه الـ «زردة» في تحقيق وحدة النزاعات بين العروش المتعددة التي لا تتعامل فيما بينها إلا بالحروب والغارات والسلب والنهب، فأصبح أتباع الطريقة من هذا العرش ينزلون على إخوانهم أتباع نفس الطريقة من العرش الآخر معززين مكرمين ويشتركون في إقامة المحضرات والأذكار في ونام وأخوة⁽⁴⁾.

ونظرا لما كانت تحتله مناسبة الزردة فضلا عن طابعها الإحتفالي من حالة تقارب وتلاقي بين العروش والقبائل المتجاورة، فقد كانت تمثل مناسبة لفض الخصومات والإلتقاء والتصالح والتسامح، وكذلك فضاء تجاريا واجتماعيا متميزا، إذ تتحول الزردة الى سوق تعرض فيه انتاجات القبائل وتعقد فيه الضغفقات المرتبطة بخزائن الأرض أو العشايدة، كما تعقد خلالها التفاعيات المصاهرة، وتعد أيضا ساحة للتعبير عن المهارات الفروسية ويلعب فيها الخيل كمعادة الناس⁽⁵⁾ بإطلاق البارود إذ يتنافس مرسا أولاد تليل والحوافظ وأولاد عسكر والممامة والنمامشة.

1 - البسماوي، مخرج سابق ص 59

2 - 1 و 2، السلسلة التاريخية مسبق 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15239، بتاريخ 7 ذي القعدة 1283 هـ

لقد كانت الزوايا في القرن التاسع عشر تستقطب الناس من حولها حتى باتوا في ذلك الوقت تتازعهم سلطتان، سلطة شكلية ظاهرية هي سلطة الدولة، وسلطة حقيقية فعلية هي سلطة الزاوية التي تحكم منهم المشاعر والقلوب... حتى أن نفوذ الزاوية البراني كان أوسع من نفوذ الدولة حيث أن انتشارها لا يتقيد بالحدود السياسية والأقليمية¹، لذلك فإن السلطات المركزية كانت تعمل على كسب ود سيوخ الزوايا وكانت تساعد تلك العائلات القزائبية ودول عليها في اعانتها بالمساهمة في حفظ الأمن بين القبائل وتسليمها - عند الحاجة - متبري الشغب².

وتتمثل تلك الانعامات والإميازات التي كانت تمنحها السلطة الحسنية لسيوخ الزوايا في عقارات وإميازات حياتية من خلال نظام الوقف وتأسيس عقارات لأطراف معينة حيث عمت الأحباس الخاصة والعامة جهات الشمال، والساحل، والوسط، والجريد... خاصة أن السلطة السياسية آنذاك شجعت على ذلك³، من أجل كسب ولاءات المجموعات القبلية عن طريق الزوايا، فمثلا كانت زاوية القادرية بتوزر تحتل حدارة النصف الثاني من كبار الملاكين هناك... إذ كانت تمتلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي 1127⁴ نخلة⁵، كما أن زاويتي القادرية بأولاد عسكر لها مساحة مقوية تتراوح بين 300 و400 هكتار مسقية بمياه وادي الخطيب، كما تمتلكان أراضي بالقصرين⁶، فضلا عن إعفاء أغلب المؤسسات الدينية من الجباية في إطار والإحسان، فمثلا تم إعفاء أولاد سيدي تليل من الجباية إلى حدود القرن التاسع عشر⁷.

ولم تكن حالة الدعم التي تلقاها الزوايا مقتصورة على السلطة المركزية فحسب بل أن القبائل والعروش بدورها كانت تساهم في مساندة تلك الزوايا، فقد لعبت العروش المجاورة للزاوية من فراشيش وماجر والحمامة أدوارا هامة في دعم الزاوية ماديا بتقديم الأعطيات العينية والعقارات من أجل كسب بركة الزاوية والاستفادة من خدماتها الاجتماعية والتعليمية والسياسية⁸.

1 - البسوي، مرجع سابق ص 58

2 - العنيني، دور بعض مشايخ الطرق الصوفية - مرجع سابق

3 - العنيني، الطرق الصوفية، مرجع سابق ص 51

4 - المرجع نفسه ص 51

5 - المرجع نفسه ص 53

6 - الماسري الأزهري، القبائل ماجر والغراشيش - مرجع سابق ص 152

7 - التليلي، مرجع سابق ص 160

ونظرا للاشباع الذي عرفته زاوية سيدي أحمد التليلي باعتبارها زاوية طربية ورافعة على ممرى الطرق التجارية ومن أجل كسب ودها ورضاعا لتأمين قوافلها وتسهيل تجارتها عمدت بعض القبائل إلى التودد إلى سيوحها ومقدميها عن طريق المنشأة والأعطيات حيث لمجد أن إبراهيم بوجيزر شيخ المنشأة كان يساعد زاوية أولاد سيدي تليل ويخصص لها مبلغ تأسيستها للمدايا السنوية المنتظمة والمنشأة في 40 حلال، إضافة إلى كميات هامة من الحبوب والفاشي⁹. كما أن مشايخ القبائل الحدودية الجزائرية وخصوصا المنشأة والسامسة ساهموا بدورهم في العطايا المنقمة لزاوية سيدي تليل حيث كانوا يرسلون وباتظام قوافل الحبوب والقمح وقطعان الأغنام والإبل¹⁰.

ولكن عملت أغلب الزوايا في الجزائر على مقاومة الاستعمار والتضدي له فإن الزوايا في تونس كانت في ولاء تام للسلطة المركزية وتأتمر بأمرها وهو ما جعلها تمر بمرحلة تطور وريفة في علاقتها مع العروش المجاورة لها ليصل الأمر إلى نوع من التوتر ثم القطيعة، وأعمل تعدد الإغارات، وعمليات غنم أملاك الزاوية حرم تليل على ذلك¹¹.

ويعود تنور العلاقة بين الزاوية والعروش المجاورة لها إلى الدور الإداري الذي تاحت تلعبه الزاوية في الوسط القبلي خاصة بعد أن أصبحت السلطة مع أواخر القرن التاسع عشر تعين مقدم الزاوية وهو ما أدى إلى تغيير خطابهم الديني بخطاب سياسي تحدده بالدرجة الأولى سياسة السلطة، حيث فرض تحالف أولاد تليل مثلا مع المخبرون القيام بأدوار إحصاء الرقاب والمكاسب من أجل تحديد قيمة الضرائب على المجموعات المزاجعة ثم بالنظر ورصيد تحركاتهم¹²، وهو ما جعل علاقة قبائل القراشيش بالزاوية تتلاشى وهو ما أكدته إحدى الشهادات الطنوية في الفترة المعاصرة والتي جاء فيها قول أحدتهم: «لقد أكلت الزاوية ولم تعد شيئا»¹³.

كما أن بعض الزوايا كانت تخدم مصالحها ضاربة بكل القيم الأخلاقية والدينية وذلك من خلال ممارستها لعمليات الإغارة والنهب وذلك نتيجة تخيولها ولولائها لقياد ومشايخ

1 - المرجع نفسه ص 102

2 - الطنيسي، محمد الطنيسي، دور سيدي تليل والأعلام من أبنائه مشيخة آل المصيرين 1097 ص 10

3 - 1 و 2، التسنيسة القزائبية، المصنف 18، ملف 204، الوثيقة عدد 16108، بتاريخ 1285 هـ، 1888 م

4 - المصنف نفسه، المصنف 18، ملف 162، الوثيقة بتعدد 12863 بتاريخ 1278 هـ، 1862 م

5 - الماسري الأزهري، القبائل ماجر والغراشيش - مرجع سابق ص 160

بلغية وهو ما فاضت به زاوية الحاج الشامي بتاريخ 27 ذي القعدة 1276 هـ / 26 فيفري 1876، وذلك من خلال ما ورد في رسالة من القنصل الفرنسي بتونس ذي بغليز إلى الوزير الأول مصطفى حشدر والتي جاء فيها ما يلي : بأن في ليلة اليوم الرابع والعشرين من شهر (تيسير) انهارت غارة نحو الألف وتلغاية نفر من الفرائشيش والزغلة على دواوين من المرولة من أولاد سيدي يحيى بن طالب من عمل تسعة المنازل بين مركة الفرس والعين الزرقية وقتلوا منهم مائة وأحرقوا منهم ثلاثة وعشرين وأخذوا منهم 1802 شياء و 1359 معبر و 10 أحرز و 3 فرسات 1 بطة واحدة وقد وقع اتساع النقص من بعض الفرسان فوجدوهم يتعاضدون عليهم بواحي بير الخالقي ثم وجهوا جاسا من المنسوب لحقة حمدة (القلعة نفسها) المارة بما رسالة قائد الزغلة وحالها آخر لحقة بولخاش المنزل بما الحاج قعيد. قائد ماجر وأولاد علي وحالها آخر لحقة فوساة المنزل بما سي علي الصغير قائد أولاد وزار وأولاد الخيت وتطيط أيضا بعض شياء زاوية الحاج الشامي الذين سكاها أبو مصطفى الشيخ قدام المذكورين لما رجعوا من غزيتهم... هو عبارة حقيقية على ترايا من عروش التوانسة متعاضدين على هذا الأمر تحت نظر القياد التوانسة الذين حاصصوا في المنسوب وربما وقع ذلك بالذم.

كما أن بعض الزوايا كانت تستغل بعض الامتيازات الممنوحة لها مثل (حرم الزاوية) وجنود لتساحة تحيط بتقدم والتي لا يمكن لأي كان حرقها بحيث أن كل خائف أو مطلوب إذا التحا إلى زاوية أو صريح من أضرحة الأولياء، كف عنه الطلب ورفعت السلطة يدها عنه، فلا يجرؤ أحد على إختحام الزاوية وإفسادها لمقتضى إليها.

ولذلك كانت بعض الزوايا تعتمد إلى إحارة بعض المغمزين والمظلومين من ذلك زاوية نقطة وهو ما ذكره المبرال الفرنسي ييلسي دوك دي مالاكوف إلى القنصل الفرنسي بتونس في رسالته المرفوعة إلى محمد الصادق داي بتاريخ 21 جوان 1861 والتي جاء فيها قوله : ... وبلغني أن طيب بوشندوا وبعض آخرين متهمين معه في غارة دشرة حلفه الذي كنت أعتدكم تفضيلها في جواني الأخير هربوا في زاوية نقشة (نقطة) ووجدوا هناك من سي مبروك بن عزوز من الوج صاحب دشرة أولاد سيدي محمد الجلفاوي وشقيق كبير الزاوية

1- أ. د. السلسلة التاريخية ص 217 ملف 232 الوثيقة عدد 80
2- المصنف نفسه الطبع الطبعة - مرمع سبق

المذكورة (الحماية) وسي مبروك طلبت من وكيل قزينا بنفسه أن يتفق معه ليلتموا له الأنصار المذكورة فالوكيل المذكور امتنع عن الكلام في هذا الشأن من غير إذن التفصلات والبالغة أنصار المذكورين سافروا في الحين ولحقوا حرة ناصر بن شهيد المبرغوب متكم أن تطلبوا من جناب الباي أن يسلمنا الأنصار المذكورة ليتحقق غيرهم أن الغراب التونسي لا يحسي الحفاة⁽¹⁾.
وبالنسبة عكن القول أن نشأة الزوايا في المناطق الحدودية وبالخصوص في منطقة الوسط الغربي، ولئن لمت دورا إيجابيا في حياة القبائل الحدودية من خلال فض النزاعات والتهني عن القيام بالأغارات، والعمل على نشر القيم الدينية وتحييط القرآن ونشر العلم، فإن شيوخ الزوايا كانوا رغم ذلك أداة طبيعة في يد البايات وعمالهم من أجل المحافظة على امتيازاتهم على حساب القبائل وعملوا على معاونة السلطة المركزية في إخماد ثورة علي بن عذاهم عام 1864.

وكنتيجة للدور الذي قام به الكثير من رجال الدين في إفساد الانقضاضة، فالكثير منهم وسقطوا من أعين الناس⁽²⁾، كما خاب ظن الكثير من الناس في ... علماء آخر زمن أعوان الظلمة⁽³⁾، وليس من قبيل الصدفة أن يهاجم الناس وهناشير رجال وأصحاب الزوايا⁽⁴⁾، كما تعرضت العديد من الزوايا للنهب والسرقه حيث تعرضت زاوية البنانة والمرولة فراشيش من أولاد علي للاغارة بتاريخ 18 جمادي الأولى 1283 هـ، وهو ما يؤكد عمال الفرائشيش علي الصغير بن مبارك وسليمان بن احمد واحد بن حسين في رسالتهم إلى رستم وزير العدالة بتاريخ 4 شعبان 1283 والتي جاء فيها : وإن اناس من عرش أولاد عمران أولاد غيلان غاروا (على) زاوية المرولة من الفرائشيش ودوار إلى الزعابة.. وقتلوا (نفرين) ونحووا لهم ابل⁽⁵⁾.

1- أ. د. السلسلة التاريخية ص 217 ملف 232 الوثيقة عدد 34

2- ابن أبي الفتيان وأحمد بن علقم أصل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأتقان ط 1، تونس كتانة الدولة للشؤون الثقافية تونس 1963 ج 5 ص 141

3- المصنف نفسه ج 5 ص 141

4- أ. د. السلسلة التاريخية ص 154 ملف 1042 الوثيقة 35 بتاريخ 30 ربيع الأول 1282 هـ / 1865 م - هيت جنابشيو مصطفى بن عزوز في جهة تيزينا بوسه وسبب طلة وقت اجتضاع عنوش أهل المملكه وهم عرش الهمامة وفسان وحلائم

5- المصنف نفسه ط 18 ملف 199 الوثيقة عدد 15295

6- المصنف نفسه الوثيقة عدد 15310

وبالتالي يمكن القول وإن لعبت «مؤسسة الزاوية» في الجزائر دورا حاما في مقاومة الاستعمار الفرنسي الذي عمل على احتلالها ومصادرة أملاكها وتشيت مرديها، فإن أصحاب الطرق الصوفية في تونس عملوا على التودد إلى السلطة سواء في العهد الحسيني وكذلك أثناء الغزو الفرنسي للبلاد التونسية سنة 1881، حيث عملوا على تقديم العون للقوات الفرنسية، وهو ما قامت به زاوية المنشية والتي كانت السلطات الفرنسية شيخها محمد الصاغ الشافعي متناصب إدارية بارزة، فعيته قايدا على أولاد ناجي عام 1886. وقايدا على كل القرايش عام 1896⁽¹⁾.

II - الحراك القبلي في المجال الحدودي

لقد كانت القبائل الحدودية من الجانبين كما هو الشأن بالنسبة للعروش في النواحل توحيدها جملة من الممارسات الاجتماعية لعل أبرزها الزيارات للتبادلة بين الجانبين سواء في إطار التبادل التجاري من خلال الأسواق أو للناسيات العائلية أو زياره أضرحة الأولياء... كما كانت العمليات الإغارية بين القبائل من العادات المألوفة عند السكان وتعد عادة جارية بين العربان من الزمان القديم⁽²⁾، ويتعذر قطعها بالمرء، أنها فيهم سحية من اصل الخلقة... وأن هذه السير عادة في العربان⁽³⁾. لكن هذا الوضع سرعان ما أخذ متوجعا جديدا خاصة بعد احتلال الجزائر وبروز ظاهرة التجديد الترابي وفرض مبدأ المنع والمراقبة المتواصلة، وهو ما افترق وضعها سياسيا جديدا لم تألفه الجماعات القبلية الحدودية فيما بينها سابقا.

لقد أثارت ظاهرة تنقل المجموعات القبلية بين إلباتى تونس والجزائر حفيظة السلطات الفرنسية التي عبرت في عديد المناسبات عن استنكارها للتسامح الذي تبديه السلطات التونسية أو من يمثلونها في المناطق الحدودية تجاه الرعايا الفارين من الحكم الفرنسي أو المتمردين عليهم، وهو ما حدا بها إلى سن تراخيص سفر أو ما سمته الوثائق بـ **PERMIS DE VOYAGE**⁽⁴⁾، للرعايا التونسيين للتوجهين نحو الجزائر. ففي شهر نوفمبر من سنة 1848

أشار أحد التقارير الفرنسية إلى القبض في قسنطينة وعلى بعض الأشقياء التونسيين الذين كانوا دون وثائق ثبتت هويتهم⁽⁵⁾.

ولكن كانت بعض العروش الجزائرية لاسيما للمامشة تنتقل إلى البلاد التونسية لإجماع الكلا والمرعى لأنعامهم⁽⁶⁾، فإن القرايش كانوا يتغلبون بدورهم مرتين على الأقل في السنة للزباب الجزائري مرة في موسم الحرث ومرة ثانية وقت الحصاد⁽⁷⁾، بيد أن هذه التوافقات دخلت مرحلة الاختلال بسبب التضيقات التي سلطتها سلطات الاستعمار في الجزائر على جعل أشكال التواصل المذكورة إذ أخضعت العلاقات الاقتصادية بدورها إلى المراقبة، فقد أرغمت قبائل القرايش الخائرة في وطن الجزائر على خلاص «الزربة على كل حاله عشرة دورو ثلاثة فرنك وزوج صوريدي»⁽⁸⁾، وإذا امتنعوا من الخلاص قران تسرح عليه المواريش لتاكله...⁽⁹⁾، حسب قول حاكم تبسة.

كما خاطب حاكم تبسة أولاد وزار بطلب الحكر على فلاحيتهم المبثورة وتوعدهم بـ «الأخذ، بعد أن طلبوا الإذن بالحصاد وأخذ محصول زرعهم واشترطوا على أنفسهم دفع الحكر العشر على الجوابد التي جرتوها... وهم اختاروا دفع الأداء بدل أن يضع عليهم محصولات عظيمة...»⁽¹⁰⁾، كان هذا التحول القسري على الحياة اليومية للعروش الحدودية بمثابة الكارثة فقد كانت القبائل الحدودية تواصل فيما بينها، بيد أن السلطات الفرنسية ومن خلال تطبيقها لمبدأ «الحدود الحاجز» أصبح أهالي المنطقة الحدودية يعيشون حالة اختناق، وهو ما تبيته التعابير الواردة في المراسلات الموجهة من أعيان العروش إلى السلطة في تونس، والدالة على تأزم أوضاعها «الناس ضاقت بهم الدنيا»⁽¹¹⁾، «الناس ضاقت أحبالهم»⁽¹²⁾.

1 - المصدر نفسه. الملف 304 بكون. الوثيقة عدد 23 بتاريخ 23 نوفمبر 1848.

2 - المصدر نفسه. الصندوق 212. الملف 234. الوثيقة عدد 17. السنة 1841.

3 - المصدر نفسه. صندوق 212. ملف 232. الوثيقة عدد 73 و 98 و 10.

4 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 5.

5 - المصدر نفسه. الوثيقة نفسها.

6 - المصدر نفسه. الوثيقة عدد 13.

7 - المصدر نفسه. الملف 229. المراسلة عدد 43 بتاريخ 2 جفاتي الثامنة 1257 هـ (أوت 1841). مراجع الشكوى الموجهة إلى الباي سنة 1840 من بريف مضايح الرقية وجم غزلان وبني ملان وخمير وأولاد على وأولاد عيريت من تهدا تخرجين لشكياتهم من تعديلات الفرنسيين.

8 - المصدر نفسه. الملف 241. الوثيقة عدد 112.

وقلت أرباب المزارع^١، وبكثير منهم ووقع تحت الرعب^٢، كلها صيحات دالة على مدى شعاعها الضامن المندوبة من حالة الضيق التي كانت السلطات الفرنسية تسعى لتفريغها حتى طول الجمود المؤسسه المخرقة والتي كانت لتكبل حراك القبائل في مجال كانوا يشركون فيه بكل حرية دون حواجز أو موانع.

كما جاءت قبائل الغرايش أيضا من المستعجلات التي حاولت فرنسا فرضها على جهاز المندوبي وقد انعكس ذلك عليها اقتصاديا في ظل حالة الجذب والقمع التي سببت للسلطة في القرن 19 وهو ما يشو إليه قيام الغرايش في مراسلهم الرسمية التي تعدد مظاهر الأزمة الاقتصادية في كل من عروض الأولاد على الأولاد ناسي وأولاد وزير وقلة الطعام، وعلان ذلك وإعادة البلاد بالزود وبوقيل الجذب والشدة والضيق، ووصول المزارع بلادنا يوم الجمعة يوم الثلاثاء على الجيوب ومكاسب أهلها، كلها صيحات تعبر عن ظروف عيش الغرايش من سنة 1880 حتى 1882^٣.

إذا فكيف القول أن عدة أزمات كانت وراء تدهور الوضع الاقتصادي للقبائل الغرايش وما يؤكد ذلك ليس فقط مراسلات القيادة إلى السلطة المركزية^٤، بل أن هناك دلالات أخرى تعبر عن عمق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية لدى قبائل الغرايش، فقد طالت الأزمة والعيش والقرصنة^٥، وأصبح للثعبان يباع بأسعار مرتفعة على يد تجار احتكاريين في

١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 178

٢ - المصدر نفسه ملف 228 الوثيقة عدد 17

٣ - المصدر نفسه صندوق 18 ملف 588 الوثيقة عدد 14211 بتاريخ 1880

صندوق 12 ملف 188 الوثيقة عدد 14888 بتاريخ 1881

صندوق 18 ملف 200 الوثيقة عدد 15218 بتاريخ 1882

صندوق 18 ملف 201 الوثيقة عدد 15431 بتاريخ 1883

صندوق 18 ملف 202 الوثيقة عدد 15488 بتاريخ 1879

صندوق 18 ملف 203 الوثيقة عدد 15684 بتاريخ 1879

صندوق 18 ملف 204 الوثيقة عدد 15704 بتاريخ 1877

٤ - كبرى هي القبائل الغرايشية من الغرايشيين عند قدامهم فتصونه بعبارة أيضا، الأزمة الاقتصادية التي يعيشها الغرايشيون أكثر من قبائل القبائل^١ و من الصلصلة التاريخية صندوق 18 ملف 188 الوثيقة عدد 15888 بتاريخ 1881

المصدر نفسه صندوق 18 ملف 200 الوثيقة عدد 15488 بتاريخ 1887

المصدر نفسه صندوق 18 ملف 202 الوثيقة عدد 15598 بتاريخ 1888

قوة تالة حتى صار الناس غير قادرين على شراء وانظروا إلى سطح طعامهم دون شعور^٢، كما ارتفعت أسعار الطعام بسرعة وبسعة كمية لا يستطيعون من شأها هذه الانتاج الغذائي ومن ناحية أخرى بالاحتكاك بين الغرايش^٣، وقد أثرت هذه الأوضاع على الحركة العامة لسوق وقوة تالة إلى حد ما حتى أصبح يشترون لأن من أكلها وأولمها^٤، وانصرفت أو ضعفت حركة دوران العملة وثقل بالصر الخلال في وجود تالة^٥، لأن الناس حصر عليهم مع الحيوانات لأهمهم من يشتريها^٦.

ويبدو أن الأزمة الاقتصادية التي عرفت قبائل الغرايش نتيجة الخلافات والسياسات البعد^٧، وهو ما كان ينعكس عليهم التوجه إلى واقعية في موسم الجفاف وذلك ما أكدته مصطفى من قصود في رسالته إلى الوزير حيز السن بحوله : ١٩١٤ إن حل أزمات الغرايش توجهاً نحو فرقة بلصدة مصيف اقترح لعدم بلانها من ذلك واحتجها^٨، وبالتالي فقد ساهمت الأزمة بشكل أو بآخر في لتعبر الأوضاع المعيشية لتلك القبائل حتى صار الناس يتحلقون لبيع، وأجل البحث عن الرزق^٩، أو يقتاتون من أكرم الجند^{١٠}، أو الاتجاه إلى الإغارة على القبائل المجاورة وقطع الطرق على القوافل التجارية لتزود الغذاء، وبالتالي فقد دامت عمليات الإغارة بمثابة العمل اليومي بين القبائل التونسية وجوارهم من الغراية^{١١}.

١ - الإغارة

يفكر القول أن للأزمة الاقتصادية مصادماتها المباشرة على حركة القبائل وعلاقاتها بعضها وبمحيطها العام ذلك أن ظاهرة الإغارة انتشرت تعمق في عتلف هائل ومخالات

١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15798 بتاريخ 1889

٢ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15388 بتاريخ 1881

٣ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15381 بتاريخ 1884

٤ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15388 بتاريخ 1887

٥ - المصدر نفسه، الوثيقة ذاتها

٦ - السنة الميقاتية : الغري مدلول لدى قبائل الغرايشيين بعبارة به سواد القمط والجند

٧ - د الصلصلة التاريخية صندوق 18 ملف 202 الوثيقة عدد 15688 بتاريخ 25 تموز 1888

٨ - المصدر نفسه صندوق 18 ملف 200 الوثيقة عدد 15379 بتاريخ 1887

٩ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15441 بتاريخ 1888

القبائل، وبذلك اتسعت عمليات الإغارة والنهب والسرقات أكثر من قبل وفي اتجاهات عديدة، وبات عالم القبائل مسرحا لما يشهده المغرب الأهلية اليومية، إذ كانت الغارات هي الحيز اليومي للناس هناك⁽¹⁾، ويمكن القول أن الإغارات باتت توفر للقبائل موقدا اقتصاديا، وقد اعتمدت القبائل الحدودية هذه الحرفة وأصبحت الإغارات بين أولاد سيدي يحيى بين طاب والماسنة والفراشيش متبادلة، خاصة أن العلاقة بين هاتين القبيلتين والفراشيش كانت متوازنة أصلا على حدود الأراضي بينهما.

كما كان الفراشيش يغيرون على القبائل المارة في مجاهمهم والقادمة من الشمال الحبيبي في اتجاه المريد، أو على الغرابة للمارين من مجاهمهم في اتجاه المريد لاكتيال الصور، كما ينقطعون على القبائل المحيطة بهم ولوحظ أن المصامة والفراشيش لا يتورعون أحيانا في موازنة بعضهم ضد قبائل الغرابة.

كما أن الرجال بالنسبة لقبائل الفراشيش خارج مجاهم بات الحل الأحدث للعديد من العروش نتيجة الأزمة الاقتصادية التي ضربت المنطقة في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث تفرق الناس⁽²⁾، والأكثر منهم دخل ناحية العرب من أجل الإخياج⁽³⁾، والناس كلهم تفرقت من أجل المغيرة⁽⁴⁾، وقد انبغش لستكشف الفرنسي بلجي ديري عندما لاحظ أن منطقة الفراشيش في أواسط القرن التاسع عشر أصبحت قفرا... وكان ما يدل على وجود الحياة قد اختفى في تلك الجهة التي تزلت عليها اللعنة، إذ من النادر أن يسمع بها ملين حشرة أو فرقة عصفور⁽⁵⁾.

في هذا الجراك داخل المجال تحدثت علاقة الفراشيش بفضائلهم العام والفضائل الخاصة حتى باتت ظاهرة الإغارة والنهب بمثابة مؤشر هام للتحويلات العميقة والبطيئة داخل المنظومة القبلية للفراشيش، فعمليات الإغارة والنهب تحدثت اتجاهات مختلفة منها داخلية أي بين عروش الفراشيش ذاتها، فهذه فرقة العصايدية من عرش أولاد علي تقوم بغارة كبيرة على فرقة

الرشيات، من أولاد ناجي⁽⁶⁾، ولأولاء حجة غذية على ذلك تعدد تكرار عملية النهب من 1864 إلى 1869⁽⁷⁾. وهذه غارة الحوافض والفرجات، من أولاد علي على الطياقة، ولأولاد ناجي⁽⁸⁾، وفي ذلك شهادة رسمية من قاضي تالة⁽⁹⁾، وقد تواصلت نزائد تلك العمليات في قضاء الفراشيش ليحسد حالة التفاوت الطبقي من حيث الثروة والجاه داخل المجتمع قبائل الفراشيش.

وكذلك امتدت هذه الغارات إلى محلات خارجية وخاصة على الحدود الغربية حيث قامت قبائل الفراشيش بالإغارة ونهب وطلب القبائل الجزائرية كما تعرض الفراشيش بدورهم إلى الإغارة من حزام قبائل الغرابة حيث تشير مختلف الوثائق إلى كثافة والمساغ قضاء الإغارة والنهب والذي لامس تقريبا جميع أماكن الحدود الغربية شمال الفراشيش من الرميثة من بلاد الحوافض⁽¹⁰⁾ إلى بحيرة تاجموت⁽¹¹⁾ إلى أعين غنان من عمل قلعة مثال من بلاد أولاد بوعام⁽¹²⁾ إلى الطياقة⁽¹³⁾ والقوسه حوي بلد حيدرة⁽¹⁴⁾ إلى الويكة ببيرة أفران من بلاد الفراشيش⁽¹⁵⁾ إلى الحاحزة (الحازة)⁽¹⁶⁾ إلى بودرياس من عمل بحيرة فوسانة⁽¹⁷⁾ إلى الحمار احد أماكن بحيرة فسانة (فوسانة)⁽¹⁸⁾ وصولا إلى درناية⁽¹⁹⁾ والمهاجة أمام قرية فريانة⁽²⁰⁾ وقرية

1 - أ. ت. السلسلة التاريخية، صندوق 18، ملف 203، الوثيقة 15852 بتاريخ جانفي 1864 وميل 1281 هـ.

2 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 16010.

3 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 201، الوثيقة عدد 15567، بدون تاريخ.

4 - المصدر نفسه.

5 - المصدر نفسه، صندوق 212، ملف 232، الوثيقة عدد 132.

6 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 131.

7 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 131.

8 - الطياقة، عبارة حدودية تابعة لعمودية حيدرة العظم: المصدر نفسه، الوثيقة عدد 110 - إشارة عدة قضاة من عروش القضاة على عرش الحوافض من الفراشيش سنة (1277 هـ - 1881).

9 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 130.

10 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 120 و 142.

11 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 130.

12 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 125.

13 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 121.

14 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 93، رسالة من قاضي فرنسا للأمر الكبير سي محبت بتاريخ 20 أوت 1870 / المواليد 21 شعبان 1295 هـ.

15 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 129.

1 - التيسوي، الاستعمار الإسباني، مرجع سابق، ج 1، ص 135.

2 - أ. ت. السلسلة التاريخية، صندوق 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15243 بتاريخ 1865.

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15307، 15313، 15314، بتاريخ 1866.

4 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15340 بتاريخ 1866.

5 - التيسوي، الاستعمار الإسباني، مرجع سابق، ج 1، ص 159.

مزاب¹، وبوحي²، وبوجين³، وحققة الصلصاف أحد أماكن عمالة تونس⁴ وفارت العام⁵، ويحيى عمر من بلاد الفرائش⁶... وصل إلى حد تدخل السلطة السياسية (الباي) قياد ومشايخ وحليف من الجانب التونسي، والسلطات الفرنسية وحكام تبة وبكارها) من الجانب الجزائري والقضاء والعدول من الجانبين في تحرير ما تحب أو سرق بحق ممضاة جانبيا.

لقد كانت تحركات العروش القبلية في المنطقة الحدودية مستندة بالتعريفات السلطة الفرنسية حيث شكلت حاجزا آمنا لها نظرا لارتباط ذلك بظاهرة النزاعات حول الملكيات القبلية والتي كانت في حالة عدم وضوح تامة، وهو ظرف ظلما استقلاله قبائل من هذا الطرف أو ذلك أي قبائل الفرائش وجراهم من «الغزاة» من أجل التحول على الأرض لتشكيل بذلك قاعدة للنزاعات في ظل افتقار الطرف لسلطات ملكية وهو ما انتهزته السلطات الفرنسية محاولة فرض سياسة الأمر الواقع وذلك بإتباع استراتيجية تحزلة المجال بناء على مقترحات من الضابط العسكري رشارد (Richard) سنة 1845 إلى ضرورة فصل «الدواوير» عن بعضها البعض عبر «الخواجر الطبيعية كالأغابات والجبال والأودية»⁷.

لا شك أن سياسة العزل والخواجر الطبيعية التي انتهجتها السلطات الفرنسية بين القبائل داخل أراضي الجزائر كانت المطلق الأساسي لعزل المجال الجزائري عن المجال التونسي جنوب وادي سراط أي بين مجال الفرائش ومجال قبائل «الغزاة» حيث أن الترسين عمولا على أن تكون الحدود الفاصلة بين المجالين عبارة عن خواجر طبيعية مثل جبل فح لمؤجد وجبل السري وجبل غمر وزيت وجبل الماء الأبيض والقلعة، وجبل طافه وجبل الشطاطيب وغير أم علي وحققة الصلصاف⁸، وهي في أغلبها خواجر طبيعية حاصنة

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 127

2 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 126

3 - المصدر نفسه الوثيقة نفسها

4 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 123

5 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 148

6 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 140

7 - للمعري (الأردن) القبيلة التركية، مرجع سابق ص 112 - 113.

8 - رت السلسلة التاريخية صندوق 212 ملف 229 الوثيقة عدد 119، مراسلات وحيي ورميم متعللة بالحدود التونسية الجزائرية وتنسيب شراون العروش للتواصية بطلالعلي المودوية التاريخ 1707 - 1888 م (خرططة)

أن جل هذه المناطق الجبلية الشائعة ذات أغابات كثيفة يمكن أن تكون حدودا فاصلة بين مجال الفرائش ومجال «الغزاة».

ونظرا للسياسة التي اعتمدها السلطات الفرنسية في الجزائر تجاه قبائل الفرائش وذلك بدعمها للقبائل الجزائرية من أجل التدخل لحد قبائل الفرائش ومنعهم عن أرض ومجال طالما كانت الحركة فيهما مفتوحة ومرة وغير مبروطة بحدود وهمية وهو ما أثار حالة من القوضى على طول المجال لتكثر بذلك عمليات الإغارة والنهب والسلب بين الطرفين ولتواتر بذلك التشنجات من الجانبين إلى السلطتين التونسية والفرنسية-الجزائرية، وكان أهمها عرائض من أهالي القبائل من الجانب التونسي الجزائري حول نزاعهم على الأرض التحويمية بعد أن ادعى كلا الجانبين أحقيتهما فيها.

إضافة إلى حجج وعرائض قبلية رسمية لدى قضاء الفرائش ونظرهم من قضاء تبة للتشكي من هذا الجانب أو ذاك مطالبين بالتعويض عما لحقهم جراء الإغارة من سلب ونهب. وبذلك يمكن القول أن قضاء الفرائش وجراهم من قبائل «الغزاة» باتت مجال صراع وتوتر دائم وكثيرا ما تعالت فرق من الفرائش من داخل عرش واحد أو عرشين ضد قبائل جزائرية متاخمة لها أو تحالف هذه الأخيرة مع بعضها مثل أولاد يحيى والسامشة ضد قبائل الفرائش المتاخمة لجنود مجالها الترابي⁹.

أ - الإغارات الواقعة بين سنتي 1857 و 1861

لقد كانت ملكية الأرض ملكية جماعية تمثل قاعدة الخلافات وكانت دوما تضد الأساسي للواقع الجغرافي والسياسي والاقتصادي للاقتصاد للمحركات القبلية في اتجاهاتها المتنوعة متجاوزة بذلك الإطار القبلي والعلاقات الدموية وهي التي طالما مثلت الخطوط الكبرى والاتجاهات الأساسية لجغرافية الغارات والنهب، لذلك فإن قبائل القبائل الجزائرية كانوا دوما يعملون على تحديد ملكية الأراضي في المناطق التحويمية وكانوا من خلال رسالتهم إلى قياد الفرائش ينهون دوما إلى الحدود الفاصلة بين المجالين التونسي-الجزائري، وهو ما ورد في رسالة بتاريخ 2 أكتوبر 1858 من حاكم عرب تبة إلى فرحات قايد وحاكم بلدة الكاف مشتكيا فيها من الفرائش والتي جاء فيها قوله: «ومن الواجب إعلامكم هو أن خمسة وعشرين بيتا من الفرائش نازلين في تربة حيية الماء الأسود وحزنوا فيه لكن هذه

1 - المصدر نفسه، صندوق 212 ملف 229 الوثيقة عدد 119

لقد كانت عمليات الإغارة تطلق في كثير من الأحيان بصورة من التواطؤ في آن واحد
 ومع ما قام به حاكم نسة قنده دواوير من أولاد وزر وحتى أن من استطاعهم في تلك الليلة
 منه لقيت في جميع مصادره من عراهم وأهل وأمنعه وحيوت وكل ذلك على وجه السب
 على الفور والظلم من غير سب موجب ذلك لا هم في ليله فكان ما أحده للدور الأول
 أربعة عشر حيمة موت شعر ربحها وأثناها وملوسها وخمسين بعوا من الأبل مختلفة وألف
 واحدة شاة حياك ومعر مختلفة وعشرين حمارا وعشرة مكاهل وأربعة معار وستة طواغين
 وقدر أربعة أرطال فحرة حلي مطبوعة بالطابع الجديد التونسي وسلب رجائهم ونسائهم
 ثمانية وأخذوا لأهل الدور الثاني حية حيام ربحال وقطيعين عمل الحماة وستة وثلاثون
 بعوا مختلفة سبعماية شاة طاي وماتين من اللعور وزوج من الخيل مراكيب بسروجها وستة
 أحرة وأربعة مكاهل طول وثلاث صغار وقدر زطلين ونصت فحرة مصوغا حلي مطبوعا بما
 ذكر وسلب رجائهم ونسائهم وأخذوا لأهل الدور الثالث خمسة عشر حيمة ربحالها وعشرة
 قطيعات عمل الحماة قديمة وجديدة وماتين بعوا مختلفة وثلاثة آلاف شاة من الضان
 مختلفة وخمسماية شاة من اللعور وستة من الخيل مراكيب بسروجها وخمسة عشر حمارا ولماية
 طواغين وخمسة عشر مكحلة كاملة ولماية صغار وقدر لماية أرطال فحرة مصوغه حلي
 مطبوعا بما ذكر وسلب رجائهم ونسائهم وأخذوا لأهل الدور الرابع عشرة حيام ربحالها
 وستة قطيعات من عمل ماذكر قديم وجديد وخمسة وتسعين بعوا مختلفة وألف شاة ضانا
 وخمسماية من اللعور وسبعة من الخيل مراكيب بسروجها ولماية عشر حمارا مختلفة وعشرة
 سادات كاملة ولماية صغار وخمسة طواغين وقدر سبعة أرطال فحرة مصوغه مطبوعة بطابع
 ماذكر وسلب رجائهم وأخذوا لأهل الدور الخامس اثنا عشر حيمة ربحالها ولماية قطيعات
 عمل ماذكر وخمسة عشر مائة شاة ضانا مختلفة وستماية من اللعور مختلفة وخمسة وسعين
 حمارا مختلفة وخمسة من الخيل مراكيب بسروجها وأربعة عشر حمارا وثلاثة عشر مكحلة كاملة
 وتسعة صغار وأربعة طواغين وقدر تسعة أرطال فحرة مصوغه حلي مطبوعا بما ذكر وسلب
 رجائهم ونسائهم وأخذوا لأهل الدور السادس ثمانية حيام ربحالها وأربع قطيعات حقد وقدم

١ - الرطل يختلف وزنه حسب الأراضي التي تنسله إليه فلهذا جاء في أسره 12 خلت من 1000 أن الرطل يساوي
 500 غراما 20 شه في مجازي القضاة التجارية - ١ - الرطل العفاري يساوي 15 أوقية أو 504 غرامات
 ويستعمل أساسا في شراء التفلطير بالتونيل والصبوب والخبز والخبز غير النعمية
 - الرطل المصري - جندار 15 أوقية أو 507 غراما يستعمله بصفة السوق كوزن الزيت والزبد والقصص والبرصون
 والشمار الحقة والصابون - للمغرب الكبير - فيها يستخدمون المقياس والوازين والمكاييل في تونس ضال الغرضين
 القدر والتاسع عشر - مجلة التاريخية العربية للدراسات العلمانية العدد 7 - ١ - أكتوبر 1993 ص 249

عمل ماذكر وخمسة وثلاثون بعوا مختلفة وسبعماية شاة ضانية مختلفة وماتين ومحمود
 من اللعور وزوج من الخيل مراكيب بسروجها وتسعة أحرة وعشرة سادات كانت وأربعة صغار
 وزوج طواغين وقدر خمسة أرطال فحرة مصوغه حلي مطبوعا بطابع ماذكر وسلب رجائهم
 ونسائهم وأخذوا لأهل الدور السابع إحدى عشر حيمة ربحالها وستة وثلاثون قطيعات
 عملها ذكر وخمسة وأربعون بعوا مختلفة وثلاثة عشر مائة شاة من تلك السبعماية شاة ضانية
 وأربعماية من اللعور وأربعة من الخيل مراكيب بسروجها وثنا عشر حمارا وأحدى عشر بادية
 كاملة وستة صغار وأربعة طواغين وقدر تسعة أرطال فحرة حلي مصوغه مطبوعة بطابع
 ماذكر وسلب رجائهم ونسائهم وأخذوا لأهل الدور الثامن بعة حيام ربحالها وثلاثة قطيعات
 قدم عساوي وخمسة وعشرون بعوا مختلفة وأربعماية شاة ضاة وماتين من اللعور وزوج من
 الخيل مراكيب بسروجها ولماية أحرة ولماية مكاهل كاملة وستة صغار وثلاثة طواغين
 حامة من القواظ بالوا علمهم سبعماية سبعماية شاة ضانا ومعار وسلب الراميين ما ليكون
 أرباعها لم يكونوا معها وهو شيخ الرعاة ما استطاعه من ما حصله من دراهم الإغارة
 عيون ودرهم عشر آلاف درهم من وخمسة عشر بعوا مختلفة ومات لهم من الرجال المكرم
 مسعود بن مليط وأخيه مصباح ودرهم من محمد وزيق بن حياك وحسن بن الغاية ومحمد
 بن مسعود وصالح بن علي وعلي بن محمد كلهم رعاة وأما الخارج للقتال إليهم أعلاه درهم
 لأزالوا بين الرجاء والخوف اسم الملاكين للذكور أهم مطالبون عن تعدى عليهم في ذلك
 بيع أرباعهم ودرهمهم وأهم غير تاركين خلفهم طاق الزمان وقصره^{١٩}

وبالثاني يمكن القول أن من بين دوافع الإغارة محاولة السيطرة على الأراضي الخصبة
 والمصالحة للزراعة من هذا الجانب أو ذاك، وأن ما تبعها من عمليات نصب بدعيل في سياق
 سياسة التحويل والزعج وكذلك لإحلال تلك القبائل عن مناطقها ومنعها من العودة لأراضيها
 قصد الاستيلاء عليها، لذلك فإن القبائل المغيرة كانت تعتمد سياسة التكتيل والقتل والنهب
 دون رحمة تجاه القبائل المغارة طاء، وأن الصدامات بين القبائل كانت بمثابة حروب تقع على
 التحوم العربية حيث يتم حشد الرجال للمسلحين من الجانبين للإغارة أو لصيد للفرس وتعقبهم
 وكانت في الغالب لغايات اقتصادية حيث يتم تقاسم ما نصب بين القبائل المغيرة.

١ - د ش الصقلية التاريخية مسموول 212 ملف 292 الشهادة عدد 119 بتاريخ 1276 هـ 1880

يبدو أن قياد الجزائر كانوا يقومون بعمليات الإغارة على طول المناطق الحدودية بناء على أوامر من السلطات الفرنسية وأن الإغارة لا تتم إلا بعد امتناع العروش التونسية عن مغادرة الأراضي الجزائرية أو المواد الاستيلاء عليها بعد التنبه عليها حسب تعبير حاكم تيسة وهو ما تبيته من خلال رسالته إلى الباي عن طريق القنصل الفرنسي بتونس والتي جاء فيها قوله : « يظهر لي أن فصل عاتة المطالب على وجه حسن هو ما يليق براحت الخدادة ومن جهتي فإن غاية مرادي دوام حلطة المودة مع عروش تونس المحاورة لنا وعلى كل حال هذا ما عندي من الاذن وإنما وإن كان ذلك مرادي ثم يتيسر لي ذلك مع وجود بعض عروش محيين الفساد وعندي الاذن الخصري بالوقوف في احترام جدادتنا ولذلك لما تمحضر دواوير نوانسه في ترابنا ارسل لهم الاذن بالرحيل بالقليل أربعة أفراد ولا أصل إلى إعطاء الاذن بالغارة عليهم إلا بعد امتناعهم عن الرحيل طلقاً... »¹

وفي الواقع فإن عمليات الإغارة كانت تتم من أجل السلب والنهب حيث أن القياد الجزائريين كانوا يتحالفون مع بعضهم البعض بمساعدة قوات فرنسية للقيام بعمليات الإغارة من أجل غلب العروش التونسية للناحية للحدود حيث أنه : « في شهر ثاني الحصاد سنة 77 (1277 هـ) أنا المكرم القايد قابيه والقايد شتوح والقايد أحمد شاوش والقايد الحفصي ومعهم ألفيرو تيسة وجميع لا كثيرة وغاروا على الجدييات من الحواظ من الفرائش بمكان يقال له الطافة بل حقة الجمال من بلاد الفرائش والخال أنهم راحلين فنهبا منهم اثنين وعشرين بعيرا مملئين بالغرايز فمخا وشعروا وأثا وأحد عشر زوية رقم البادية وأثا عشر بقرة... »²، ويبدوها فإن القبائل الحدودية التونسية كانت تتحالف مع بعضها وتتآزر من أجل صد القبائل الجزائرية أو للقيام بغارات ضدها، وبالتالي فإن عمليات الإغارة لم تقتصر على قائل الفرائش بل كذلك كانت قبائل الهامة يلجأونها تقوم بغارات على الأراضي الجزائرية من الناحية الجنوبية وفي ذات الوقت معاوضة خراجهم من الفرائش في المناطق الجبلية وهو ما تبيته من خلال رسالة حاكم تيسة والتي جاء فيها « وأما الهامة من جهة الجنوب فاجهم بقودوا غارات كثيرة وفي الثل يتوجهوا في إغاثة الفرائش »³.

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 26 - لغريب مكتوب من حاكم تيسة إلى قنصل جنرال فرنسا بتونس
تاريخ في 21 ديسمبر 1860 هـ

2 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 116

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 10 - لغريب مكتوب من حاكم تيسة إلى قنصل جنرال فرنسا بتونس
تاريخ في 21 ديسمبر 1860 هـ

وبالتالي يمكن القول أن الإغارة التي كانت تتم من الجانب الجزائري كانت لا تستثني أحدًا حتى ولو كان من غير سكان تلك المنطقة وحتى لو كانوا رحلا وهو ما يؤكد أن الجزائريين كانوا يعتمدون عمليات النهب من أجل إبعاد عروش الفرائش عن المناطق الحدودية لتوع من الخوف والرعب لدى العروش الحدودية حتى يتسنى لهم السيطرة على تلك الأراضي الخصبة، وهو ما تعرض له أولاد وازر القاطنون حول جبل بورمان والذي كان بدوره محل نزاع بين الفرائش والسلطات الفرنسية - الجزائرية وبالتالي فإن عملية الإغارة يبدو أن المراد منها هو تحجير سكان المنطقة من الفرائش وإحلالهم بعيدا عن الأراضي المتنازع عليها والخال أن مكان الإغارة جبل بورمان يعد واحد بين أولاد وازر وبين عرش التمامشة⁴.

لقد كانت السلطات الفرنسية تعمل على إبعاد قبائل الفرائش القاطنة في الأراضي التي كانت تريد ضمها إلى التراب الجزائري لذلك كانت تعتمد إلى حد القياد والعروش الجزائرية للإغارة على جوارهم من الفرائش قصد إبعادهم عن المناطق التي تريد الاستيلاء عليها لتسهيل ضمها، « وأولاد وازر الذين نجحهم حاكم تيسة ومن معه من عمله أنه غلبهم في بلادهم أمام جبل بورمان كاتهم قاطنين عن روابطهم وطعامهم وقصصهم واندروهم وكبشروهم »⁵ أيضا أنها ملك دايبهم واجدادهم خلفا عن سلف ولا نازعهم فيها متنازع ولا محاضم ولا شريك ولا مشارك... لا من غعل الجزائر ولا لاخوانهم الفرائش وأن حوفي بلادهم المذكورة جبل عتد يقال له بورمان حاجز بينهم وبين بلاد الجزائر سوى نجع التمامشة.. وأن نجع التمامشة إلى الآن يشهدون بذلك إن وجدوا للحق بيلا⁶.

ورغم تثبت أولاد وازر بأراضيهم فإن السلطات الفرنسية - الجزائرية كانت تعتمد إلى إبعاد الفرائش عن الأراضي الحدودية ويبدو أن الأسباب الكامنة وراء هذه الأوضاع في مجتمع الفرائش هي أسباب اجتماعية اقتصادية سياسية بالرغم من أن الرعاية من أولاد وازر من الفرائش نازلين بوطنهم أمام جبل بورمان وتاولين عليهم أبناء شيخهم وخدام قايدهم يستخلصون عليهم في مال الإعانة المباركة وبذلك أجره الحكام دراهم وحوالي وبرانس وأرادوا الرجوع من عندهم بنعام ما ذكر فلما أصبح الصباح فأصبح عليهم حاكم تيسة وعمله فأخذهم أعداه راية من جميع كسيهم من الإبل وبعض من الخيل والبقر والغنم والآخر وجميع

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 117

2 - المصدر نفسه، الوثيقة تاهد

البيوت بأثلاثها (...) وقتل منهم أربعة رجال وأربعة منهم ثلاثمائة بعيرا وعشرين ماعز
وعشرة آلاف شاة وخمسة مائة واربعة وسبعين شاة وأربعين رأسا من البقر وستون حمار ومائة
واحدة أيضا وعشرين بعا عمل البادية وسلب تساقهم وأولادهم وتركهم خلفا عراة...⁽¹⁾
وكما اعتنقهم أحمدا وببلا بمكائهم المذكور وقتل ثم عشرة رقاب وأسر منهم ستة رجال باقين
تحت يده إلى الآن ومن بعد ذلك أمر عن عمله من التماسه وأولاد بني ومن معها بالجناس
وأنهم أن يجمعوا مرتين بذلك في بلاد أولاد وزار المذكورة وامتثلوا للأمر وكان كذلك وليس
له مصلحة في ذلك وإنما عنده امتناع أربابها من الخمر والعمارة...⁽²⁾

ولقد تقدم عروش أولاد وزار بشكوى إلى السلطات التونسية بتاريخ أواخر ربيع الأول من
عام 1274هـ وكان استكرا أرباب ذلك لسيدنا ومولانا المنعم المرحوم محمد باشا باي أبرد
الله تراه... (ويصفو إليه) ولقد هم ببرد ما ضاع لهم وأنفروهم حدهم على مد اليد...⁽³⁾ وبالتالي
يمكن القول إن السلطات التونسية كانت تعمل على أن يثني الوضع على الحدود هادئا
وقد كانت تتوعد بجلبها حتى لا تقع هناك نزاعات على الحدود بين قبائل الفرائش وقبائل
الغرابية، ويمكن القول أن ذلك نابع من خوف السلطات التونسية من الجانب الفرنسي
حتى لا تكون تلك الخصامات مبررا للتدخل في الغراب التونسية، في المقابل فإن السلطات
الفرنسية - الجزائرية كانت تعمل على كل ما في وسعها لإجلاء العروش من المناطق المناخنة
للحدود أو من الأراضي الخصة التي تعمل السلطات الفرنسية على ضمها إلى الجزائر.

إن رد الثاني على قبائل الفرائش وحثهم على عدم الدخول في نزاع مع جيرانهم
الجزائريين خاصة بعد أن اضطأنت قلوبهم بذلك ورجعوا لوطنهم المذكور وعمره بالمرحوم كما
كانوا وباقيين محتلين لأمر (الباي) ومتظيرين لرجوع ما ضاع لهم...⁽⁴⁾ بيد أن ذلك لم يحدث
خاصة بعد أن وصلوا سنة 1275 حصاد للزراع...⁽⁵⁾ حيث أخبرهم بثبات أحبابهم من
عشائر الجزائر أن حاكم تبة ومن معه قاسد نحوكم فرحلوا من مزارعهم...⁽⁶⁾

- 1 - المصدر نفسه، الوثيقة 130
- 2 - المصدر نفسه، الوثيقة 117
- 3 - المصدر نفسه، الوثيقة 118
- 4 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 5 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 6 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها

ولكن امتنعت قبائل الفرائش عن الدخول في معارك مع حاكم تبة بعد أن «راموا أن
يقاتلوه عن بلادهم ومزارعهم»⁽¹⁾ فإنه أصبح ومن معه من الرماة نارال على مزارعهم وأمر
من معه بمساعدها بأكل المواشي والمصايد...⁽²⁾ وبالتالي يمكن القول إن حاكم تبة كان يعتمد
إلى القوة من أجل فرض إناوات على عروش الفرائش ولكن واجتمعوا أرباب المزارع وجعلوا
له اليد دوزو، لما بلغ ذلك حاكم تبة امتنع وواعد بمساعدها وإلا يبد ألف ثابته...⁽³⁾
ولكن امتنعوا عن ذلك في بادئ الأمر بيد أن خوفهم من الباي استمر وأمرهم على أن يدفعوا
له حيث دفع له الرعاية ثمانية...⁽⁴⁾ وثلاثة الجميع دوزو سكنت قرطيس ودفعوا الخناوة
والروابع مائتين اثنين دوزو وخمسة وستون دوزو سكنت ما ذكر ودفعوا له الفضة مائة
واحدة...⁽⁵⁾ وستة وخمسين...⁽⁶⁾ سكنت ما ذكر ودفعوا له اليعاسية سبع مائة وستة وسبعين
...⁽⁷⁾ سكنت ما ذكر جميع ذلك الألفين الذي طلبها وقبضها منهم... فلما قبض ذلك رفع
يده على المزارع المذكورة...⁽⁸⁾

وبلاحظ أن تواتر عمليات الإغارة من طرف حكام وقبائل تبة كانت تتم بشكل روتيني
على القبائل التونسية الحدودية، وبالتالي يمكن القول أن الحدود الترابية في عالم القبائل التونسية
في القرن التاسع عشر ليست المصدر الوحيد للعلاقات المتوترة والغارات والتهب، بل مثلت
الأسباب السياسية والاقتصادية محورا مهما للصراع وللحركة الاجتماعية بين القبائل وهو ما
تؤكدته مراسلات القبائل والقياد للسلطة المركزية، وفي هذا المجال تعددت غارات القبائل الجزائرية
على نظرائهم من الفرائش، حيث لم تقتصر الغارات على التخويف بل تعدت إلى عمليات
سلب ونهب طالت أبعاد وأوراق القبائل التونسية وفحائم تبة وعمله أصبح على ثلاثة
دواوير من الشعاسية والرعاية من أولاد وزار وأربعة دواوير قرصة وزوايح من الملتكويين وأحدهم
أحمدا وببلا وقتل منهم ثلاثة رجال ونهب منهم مائتين اثنين بعيرا وخمسة وتسعين بعير من
الإبل ومن الغنم ثمانية آلاف شاة وخمسة مائة شاة والبنا وستون شاة ومائة رأسا وأربعة
وثلاثون رأسا من البقر ومن الأحمر أربعة وتسعون وجميع البيوت بأثلاثها وثياب الرقاب ذكرا
وأنثى لا كبير ولا صغير ومن لا يسلم في ثيابه فترعوها من رقبته بعد عروجه روحه...⁽⁹⁾

- 1 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 2 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 3 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 4 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 5 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 6 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 7 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 8 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها
- 9 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها

كما تعرض في أوائل جمادى الثانية من سنة التاريخ (1277هـ) آيات روائح من أولاد
وزر قاضي في بلادهم المذكورة شرقاً بمحاذيت في بلاد أولاد ناحي غرباً فكانهم ساييس
ومعهم قائد تسعة رجال أخذ شياوش وما معهم من عيالهم وأخوتهم أحملاً وبلا وقتلوا
لهم ثلاثة رجال وإمرات وأما ريتان فماتوا من حينها وأما اثنين فماتوا بعد ذلك من سب
جراحهم وماتوا هم أيضاً وثلاثين رأساً من النفر وثلاثمائة شاة وخمسة وسبعين شاة وأثنى
عشر حملاً وسبعة بيوت بأنهم وسلب جميع رقايمهم¹.

ولكن بالمتابعة حصراً عاماً من مصادر عيش القبائل النحومية حيث كانت القبائل
تقوم بغارات وعمليات سلب لجوارحها ثم تتراجع إلى دواخل مجملها فقد كانت حركة الغزو
والإغارة عناصر من الحياة القبلية التي تقودها قواعد وعادات محددة ضرورة امتلاك السلاح
وتحليل لأعضاء القبيلة تنظيم الاستفاد الجماعي (الفرقة أو الفرقة) الذي يعم عنه شرع
الطبول أو السعال البار ثم القيام بالعيلة، ويبدو أن الفرقة أو الفرقة كانت متصلة لدى
قبائل القراشيش التي كانت عروشها تخضع لهذا الملحق، التي مثل في مفهومها الأوسع
التضامن بوحدة الصف بين العروش وهو ما كانت تتحدى له العروش عند الاحساس
بالخطر أو للدفاع عن عروشها من العروش وقد كان ذلك يحصل بناءً إغارة والغارة على
قبائل القراشيش أو بالعكس حيث ما أن يبلغ الخبر بقدرة العروش والدواوير حتى يتنادى
الناس فيما بينهم لحدة إخوانهم... وبلغ ذلك أولاد محفوظ من أولاد ناحي فلهذا طراد
افتكاك السعي للذكور وتلاطموا هم والنساء المذكورين ومات من أولاد محفوظ للذكورين
زوج رقاب منهم رجل عشر لهم وأدوا حيولهم وسلاحهم وثيابهم...² بدورهم كان
والغارة يتنادون فيما بينهم في جنال حصول إغارة من القراشيش للتصدي لهم... ولما بلغ
هم هذه الإغارة فرغت جماعة قريشان من عروشنا من حراس الخدادة ولحقوا أثر العدو فلم
يتيسر لهم الوصول إليه...³

ب - الإغارات الواقعة بين سنتي 1862 و 1881

لقد بات الخط الحنودوي كله غير خاضع لمراقبة كاملة حيث تكررت عمليات الإغارة

- 1 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 2 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 3 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة

من طرف القبائل الحجازية والنحومية وحملت تقريباً كل الأماكن التابعة للحمود البيوملي
والنهضة، أو الغزوة من الجانبين لسبب القبائل الغزوة لهم، وقد أدى هذا التحرك العدائي
داخل المجتمع القبلي إلى حد تآكل الإقامات بتوسط القاد وسكوتهم عما يجري على الخلد
من إغارات وأن ذلك يتم بوقوتهم وهو ما ذهب إليه الفصل الفرنسي ليون روش في رسالته
إلى عميد الصادق باي بتاريخ 3 يناير (حائقي) 1862 لتوافق ل 2 رجب 1278 هـ والتي
جاء فيها : ... فرمنا أن فعل بعض القسدين أفراد يفتي على نظر القيد ولكن لا يصح
لتفادي ادعاء الخلل في غارات وقعت في عدد كبير من الأقطار التي لا يتيسر اعتمادها في
مكان من غير موافقة القائد للتولي على المكان المذكور وعلى هذا فإن محمد بن علي قائد
القراشيش أظهر مرة أخرى أن ما أصابه من العقاب سابقاً لم ينعش منه الشبر المسال
حتى الخلد...⁴، وقد أكد الفصل الفرنسي على تورط القيد في الإغارات الواقعة من
القراشيش وأكد على أنه والنهت وقع من جماعة عسيدة من القريشان انضبعوا برضى القائد
لأنه دهم يتسم العيبة مع التابعين⁵.

لقد كانت الإغارات لقبائل بنوع من التضامن من القبائل والذي يعم عنه بالفرقة من
أهل صدة العلوان واسترجاع ما سلب كما أن السلطات الفرنسية قامت بإدخال إلى ذلك
بناء مجموعة من القريشان لحماية الخدادة للتصدي للمعوس حيث أنه حلما وبلغ حد
هذه الإغارة فرغت جماعة قريشان من عروشنا من حراس الخدادة ولحقوا أثر العدو فلم يتيسر
لوصول إليه...⁶ على حد تعبير حاكم قسم فلسطين. وبالتالي يمكن القول أن الإغارات
كانت في كثير من الأحيان تقع بشكل ماضع لا يتطعن لها حال وقوعها، وهو ما يؤدي في
كثير من الأحيان إلى ردات فعل فورية في محاولة استرجاع ما سلب واستدوا القراشيش قبل ما
حلي بهم وأخذوا لهم يونا وسعيا والتواصلة قتلوا خماسا لحرب لتلكه كان تحرت الأرض هناك
وفكروا بقتله في المحراث كما أنهم أخذوا حصانا للبعارة وسعيا من الغنم للزراعة ولكن عربانها
افتكوا السعي المذكور وأخذوا للعدو مائتين وخمسين شاة على وجه للمبالغة وصغر الذي في
زيادة حراسة الخدادة بوجه يقتضي أنه سييسر لغزوتنا طرد الجابر والقبلي عليه...⁷

- 1 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 2 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 3 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 4 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 5 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 6 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة
- 7 - المصدر نفسه، الوثيقة عسيدة

ويستطاع بمكي القول أن عمليات الإغارة وعن كانت متبادلة بين قبائل الفرائش
والغزاة، فإن السلطات الفرنسية كانت دائما تعمل مسؤولية الإغارة لقبائل الفرائش
واعتادهم مارقين على القانون وأهم سبب المشاكل وقد أورد ذلك حاكم قسنطينة في كتابه
التفصيل الفرنسي تونس بأن أولاد يعقوب أغاروا على الفرائش بقرب تورير واخذوا لهم
مائة باقة وهذا التعدي بقرب بلد في عادهما أن تحسن قبول الفرائش بدل أن أولاد يعقوب
اصطادوا لذلك¹، في ذات السياق كان قياد الفرائش يتقدمون بشكاوى مرفوعة بمحجج
عادلة إلى الديار العالي مطالبين بتعويضات عما لحقهم من ضرر جراء الإغارات المتكررة
عليهم من طرف قياد الغزاة، والعمل على منعها، وقد كانت تلك الشكاوى تجال إلى
وزارة الأمور الخارجية التي كانت تتولى حل النزاعات وتبين ذلك من خلال مراسلة ونومرو
2331 بتاريخ 26 ربيع الثاني 1280 / 10 أكتوبر 1863 عمالة من طرف أمير الأندلس مصطفى
الوزير الأكبر والتي ورد فيها ما يلي: «وزارة الأمور الخارجية حرسها الله تعالى، أما بعد فقد
عرض علي أخيرة علي قيد أولاد وزار محاججا بالعدالة تضمنت صدور إغارات متعددة
من عمدة قسنوم قايد بكازيه من تراب الغرب على أولاد وزار اقتضت لهب أموالهم وقتل
انفس منهم واحد لم يزل عارضا على العود لذلك وصدر اعلان بإعلام الوزارة بذلك لتجهد
في قطع الضرر بالتعرف التي اعتادتها في أمثال التازة اعلمناكم بذلك»².

كما أن الغارات من طرف قياد الغزاة، لم تقتصر على مناطق الفرائش الحدودية بل
أن بعضها توغل في عمال الفرائش نفا عن غنائم وهو ما حصل سنة 1863... ففي
أواسط شهر التاريخ (ربيع الأول سنة 1279) غار المكرم بالقاسم بوق قايد عرش التمامشة
من فريق العلوان والمكرم محمد قايد عرش الزاوشة من التمامشة المذكور ومحمد بن عبد
الواحد عرف شتوح قايد عرش الرطلة وأولاد سيدي عبيد والمكرم أحمد شاوش قايد بلد
نسة ومعهم حاكم بلاد نسة المذكورة وجميع عروشهم المذكورين الجميع من عمالة الجزائر
على دوار المكرم حرات بن سالم الفريشسي الشاوي من قبيل أولاد عون والمكرم إبراهيم
بن مبارك القيل والمكرم الطيب بن عبد الله القبيل ومن معهم من أخوتهم في محل يقال له
الحصار أحد أماكن بحيرة فسانة (فوسانة) من عمالة تونس... فمات المكرم صالح بن عمار
القبيل ومات المكرم مسعود بن محمد القبيل ومات المكرم محمد بن سالم القبيل وماتت الجرة

١ - المصنف نفسه، الوثيقة نفسها

٢ - المصنف نفسه، الوثيقة عدد 67

زجرة قبيلة ونحوها لهم خمسة وعشرون فرسا من إناث الخيل وذكروها وسبعة أمهال وأربعة
وسبعون حمرا وخمسة عشر مائة جزء صوف وخمسة وأربعون عرس فحرة وثلاثة وعشرون
حديدة فحرة كذلك وخمسة وعشرون زوج حلة فحرة كل ذكر الجميع عمل تونس واحدى
وعشرون حملا ثلثين ثمرا وعشرة مكيلات (...). وثلاثة أسباع عمل وثنا عشر مكيلات
تحتن الجميع بالمعيار الباجي. واحدى وعشرون قطيف وأربعون خيل من عمل نيسة واثني
وستون برنوس من عمل البادية وخمسة وعشرون صقاري من عمل الجريد وخمسة وأربعون
حول من عمل البادية ثمانية عشر وخمسة وستون نحوي من لباس النسوة وعشرة سروج بالفضة
من عمل تونس وخمسة عشر حية ملف وستة وعشرون قاطة ملف من جميع لباس الفارس
وثلثين وعشرون مائة رينال دور سكة قرانضة وخمسة وعشرون فضلة كنان ايض واثني
وعشرون فضلة كنان أزرق واثني وستون بيت شعر بأثاثهم وعشرة بنادق مقارن وسبعة
عشر بنادق كاملين وثمانية بنادق قنار وتوجهوا بالجميع إلى عيامهم³.

أما بتاريخ الأنوار بمولده عليه الصلاة والسلام من عام 1280 هـ / 1864 وتنتيجة لما
كانت تعيشه الإيالة التونسية من ظروف استثنائية إبان ثورة علي بن غداهم فإن عمليات
التهب من طرف الغزاة، باتت متواترة حيث عمد القياد الجزائريون إلى التكيف من غاراتهم
على جوارهم الفرائش في أكثر من مكان من أجل الغنائم حيث تهب علي بن عمار
الشموشي من فريق أولاد حلال والمكرم عمار يرشاش القبيل والمكرم عبد الله بن مسعود
القبيل من فريق أولاد شكر ومعهم زاجية حيلة من أخوتهم التمامشة المذكورين على إبل
المكرم الفارس محمد بن أبي الضياف البعوضي من أولاد بوعلام وأخوته ثمارا في محل يقال
له خنفة الصفصاف أحد أماكن عمالة تونس ورفعوا الغزاة المذكورين من الإبل المذكورة
سنة وثلاثين بغرا إناثا وذكرنا مختلفين الألوان والأسنان وذهبوا بها مع حصان أزرق اللون
قارح السن مع فرس زرقاء اللون حذقة⁴. كما تهب أحمد شاوش قايد بلد نيسة ومحمد
شتوح بن عبد الواحد قايد بلد بكارية وعملها نجا للمكرم أبو زيان بن سالم السبكي خمسة
وسبعين نعجة ضانا مختلفين الألوان والأسنان وأيضا نجا القواد المذكورين لفريق الجدييات من
البعاسة ثمانية عشر حمرا إناثا وذكرنا وأربعة وثلثين غزارة ضرفا وأيضا نجا القواد المذكورين

١ - المصنف نفسه، الوثيقة عدد 121 - إشارة عدة عروش من عمالة الجزائر على أنصار فرائشيش بتاريخ ربيع
الأول سنة 1279 هـ.

٢ - المصنف نفسه، الوثيقة عدد 123، إشارة فريق التمامشة الجزائريين على محمد بن أبي الضياف الفريشيشي
البعوضي وأخوته 1280 هـ.

وما معهم من عمالة الخوايز من عرش أولاد وازر جميع أربع وثلاثين قفيرا قمحا باجي وويشان قمحا باجي أيضا مع مائة قفيرا وتسعة عشر قفيرا باجي وثلاثة وبيات باجي الجميع شعرا بعض ذلك طلوعه من الروابط والبعض مندور أفتندوه بالمناخل وأكل الخبثان وغير ذلك وإن البذر المذكور نصف حياطة كاملة وكان معهم في إفساده حاكم تيسة وجندوه^١.

كما أثار في اليوم الحادي عشر من شهر التاريخ المذكور محمد شتوح بن عبد الواحد قايد قرية بكاريه وعملها ومعه زانية خيلا من عمالة الخوايز على نزلة بعاصه من أولاد مبارك في محل يقال له الزرية أحد أماكن عمالة محروسة تونس الحسية عفا الله من كل بلية آمن وقتلوا العوارة المذكورين من النزلة المذكورة أربعة رجال منهم المرحوم عبد السلام بن مهيبي البصوصي والمكرم علي بن عمارة القبيل والمرحوم يوسف ابن عبد الله القبيل والمرحوم عثمان بن محمد القبيل وقتلوا منهم ستة من الخيل بسروجهم وقتلوا أيضا أحد عشر عضلة من الغنم^٢.

كما شهدت سنة 1864 مزيلا من الإعارات، إذ كان في ثاني الجمادي من السنة الفارطة خرج للمكرم الفارس شهر قايد بن عبد الله قايد عرش الوارشة من نجع النمامشة والمكرم الفارس محمد شتوح بن عبد الواحد قايد قرية بكاريه وعملها وكان معها خيلا كثيرة من عمالة الخوايز وتوجهوا جنبا ناحية الشرق فلما بلغوا محلا يقال له بوحية أحد أماكن عمالة محروسة فالتفوا فيه روابط هم الطعام للبعاسة أولاد مبارك من أولاد وازر فغاروا عليهم القواد المذكورين ومن معهم من الخيل المذكور وقتلوا المرحوم أحمد بن محمد البصوصي من أولاد مبارك بالبارود وحب الرصاص وجرحو المكرم علي بن عباس والمكرم بلقاسم بن عبد كلاهما أولاد مبارك من البعاسة من أيديهم بالبارود وحب الرصاص المذكور قتل جميع منافعيها أصلا بالكلية ووقعوا قم بين غارة بوحية المذكور وبين غارة بوحسين شرقى المكان المذكور ستة عشر مائة شاة وثلاثة وستين شاة ضانا ومعز. والجل من ذلك ضانا مختلفين الألوان والأسنان مع إحدى وعشرون حمرا إنانا وذكرنا مع إحدى وعشرين عينة من صوف شعر مع روج من الخيل مع اثنين وعشرين غرارة ضروفا مع خمسة بنادق طوال وثمانية برانس صوف عمل اليد عشرة خوالي رجال عمل ما ذكر^٣.

١ - المصغر نفسه والوثيقة نفسها

٢ - المصغر نفسه الوثيقة عدد ١٢٥ : إشارة لقايد بكاريه من عمل الخوايز على أولاد مبارك من أولاد وازر من الفرائش سنة ١٢٥٥ هـ : كتب في ١٢ ربيع الثاني ١٢٥٥ هـ

٣ - المصغر نفسه الوثيقة عدد ١٢٤ : إشارة لقايد عرش الوارشة وقيده بكاريه على أولاد مبارك من أولاد وازر سنة ١٢٥٥ هـ

وأيتضا غار المكرم شنيته الشوشي ومعه زانية من عرشه في محل يقال له الكروانة جوي بن قعصه على نزلة بعاصه وقتلوا المكرم الزعيم بن علي القبيل والمرحوم أحمد بن علي بن قاسم القبيل والمرحوم علي بن يحيى القبيل والمكرم أخيه أحمد والمكرم الساسي بن أحمد وقتلوا المرحوم عمود بن الحاج بلقاسم الحافضي وقتلوا له حصان وحيد الخيل سرجه على بالفضة وسلاحه (...) وابن عمه عثمان بن علي بن رمضان وقتلوا المرحوم علي ابن عمار القبيل كلهم ماتوا بالبارود وحب الرصاص في الغارة المذكورة ووقعوا ثم روج من الخيل بسروجها وإسلحة المقتولين المذكورين . ووقعوا ثم مائة شاة وسبعة وسبعين شاة ضانا ومعز وقتلوا أيضا لأحمد بن محمد القبيل المذكور خمسة بعائر بأحجامهم قمحا وثلاثة من الخيل وثلاثة أحزمة مع عينة بأثلاثها بخا وية باجي عترة^١.

لم تقتصر تعديات الغرابة على جوارهم من طرف القياد الخوايزيين بل كانت الغارات تتم أيضا من طرف العروش الخوايزية على عروش الفرائش وحتى دون مير حيث أنه وكان في شهر محرم الحرام سنة 1280 هـ التاريخ (1864) أتت حيول كثيرة غزابة من عمالة الغرب من عرش أولاد خييار وهم الشيخ معمر وعلي الأبيض ومن معهم من الخيل وغاروا على عرش أولاد تاجي عتكان يقال له أبودرياس من عمل بحيرة غوسانة فخاروا وقتلوا منهم رجلين وهما مبارك بن الطبيب النحوي الخفوضي وحب بن محمد القبيل من أولاد الحاج بالبارود وحب الرصاص وجردهما من ثيابهما فذلك أربعة برانس وروج سقاسر وأربعة كياس وروج سوارى وروج مكاحل طوال وروج قرايله وروج سكاكن وروج ركاوى محلوين بالبارود وحب الرصاص وروج من الخيل لما بسروجهما حدد عمل محروسة تونس واحتاروا بذلك ونوجها به إلى ماخيتهم على وجه الظلم والتعدي^٢.

يبدو أن انتفاضة 1864 التي شهدتها الإيالة التونسية أضعت قبائل الفرائش وشقتهم وهو ما جعل القبائل الحدودية التونسية تعيش حالة من الضعف والوهن وهو على ما يبدو قد شجع القبائل الخوايزية على غزوها واحتياز الحدود وصولا إلى أماكن تعد نسيبا بعيدة عن الخط الحدودي الفاصل بين الإقليمين وهو ما سجل لماينة فريانة من طرف عروش تيسة

١ - المصغر نفسه الوثيقة عدد 124

٢ - المصغر نفسه الوثيقة عدد 125 : إشارة لأولاد عياد من الخوايز على أولاد تاجي فرائش من الفرائش صميم الخوير سنة 1280 هـ كتب بتاريخ 24 في محرم الحرام 1280 هـ

حيث . . . حضروا سبعة اليوم السابع عشر من الشهر القارظ عن شهر التاريخ بقرية
 قربانية لغاية جبل أنت من ناحية الغرب من عمالة حاكم تيسة نحو السيمانية جبل ومعها
 القايد قايد الموشى الرشي قبل ابن وسات ومما معه من وضيعة من غرته المذكور وأحمد
 شاوش قايد تيسة ومن معه من وضيعة من غرث عتلة لقايد بعضها غرابه وبعضها شرافة
 أبو جيعا راحين غابن على نزلة لزغاية من القراشيش نازلين بحيامهم وسط حصايد أهل
 القرية السفلى الكاتبة قريبها فلما بلغوهم تاجروا في تبهم من حيوان وحيام وأثاث وغير
 ذلك من قتل وقاب وجرحا وسلبها وانتشرت حيولهم على ناحية إلى أن وصل بعضها قرب
 أحنة القرية المذكورة وساروا يصعدون بالبارود وحب الرصاص وغيرها وأخذوا في قتل الناس
 لكل من والأهم ولم يبالوا بأحد فحينئذ خشوا أهل القرية المذكورة على أنفسهم كثر وعلى
 سعيهم وبقيت الناس في حيرة عظيمة وكثرة كبيرة وحالة ذميمة ومذلة (. . .) لما حل بهم
 من الخوف والرعب العظيم حتى قطعت الغارزة المذكورة أوطانها بالقرية المذكورة فحيث لم
 يبق منها شيء إلا آثار الديار¹⁴.

لقد كانت الإغارات من طرف القبايل الجزائرين تتم بشكل وحشي وكانت تستهدف
 في طريقها كل شيء من أجل بث الرعب والخوف في قلوب التونسيين حيث أن الغارة
 الجزائرين لم يقتصر على أرواق الناس بل كانوا يعمدون إلى التكيل بهم بعد أن . . .
 يادروهم بتهب ما عليهم من سلاح وكسوة حتى تركوهم بالجمعهم خفايا عراة لظنهم أنهم
 إذا أخذوا منهم ذلك فوقع عليهم القتل بعد ذلك أخذوا في قتلهم بالبارود وحب الرصاص
 وضرب السيوف فما روا رجال أهل الدشرة المذكورة يطلبون معهم الشجاعة ويعظمونهم في
 جانب الله تعالى ورسوله ويقولون لهم نحن اناس ضعفا لا قدرة لنا على محاربتكم وبطلب
 العفو من الله ثم منكم فلم يعترفوا بكلامهم ولم يترقبوا الله تبارك وتعالى ورسوله وهم يتزايدون
 في فعلهم ويفرّون في معظمهم بعضا على قتلهم¹⁵.

ويبدو أن حاكم تيسة كانت لديه نقطة كبيرة على القبائل التونسية والقرى المحاورة
 للحدادة حتى أنه كان يهدد بدمها بالكامل، . . . وبعد وقوع ما ذكر بثلاثة أو أربعة أيام

١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 127 مشهودة بتاريخ 700 ألف من مرسوم تيسة على القبايل القراشيش نازلين
 غرارة ونهبوا لهم الشك وسعي وقتل الناس أول شهر صفر 1280 هـ

٢ - المصدر نفسه الوثيقة ذاتها

أثنا نحو من بعض القبول فأعلمونا بأن حاكم تيسة قال في كلامه لعمالة نهبوا لقرية
 مرة أخرى في لقبف كبير ركبانا ورحالا ونفروها بالناس حتى تركوها بلا قعر¹⁶.

لقد تعددت عمليات النهب والإغارة على قبائل القراشيش سنة 1864 من طرف القبايل
 الجزائرين وتخلت عدة عروش مختلفة في عديد المناطق الحدودية وفي اليوم السابع عشر من
 محرم الحرام المنصرم عن شهر التاريخ (سنة 1280 هـ / 1864) فيه توجه المكرم محمد قايد بن
 عبد الله قايد شيخ البرارشة من النمامشة من حلة والمكرم محمد شتوح بن عبد الواحد قايد
 بكازية وعملها والمكرم أحمد شاوش قايد بلد تيسة ومعهم نحو 400 خيلا من عمالة
 الجزائر فلما بلغوا محلا يقال له المساحة أمام قرية فريانة . . . فالتقوا في المكان المذكور سبعة
 دواوير زعماء ودواير فضة الجميع من أولاد وزاز من القراشيش فغاروا عليهم القواد المذكورين
 ومن معهم من الخيل المذكورة فقتلوا منهم (8 أشخاص وجرحوا 6 آخرين) ومع ذلك نجحوا
 الغارة المذكورين من نزلة الزغاية المذكورين مائة بعيرا وخمسة وأربعين بعيرا أثنا وذكرنا مختلفين
 الألوان والأسنان مع سبعة آلاف شاة وستماية شاة واثنين وستين شاة من ذلك ستمائة شاة
 وخمسين شاة معزا من ذوات الشعر والباني فانا الجميع مختلفين الألوان والأسنان كما ذكر
 مع مائتين اثنين بال وعشرة ربالات دورو السكة الفرائضة مع خمسة عشر مائة بال سكة
 تونس من صغار الضرب مع خمسة وخمسين بتدقة طويلة وأربعة عشر مكينا عمل الغرب
 مع اثنا وخمسين أزواج حلة مع مائتين أزواج عرص مع خمسة وخمسين أزواج حديدة الجميع
 فضة عمل تونس مع مائة واحدة برانض عمل البادية مع خمسة وسبعين حرام جريدي وعمل
 البادية مع خمسة وأربعين حوي تسوي مع أربعة كساوي ملف مع ثمانية سروج جدد عمل
 الغرب مع ألفين حزة صوف وخمسة وعشرين حزة مع خمسمائة غرارة بيضا وحمر مع أربعة
 قلف مع أربعة وتسعين خيمة من صوف وشعر بأثاثها من ماعون وغير ذلك وأخذوهم
 أحلة راية وتركوهم خفايا عراة لا كسب ولا مسكن ولا ثياب أصبلا . . . ونهبوا الغارة
 المذكورين في الغارة المذكورة مائة بال وثمانين بال دورو سكة الفرائضة ومائتين اثنين بال وثلاثة
 ربالات سكة تونس من صغار الضرب وسبعة زغوس من البقر مع خمار ذكر ولثمانية وستين
 غرارة مملوون بالطعام والشعر مع مائة حزة صوف وخمسون حزة مع سبعة وعشرين فليحا
 جدد مع خيمة ثامة بأثاثها مع سبعة عشر خربضا فضة عمل تونس وثمانية حلة فضة عمل

١ - المصدر نفسه الوثيقة ذاتها

مادكر والتي عشر حقهده عمل مادكر ووية ياخي ضمن مع كسوة فارس ملف مع ثمانية فضالي كمال ابيض مع ثلاثين برونوس صوف عمل البادية وخمسة وعشرين حرام صوف عمل البادية ايضا وسبعة عشر حولي نسواني وخمسة وعشرين بخالق زرق وخمر مع اثني عشر شركة بالمزحان الحر وارباع الطروق...⁽¹⁾

كما تعرض الفريخات من الخواظ بدورهم إلى إغارة النمامشة حيث أغار عليهم الشيخ عبيد بن منصور الجياوي من المراقبة ونصر بن احمد القبيل واحمد بن علي بن بوغراة وطالب ابن محمد القبيل ومن معهم من المراقبة والمعاليم والعبادة من أولاد يحيى وغاروا على الفريخات من الخواظ من عرش الفرائشيش في ثلثي الحادي عشر سنة 1280 (...) البارود غمارا حالين بزلتهم ولحقوا منهم خمسة وأربعين بعيرا ذكورا وإناثا وثلاثين من البقر وأربعة بقال وعشرة احمره وقتلوا منهم رجلين... وكما غار الشيخ عبيد بن منصور المذكور ومن عطف عليه من العروش المذكورين على الخواظ المذكورين بحجرة تاجموت من بلاد أولاد بوغام في رمضان السنة 1280 المذكورة غمارا حالين بالترلة ولحقوا منهم اثنا عشر مائة لعدة كسارا وسعماية غلوشا وستمانية وأربعة وثلاثين معزة منها خمسمائة وأربعة وعشرين (...) وقتلوا منهم تسعة رجال وسبعة من الخيل... إلى أنه اليوم السابع من يوم الغارة المذكورة بالبحيرة المذكورة أتوا عروش أولاد يحيى بغابتهم على الخزيري ومشائهم وجميع السباسب التي شبه والمريح والقايد شيوخ وأهل عمله والقباه احمد شلوش ومن تبعه وأولاد رشاش من النمامشة وقدرهم ثمانية عشرة مائة من الخيل وغاروا على الخواظ المذكورين حاصبا بعين عنان من عمل قلعة سنان من بلاد أولاد بوغام وقتلوا لهم اثنين وثلاثين فرسا وأخذوا سرورهم رفعوا لهم أربعة وخمسين من الخيل زرعى حلو أنزلوا وقتلوا منهم تسعة وعشرين رجلا بالبارود وحب الرصاص وأخذوا خيلهم بسرورهم وأسلمتهم وصلتهم...⁽²⁾

لم تتوقف غارات قبائل الغرابة على الخواظ بل أنهم تعرضوا من جديد للإغارة حيث وأن عروش أولاد يحيى والزعلمة التي بناحية الغرب والنمامشة أتوا خيولا كثيرة وغاروا على الخواظ من الفرائشيش اليوم التاسع من ذي الحجة سنة 1280 بمكان يقال له الزميلة من

بلاد الخواظ. وحبوا منهم ثمانمائة وستة نعالج وخمسمائة وأحدى وعشرين غلوشا واربعاء وخمسة عشر معزة... ثم رجعوا أولاد يحيى ومن عطف عليهم العروش المذكورين ومعهم قوادهم بعد هذا اليوم المذكور بالمكان المذكور غمارا وغاروا على الخواظ المذكورين وقتلوا منهم خمسة عشر فارسا... وأن العروش المذكورين رجعوا لقتالهم إلى الخواظ المذكورين بالمكان المذكور هذا اليوم المذكور نحو الخمسة عشر مائة من الخيل وقتلوا منهم ثمانية عشر رجلا... على وجه الظلم والعدوان واحتازوا بجميع ذلك ولم يرجعوه...⁽³⁾

بدورها كانت القبائل التونسية تتبادى للقيام بغارات معاكسة تجاه والغرابة من أحلى قبيهم بقى ليلة اليوم الرابع والعشرين من دجنبر (ديسمبر) الفارط أغاروا نحو الألف وثلثمائة نفر من الفرائشيش والزعلمة على غوارين من المراقبة من أولاد سيدي يحيى بن طالب من عمل تيسة التالين بين بركة الفرس والعين الزوقة وقتلوا منهم نفرا وجرحوا منهم ثلاثة وعشرين وأخذوا منهم 1602 شياه 1359 معيز 10 أحمره 3 فرسات 1 بقلة واحدة...⁽⁴⁾ ويبدو أن عروش الغرابة بعد قبيهم من طرف التوالسة كانوا يعمدون إلى تتبع الناهيين ربما لخلوة معرفة العروش التي قبيهم حيث يقع اتياخ الناهيين من بعض القرمان فوجدوهم يتقاصمون غنيهم بنواحي بير الحاتقي ثم وجهوا جانباً من المنهوب لجهة حردة (القلعة المخصصة) النازلة بها ومالة قايد الزعالمية وجانباً آخر لجهة بولجاش النازل بها الحاج قعيد قايد ماجر من أولاد علي وجانباً آخر لجهة فوساة النازل بها سي علي الصغير قايد أولاد وزاز وأولاد الحاج وأعطيت أيضا بعض شياه لزواوية الحاج الشافعي الذين سكناهم أتو بصحقي الشيخ فقام المذكورين لما رجعوا من غزيتهم...⁽⁵⁾ وبالتالي فإن غاية تتبع الغرابة للناهيين كان المراد منه تحديد العروش الناهية للحصول على تعويضات بعد تقديمهم للشكاوى، كما أن تورط سكان زاوية الشافعي في ذلك من خلال مباركتهم على ما يبدو للإغارة قصد الحصول على جزء من المنهوب يثير مسألة الدور التي كانت تلعبه الزوايا الحدودية في الأوساط القبلية إبان القرن التاسع عشر.

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 131

2 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 60 - مبنية على الوثيقة الأولى مصدقها خردا من البيكيت دي بلخير الكشاف للمحمد دومة فرنسا وفصلتها المرسال بنولس بتاريخ 26 فيفري 1870 / 27 ذي القعدة 1271 هـ

3 - المصدر نفسه الوثيقة دلتها

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 129 - حصة في شهادة الفارس بل محمد بن عبد الله فليد البيلاشة ومحمد شيوخ قايد مكنية وأحمد شلوش قايد بدة خمسة ومعهم جنود كثيرة من عمالة الجبابر لغاروا على دمار من أولاد واز من الفرائشيش وحبوا منهم جميع كسبهم مائة مائة ربيع الأول عام 1280 هـ

2 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 131 - إغارة النمامشة من عمل الدمار على الخواظ من الفرائشيش سنة 1280 هـ

وبعد تحديد الغزوة كانت القبائل التي تعرضت للإغارة تطالب بتعويضات مالية عما
فقد لها من أرواح وهو ما كانت تطالب بها سلطات الإيالتين بغير الضرر للقبائل المنهوبة
وبناء عليه فقد طالب حاكم عموم الجزائر 2970 فرنكا بمقتضى تقويم قاضي تبة دية المقتول
والجاني وطالب أيضا 34260 فرنكا عن السعي المنهوبة للترافقة بمقتضى التقويم الواقع بسوق
تبة وبجملته الكتل 37290 فرنكات وإجبا أن الحاضرة العلية تسمى في حلاص المنهوبين¹.

وقد أكد حاكم عموم الجزائر على أن الغارة تعد نوعا من التعدي وهذا التعدي وقع
عن غير سبب متباين من خلقة العروش التونسية مع أولاد سيدي يحيى بن طالب ولم يكن
قبل بعض السرايا الشرد وإنما هو إغارة حقيقية على ترابنا من عروش التونسية متعاقدين على
هذا الأمر تحت نظر القباد التونسية الذين حاصروا في المنهوب وربما وقع ذلك بأذنتهم².

لم تكن الإغارة بين القبائل الحدودية مقصورة على غلب الحيوانات فقط بل كذلك
كانت تشمل أيضا غلب الطعام من قمح وشعير حيث أن بعض القبائل التونسية كانت
تقوم بخزن محصولاتها من الحبوب لدى عروش من والغزاة، وربما يعود سبب ذلك إلى خربتهم
لأراضي داخل التراب الجزائري لذلك كانوا يعملون خزنة لدى خرباتهم من الجزائريين المنهوب
على ما يبدو من دفع الجانية إلى البايك، أو أنهم كانوا يتكون كنية من الحبوب للبيادر
وبعد الحرب يقتلون ما بقي لهم إلى تونس وتكتسبة لذلك كان بعض الأشخاص التونسيين
يتعرضون لعمليات إغارة وغلب بالقوة جبال محاولتهم نقل محصولاتهم إلى الأراضي التونسية
وهو ما تعرض له فعلا العياشي الفزاشيشي الوزاوي حين أغار عليه التمامشة وأولاد مراح من
عمالة الغرب سنة 1280 / 1864 هـ أن العياشي المذكور كان في أوائل الخريف القارط من
السنة الفارطة عن سنة التاريخ ذهب لناعية الجزائر ومعه سبعة رجال من اخوته المذكورين
وبأيديهم خمسة عشر بعيرا وثمانية عشر حمارا الجميع اناثا وذكرانا يريدون عليهم حمل حبات
طعام لهم قمحا غزنونا بأحد روابط أولاد سيدي يحيى بن طالب من عروش العمالة المذكورة
فلما بلغوا الرابطة المذكورة واخرجوا منها الطعام المذكور وأوضعوه في حملتهم وحملوه الأبعرة
والاحمره المذكورين ورجعوا هائين غلبتهم فلما توسطوا في أثناء الطريق وردت عليهم زغبة
حبل من التمامشة أولاد مراح ونحوها منهم لجميع العيايير والاحمره والطعام المذكورين ومنع ذلك

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 1
2 - المصدر نفسه، الوثيقة ذاتها

فجاء منهم خضائن من جبال الجبل بنسجه تام واقتكوا منهم اسلحتهم وجميع ثيابهم وتركهم
خلفانا غرانا وذهبوا بجميع المنهوب المذكور الى غلبهم ولم يرجعوا لأنبائه المذكورين³.

وفي ربيع الأنوار من عام 1279 هـ أغار جمع من التمامشة ومنى العلالوة ومعهم القايد
قايه والقايد شوح والقايد احمد شاونش عن دوار حرات بن سالم الفريشيشي فكان يقال له
قوسانة حيث نحوهم ثم وعشرة مكابيل وثلاثة أصواح غسل بالمعيار الباجي وأثناء عشر مكابله
سمن بالمعيار الباجي⁴ بدورها تعرضت رابطة أولاد زيد من قسامة فكان يقال له الطباقة
للهيب حيث رفع منها وفي شهر رمضان من عام 1280 هـ الشيخ ابراهيم الخليل الباجي
ومحمد بن الصغير وسماعيل بن احمد والشيخ الملكي ومن معهم سبعة عشر فقير قمح
باجي وثلاثة عشر فقير باجي⁵، كما أغار أنصار من أولاد يحيى بن طالب على أنفار من
الفراشيش في شهر شعبان سنة 1281 هـ / جانفي 1865، ويبدو أنه أثناء فرار قبائل الفراشيش
هروبا من يطش اخلعة بعد إخماد ثورة علي بن قذاهم اغتتم بعض الجزائريين الوضع للهيب
روابط الفراشيش وهو ما قام به الشيخ نصر بن احمد الباجي المروقي واحمد بن علي
القبيل ومحمد بن لحضر القبيل وطالب بن محمد لقبيل ومعهم قوم من أهلهم غاروا على
روابط الحاج عبيد بن محمد الفريشيش الحافظي من أولاد علي بن ابراهيم والحاج احمد بن
محمد القبيل ومحمد بن الحاج بوبكر والعربي بن احمد القبيل في مكان يقال له القوسة جوفي
بلد حيدره وفتحوا ما فيها من المظامير ورفعوا منها خمسة وثمانين قفيزا قمحا وسبعة وأربعين
قفيزا شعرا الجميع بالمقدار الباجي حين فروا من امكانهم وقت خروج الأحمال المنصورة....
وتوجهوا به إلى نواحيهم واحتاروا به على وجه الظلم والعدوان⁶، كما أن أولاد وراز طلبا
تعرضت أرواقتهم للهيب بما فيها من طعام من طرف قياد التمامشة وبكاربه وتبسة، ومثال
على ذلك إغارة أوائل ربيع الأنوار عام 1280 هـ والتي استهدف خلالها القياد المذكورين
الرعاية حيث نحوهم دحمساية غزاره بيضا وحمر⁷، كما نحو للفرضة دثمانية وستين

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 133

2 - المصدر نفسه، الوثيقة الماريجية، صندوق 213، ملف 240، الوثيقة عدد 1.

3 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها

4 - المصدر نفسه، الوثيقة الماريجية، صندوق 210، ملف 202، الوثيقة عدد 136

5 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 120

غزارة مملوئين بالطعام والشراب⁽¹⁾، وروية باجي ضمن⁽²⁾، وفي شهر شعبان عام 1281 هـ محمد الشيخ نصر بن أحمد اليحياوي ومن معه على رتبة الحاج عبيد العبيدي بن محمد والحاج أحمد بن محمد الحوافضية بمكان يقال له القوسه جنوبي بلد حيدرة ووقعوا من الرتبة خمسة وثمانون قنبر قمحا باجي وكذلك سبعة وأربعون قنبر شعير باجي⁽³⁾.

2 - ظاهرة قطع الطرق والسرقة

نظرا للوضع الاقتصادي المتردي الذي كان يهيم على القبائل الجبلية التونسية - الجزائرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة تضاعف الجني في الجانب التونسي والممارسات الاستعمارية الفرنسية في الجانب الجزائري، فإن قبائل الفرائش والغرابة، باتت تعاني من قلة الإنتاج بعد أن تم التصيق على تنقلاتها، إضافة إلى سنوات الزمة، والإحاح، حسب التعبير المحلي للفرائش التي طالما ضربت المنطقة الحدودية إضافة إلى ذلك تفشي الأوبئة والأمراض وهو ما يفسر التراجع الكبير لكميات احتياطي الحبوب لدى قبائل دائرة تبسة، سيما البرارشة وأولاد الرشاش وأولاد يحيى بن طالب، في حين أنه كان متعددا تماما لدى فرق أولاد سيدي عبيد⁽⁴⁾، تنضاف إلى ذلك سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها الجيش الفرنسي خلال ثورة 1864 وتدمير مخازن الحبوب عقابا للقبائل الثائرة⁽⁵⁾، وهو ما أدى إلى تفشي الجوع في الوسط والجنوب الجزائري لاسيما في منطقة الهضاب العليا ومنطقة الشرق الجزائري وهو ما أدى إلى رصد عدة حالات وفاة ناجمة عن أكل النباتات الطليعية بما فيها السمامة وذلك نتيجة لإعدام الغذاء⁽⁶⁾، حيث كانت مجموعات من قبيلة السمامة يهيمون في الحقول عراة بحثا عن العشب فاما كالحيو⁽⁷⁾، وتفيد إحدى المراسلات الموجهة إلى القائد العسكري لمقاطعة فسنطينة بتاريخ 6 فيفري سنة 1868 إلى بلوغ عدد ضحايا دائرة تبسة

- 1 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.
- 2 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.
- 3 - المصدر نفسه، السلسلة التاريخية، صندوق 213، ملف 248، وثيقة عدد 1.
- 4 - المجري (الأحرار)، القبيلة الولائية - مرجع سابق، ص 103.
- 5 - المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.
- 6 - المرجع نفسه، ص 191.
- 7 - المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

حوالي 1398 ضحية من بينهم 188 من أصل تونسي⁽⁸⁾، في الوقت الذي كانت تعاني فيه القبائل التونسية من تضاعف الجني وجور العمال.

وبالتالي يمكن القول أن تدهور الوضع الاقتصادي لدى القبائل الحدودية أنتج وضعاً خطيراً وكارثياً غلغل في أحياء التوازن الاجتماعي بعد أن بات الفرد عاجزاً عن توفير قوته اليومي وهو ما كان سبباً في تفشي ظاهرة قطع الطرق والسرقة.

1 - الإغارة على القوافل

نظرا للموقع الجغرافي المميز لمنطقة السباسب العليا الذي يتوسط المنطقة الغربية للبلاد التونسية حيث كان يمثل فضاء عبور ضروريا بين الشمال الجنوبي (فريقية) والجنوب الشرقي (الجزيرة) إضافة إلى أهمية المبادلات التجارية مع الشرق الجزائري وهو ما جعل من مجال الفرائش ممرا لشبكة من المسالك.

ونتيجة للحراك الاقتصادي الذي مثل عاملا مهما في تنامي حركة المبادلات بين القبائل، فقد مثلت منطقة السباسب العليا همزة وصل بين الشمال الحيو والجنوب الشرقي وبالتالي فقد تحيزت حركة المبادلات بين فضاء الفرائش وماجر يتوسع المضاع المبادلة وبات محالهم مركز عبور ضروريا سواء من داخل البلاد (من قبائل الشمال أو الجنوب) حيث كانت هذه القبائل تشكل التعمور من واجات الجزيرة وقصبة وجامعة بني زيد وفي المقابل يوفر مجال الفرائش وماجر للمجموعات الجنوبية من الممامة وبني زيد وسكان الجزيرة الحضر الحيو والصوف والعسل والفحم والقطران... وبالتالي يمكن القول أن قبائل الوسط الغربي كانت تلعب دور الوسيط بين الشمال والجنوب.

كما كان مجال الفرائش بديرة ممرا للقوافل القادمة من الشمال الغربي والشرقي الغربية لمجالهم أي ممرا للقبائل التونسية القادمة من فريقية ولقبائل الغرابة القادمة من المدن الجزائرية كسوق أهراس وقسنطينة ووفاة والمرجج وبكارية وغيرها في طريقها إلى الجزيرة، خاصة أن هنالك طريقا لازالت إلى اليوم تعرف بطريق «فريقية» (و) تنطلق من الشمال مرورا بحيدرة ثم الطياقة وصحراروي فحققة السلوقي ثم بوردو

1 - المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

وصولاً إلى درناية بوشكة بوحية أم علي ثم قصبة (91 C)، إضافة إلى عدة طرق أخرى تمر عبر محال القراشيش.

ويبدو أن بلاد الجريد كانت سوقاً مهماً للتجارة بقصودها من عدة أصناف وكانت تمثل رقفاً مهماً للتجارة في الإبلية التونسية لذلك فإن السلطات التونسية كانت تعمل على تأمين القوافل والطرق وذلك من خلال التصدي لقطاع الطرق والسراق، بيد أن حالة المرح التي شهدتها المناطق الحدودية مع الجزائر بعد ثورة القبائل ضد الاستعمار الفرنسي في أربعينيات القرن التاسع عشر ولدت حالة من القوضى نشأت معها عمليات الإغارة على القوافل القاصدة أو لغاية الجريد وهو ما جعل الباي يتقدم بشكاوى إلى السلطات الفرنسية بغية تأديب المارقين من القبائل الجزائرية بعد أن كان تم على عماله بمنع بعض القبائل الجزائرية من البيع أو الشراء في أسواق الجريد، وهو ما أكدته لمشر أحمد باي في رسالته إلى القنصل الفرنسي بتونس بتاريخ 13 ذي الحجة الحرام من سنة 1268 / 1852 والتي جاء فيها مايلي : «أما بعد فإن فرقة أولاد وشايف من العمامشة للتسدين في عمالة الفرنسيين قد نهبا عمالنا بالجريد لا يقبلوا منهم أخذ بيع أو يشتري فتحربوا لاحتل ذلك وانضمت لهم فرقة أخرى من العمامشة يقال لهم أولاد العيساوي وصاروا يقطعون الطريق في الجريد وفي هذه الأيام أغاروا على قفل (قافلة) للسوافة (سبة إلى وادي سوف) ومعهم صفاقسي قادمين إلى الجريد ما بين نقطة وتوزر واحتجزوا إبلهم وسلعهم فأنقذتهم خيل المحازنية من نقطة لتجميع ما أخذوا فمتعوا بالمحروب بما عجزوا وتعطلت سبب ذلك متاجر الجريد فأمرنا عمالنا بوزة النبال والتعرض لمن يغور ويقطع الطريق طوعاً أو كرها واعتناكم بذلك خشية أن يقع ما يلزم في رد المعتدي واختر بذلك»⁶⁹.

١ - كثر هذا الطريق عبر جبال القوافل للتجهيز من الشمال إلى الجنوب أو العكس والذي يهتدى به محال الفرنسيين من التسمية العربية بمعانها محال القوافل وهذه طرقها مختلفة مقارنة بالطرق الأخرى خاصة بالنسبة للقبائل من جهة الكف في الجبل الجريد أو بالعكس ولكن تتبع هذا المسار عبر Google Earth. وهذا الطريق هو عبارة عن تضاريس مجموعة من الطرق القديمة من الكف وصافية سيدي يوسف والتي لم يجر ترميمها كما يوجد على مسرى انطلاق من الأراضي الجزائرية كوزة والبرج للقبائل هذه الطرق في مبدئية حيث تجد الطريق الذي يمر عبر غطاطة وسهل أفراي عربي فوسيلة ثم يوريس وصولاً إلى درناية ثم بوشكة حيث يتفرع إلى عدة محال عربية وجنوبية وشرقية. في الجبل ليست وتلك في اتجاه الجنوب الغربي في اتجاه الأراضي الجزائرية عبر مصفاة الواسية ثم بوشكة إلى النقطة الحدودية شرق الأوشكة لتتفرع من النقطة غربي بوشكة وصولاً إلى قصبة ثم الجريد وحسب مدير الإدارة الجهوية للتجهيز بالمحاربين في الجبل وبنوك وبنوك بعامل بوشكة وصولاً إلى قصبة ثم الجريد وحسب مدير الإدارة الجهوية للتجهيز بالمحاربين في الجبل معه في شهر أفريل 2014 فإن هناك «مسلك جارية لإقامة إحياء هذا الطريق لغرض يمكن تتبع مسلك هذا الطريق على موقع : map of tunisia : www.google.com الخريطة رقم 4

٢ - السلسلة التاريخية لتاريخه 12 ص 241 الطبعة رقم 92

ولعل تعدد المسالك والطرق التي تخترق منطقة الساس العليا دليل على تطور المبادلات التجارية في منطقة الوسط الغربي وكذلك انتفاع محال القراشيش على بقية الجهات الأخرى، بيد أن عمليات الإغارة وحالة التناحر بين القبائل جعلت من هذه الطرق مسرحاً لعمليات إغارية ويمكننا لقطاع الطرق من هذه القبيلة أو تلك رغم العقوبات الزجرية التي كان يسلطها البايك على هؤلاء.

لقد عرفت علاقات القراشيش بنظرهم من «الغربة» حالة من التوتر والضاغر تزايدت أكثر مع محاولة الاستعمار الفرنسي ترسيم الحدود بين الإيالتين خاصة مع بداية النصف الثاني من القرن 19 وهو ما كان ينظر إليه القراشيش بشيء من الريبة، وقد تزايدت التوتر العلاقة مع الدور الذي باتت تلعبه القبائل الجزائرية الحدودية سواء بمحاولاتها فرض سيطرتها على أراضي القراشيش أو بالإغارة عليهم لإحلالهم بعيداً عن الخط الحدودي الذي رجمه الجزائريون.

وبالتالي فقد باتت عروش القراشيش الفاضلة بالمناطق الحدودية المخاضية محال «الغربة» غير آمنة نتيجة تكرار حالات الإغارة والسلب والنهب وهو ما عجز عنه عرش الحوافظ من القراشيش في شكاوهم إلى السلطة المركزية بتونس على أولاد يحيى من عمالة الجزائر بتاريخ أوائل جمادى الثانية سنة 1284 هـ والتي جاء فيها ما يلي : «قد عرفت غارزة من الخيل ركبنا على عيولهم مقلدين أسلحتهم قاطعين سلوك الطرق سافكين لدماء المسلمين ناهيين لأموال الناس حرواً وظلماً وتعدياً وبغياً وفهراً وغلبة»⁷⁰، بدورها كانت الطرق المارة عبر محال القراشيش غير آمنة حيث تعددت حالات الإغارة على القوافل الجزائرية، ففي رسالة من القنصل ميسيو رومو المكلف بقطاعات شمال فرنسا بالخاضرة إلى محمد الصادق باشا باي تونس بتاريخ 27 سبتمبر 1861 الموافق لـ 23 ربيع الأول 1278، «جاء فيها» : «بلغ لي من المارشال حاكم عموم الجزائر يعلمني به بأن نفرين من القراشيش وصلوا إلى عين السمحة في ثنية قسطنطينة إلى ثنية غاروا على بلقاسم بن أحمد بن الحميلة من أولاد سيدي يحيى بن طالب واحتجزوا له بعل وتوسعوا فرنك وبرنص»⁷¹، وقد كانت السلطات الفرنسية تتشكى إلى الباي وتعمل على تتبع المجرمين وفي نفس الوقت تطالب بإزجاع ما نهب لأصحابه، والدليل على ذلك ما

١ - المصدر نفسه، السلسلة التاريخية، ص 212، طيف 232 الوثيقة عدد 159. «حجة الجارية المارة من أولاد بوشة على الحوافظ من القراشيش في أوائل جمادى الثانية 1284 هـ»
٢ - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 67

جاء في رسالة القنصل الفرنسي «وطلب مني جناب المارشال بالأغراض (غرض) هذا الأمر على جنابكم (أي) طلبة منكم إيصال الحق إليه ومعاقبة المجرمين عن فعلهم هذا...»¹

بدورهم كان قياد القبائل الجزائرية ومن معهم يقومون بغارات على قوافل الفراهيش المارة على الطرق القريبة من الحدود في اتجاه بلاد الجريد، والدليل على ذلك إغارة قايد السامشة على فريق من أولاد علي الفراهيش بتاريخ 1278 هـ وقد جاء في الشكوى المكتوبة بتاريخ 11 ثاني الجماديين سنة 1280 هـ أن مشهود يشهدون ويحققون بأن القايد قايد عرش السامشة والشيخ حنين بن عمار القبيل واحمد بن علي القبيل ومعهم ثلاثمائة من الخيل والقايد شتوح ومبارك بن حمزة ومعهم نحو سبعين فارسا من الرغالة أولاد مسعود القاطنين بتاحية الغرب غاروا على أولاد علي ابن ابراهيم من الخوافظ من عرش الفراهيش تحاربا بمكان يقال له ابو حية حوفي قرية فربانة من بلاد الفراهيش في ثاني الجماديين 1278، وهم زمولا متوجهين إلى بلد الجريد وقبوا هم اثنين وأربعين بعيرا يحملين بالطعام قمحا وشعيرا وقتلوا هم أحد عشر رجلا وأخذوا ما عليهم من الناس... وسلبوا باقي الزمول المذكورة بيانة خمسة وثلاثين بربوص وستة وعشرين حوي وأربعة وأربعين مكاحل طوال وأحدى وعشرين فرد طيائفة وثلاثمائة رهالا دنورو وسبعماية رهالا سكة تونس...»²

ونظرا لما يتميز به مجال الفراهيش من موقع استراتيجي بين وفاقية والجريد فإن قبائل الفراهيش امتنعتوا بدورهم التجارة والسفر إلى الجريد من أجل بيع القمح وكييل التمور، وهو ما جعل قوافلهم عرضة للإغارة والنهب من طرف الغزابة، وهو ما حدث فعلا مع الأنبال من أولاد وراز حيث غار المكرم سليمان بن بدير العبيد من عمالة الجزائر على قافلة أنبال من أولاد وراز المذكورين في بوحية المذكور فقتلوا المكرم محمد بن خلد بن القبلي من قبل أولاد عبيد مولود والمكرم محمد بن علي بن صره القبيل والمرحوم مسعود ابن رمضان القبيل والمكرم مسعود بن سكامه القبيل ورفعوا لهم سبعة بعائر بأحلامهم قمحا مع ثور يحمل بالطعام مع زوج من الخيل»³

1 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها

2 - المصدر نفسه، الوثيقة سنة 1280

3 - المصدر نفسه، وثيقة سنة 1284

كما أن عمليات الإغارة من طرف الجزائريين لم تقتصر على القوافل فحسب بل كانت تشمل حتى أملاك بعض الأشخاص حتى ولو كانوا من معارفهم وهو ما تعرض له ومحمد بن أحمد الفراهيشي النجاشي من الرطليات له دين قبل المكرم نصر بن عثمان القبيل من قسامة من وجه صراف والخال أن نصر المذكور قاطن مع أولاد يحيى باحيتهم فالحق محمد بن أحمد المذكور نصر المذكور بقصد خلاص الصراف المذكور منه فخلع منه ثلاثة وثلاثين نعجة كبارا وثلاثة وثلاثين علوشا وثلاثة وثلاثين معزة ورجع بها إلى عمله قلم بلغ مكانا يقال له البركة بحيرة أقران⁴ من بلاد الفراهيش تعرض له علي بن بوقره النجاشي وعمر الحسين حيتلا واقتكوا من يده جميع الغنم المذكورة وجردوه من جميع لباسه وذلك زوج برانص حية من صوف وسورية كتان وبلغه جديدة وذلك في شهر حجة الحرام سنة 1279 التاريخ واحتازوا بجميع ذلك على وجه الظلم والعبد وتوجهوا بها إلى تاجيتهم...»⁵

بدورها لم تكن عمليات الإغارة على القوافل التجارية المارة بمجال الفراهيش يقتصر فيها على القبائل الجزائرية، بل كانت قبائل الفراهيش بدورها تتعمد الإغارة على القوافل التجارية الجزائرية المارة في مجالها وتقوم بنهبها، وهو ما كان في كثير من الأحيان يؤدي إلى خلافات بين القبائل الحدودية، وفي ذات السياق فإن البابليك كثيرا ما كان يلجئ إلى قرض عقوبات ردعية كانت في أغلبها مالية أو عينية على قبائل الفراهيش، نتيجة التشنكات والضغوطات الفرنسية على الباي. ونظرا لأهمية التجارة في القرن التاسع عشر ومن أجل تأمين الطرق التجارية في المناطق التخومية فإن الدولة شرعت في بناء الأبراج العسكرية وتركيز التكنات داخل فضاء الفراهيش للمراقبة منها برج حيدرة والطاقة بأرض الخوافظ وبرج يودرناس بأرض أولاد ناجحي⁶.

ورغم ذلك فإن عمليات الإغارة على القوافل التجارية لم تنقطع بل كانت متواترة ففي أواخر شهر دجنبر (ديسمبر) الفارط توجه للعتالة التونسية نفر من أولاد سيدي يحيى من عمل تبسة اسمه عرفة بن عيد الله لينسوق التمور من توزر ولما وصل عند الحنادرة من

1 - عمادة تقع جنوب غرب فوسانة على الحدود التونسية - الجزائرية.

2 - أ و ت المخطوطة التاريخية، صندوق 242، ملف 232 الوثيقة عدد 120 - إغارة على بن بوقره النجاشي وأهله معه من عمل الجزائر على أحمد الفراهيشي النجاشي سنة 1279 هـ كتب في 23 في حجة الحرام 1279 هـ

3 - المصدر نفسه، المخطوطة التاريخية، الصندوق 10، ملف 199، التاريخ 1283 هـ وثيقة عدد 78 - مرسلة من علي الصغير من صليح إلى الوزير رستم يشير عليه مرشد بناء الأبراج بمجال الفراهيش الحدودية

الفرش القاب للزعم علي الصعو حجم عليه الناس من القبيلة المذكورة وأخذوا له حملين
و 280 فريكة من الفود وشكارة ثلثة بالنسح^(١)

ويبدو أنه رغم عداوات البابليك حماية التجارة في القرن التاسع عشر وذلك بإقامة
الأبراج. فبدل ذلك لم يكن كافيا وهو ما يعكس محدودية نفوذ السلطة المركزية على هذه
تجموعات التلية خصوصا أن القيادة إما أن يكونوا متواطئين مع عروشهم فبما يحصل أو أن
سيفلتهم عبدة ولا يستطيعون دفع المخالفين وهو ما تبينه من الوثيقة الآتي نصها : «وبعد
وقوع ذلك تسع عرفة للذكور حرة الناعين فأوجسته إلى عوازمهم والماء بلغ إلى هناك المردود
فاشتكى للناهد علي الصغر فلم يحكمه من حقه فوجه للكتاب واشتكى لأمر الأمراء السيد
رشيد فعدله للذكور برة للثوب وبغاب الحجة إلا أنه لم يتم شيء من الوعد المذكور^(٢).
ونتيجة لذلك كان الشهبون من الجانبين يلتحقون إلى السلطات المركزية الناعين إليها لتتظلم
من الناعين. فلي الخلب الجزائري كانت السلطات الفرنسية ترأس الباي في حوادث
الإغارة والنهب ونطالب تعويضات للمتضررين «ولأن الرجل المذكور طلب من الحكيم
الفرساوي أن يتدخل لدى الدولة التونسية ويسعى في خلاصه وهذا بيان ماغيب له فريك :
340 لمن زوج جمال منهوبير 65 من شكارة تسع 240 دراهم عين، الجملة : 645»^(٣).

وبناء على ذلك كان للضررون يلتحقون عادة إلى العندول لتقديم شهادات تثبت
إدعائهم وذلك لظهور شعاعدهم وهو ما تبينه من خلال الشهادة التالية والتي تم الإدلاء
ها بعد حوالي أربعة أشهر ونصف من تاريخ وقوع حادثة النهب وفي ما يلي نصها : «الحمد
للأمام من له الحكم الشرعي قاضي بالقسم الرابع والعشرين من محكمة نيسة عمالة قسطنطينة
وشاهدته حضر سعة أنصار أولهم المذكور سي أحمد الأخضر بن بلقاسم فايد أولاد سي يحيى
بن طالب والمكرم الشافع بن ابوزعرة الورقلى حرقه شيخ والمكرم سي الطيب بن الحاج علي
والمكرم ميروك بن الحاج بلقاسم والمكرم عبد القادر بن علي والمكرم صالح بن عباس كلهم
من القبيل خرقهم فلاحه والمكرم سي الحاج بلقاسم بن نصر النعوشي نسا من سكان

١ - المصدر نفسه المجلد ١٢٠ صفحة ٢١٢ ملف ٢٧٥ الوثيقة عدد ٥٥ «رسالة من مسبو رسيطان
للشيخ بالمر دولة فرانسوا وأصلها الخصال بنوس للويس الأول عبر الدين باشا بتاريخ ١١ مارس ١٨٧٦ الموافق 7
ربيع الأول ١٢٩٥ هـ»
٢ - المصدر نفسه - الوثيقة نفسها
٣ - المصدر نفسه - الوثيقة نفسها

نيسة حرقه كان فايد على العلوانة عرش النمامشة ويتعهدون معا شهادة واحدة لقضا ومعنا
وفي شهادتهم الحم يعرفون المكرم عرفة بن عبد الله الحيواي من فرقة ورقلة حرقه تاجر وأنه
رجل مليح ذو ديانة لا يريد ولا ينقص وأنه ملازم إلى الصغر (السر) إلى الجريد وغيره بقصد
التجارة إلى صامرا أولاده وما الطاهر بن عرفة وشقيقه المصام من عرفة ويدهما زوج نياق
اناث من جنس الابل احدهما حرة اللون في سها كنية (٧) والاخرى صفرة اللون في سنها
ثيا أيضا وبخل وجمار حاملين على البعير للمكروين صباع قمع قسطنطيني وصاع شعير وتسعة
غرابير أخلاف والاولاد حاملين خمسة وأربعون دورية مسكة فرانسواية والناس المسافرين مع
الاولاد المذكورين وهم المكرم نصر بن الخيل الورقلى والمكرم محمد بن بلوز الففصي والمكرم
محمد بعير المصام من فريق أولاد سلامة في أواخر فصل الخريف الماضي عام 1294 هـ إلى
أن وصلوا إلى محل يقال له درناية إحدى أماكن وطن الفراشيش فحجموا عليهم ثمانية رجال
من الفراشيش من أولاد وازار من فريق الخنادرة ليلا ونهبوا لحما الزوج نياق المذكورين مع صاع
قمع وصاع شعير المسطورني مع الخوايا متاع النياق مع زوج برانيس مع الخمسة وأربعون
دورية المتقدمة ذكرهم مع التسعة غرابير المشار إليهم ورجعا الاولاد المسافرين المدعورين وألقوا
عليها ما نهبوه لهم الفراشيش المذكورين كل ذلك في علمهم وتحقيق امرهم صدرت منهم على
سبيل القطع والجزم من غير شك عنهم ولا ريب فيما شهدوا به..... بتاريخ 22 حويلية
1876 الموافق 22 رجب 1295 هـ^(١).

وبالتالي يمكن القول أن أمن القوافل كان أحد الشواغل الأساسية في سياسة الدولة
لعلاقته بمدخلها الجبلية، وكانت المهمة الأمنية لقياد الفراشيش كمجموعات حدودية
مسألة جوهرية وهي تشمل الأمن الداخلي بين العروش والفرق المكونة لها وفي علاقتها مع
الضموعات المخاورة لها وذلك من خلال بناء الأبراج على التحوم الحدودية، بيد أن ذلك لم
يخمس مشكلة الأمن في المناطق الحدودية حيث لم يقتصر ذلك على الإغارة على القوافل
فحسب بل أن ذلك كان يتعدى إلى حالة من المخرج والفوضى على طرق الحدود نتيجة
عمليات السرقة.

ب - السرقة

تعد ظاهرة السرقة بدورها من الأعمال المشيرة للشعب بين القبائل الحدودية والتي يبدو
١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد ٥4 «شهادة من الخليل ابن محمد قاضي بتسليم

أما انتشرت بشكل لافت للانتباه لخلال سنوات القرن التاسع عشر والتي تشتهر الوثائق،
 ان الوضع الذي آل إليه حال الفصح القبلي بات بشكل عطرًا كثيرًا على العلاقة الشافية
 بين القبائل النعوية، وبعد ذلك مؤثرًا قويا على حالة التصديع العام وقبائل أسانيد مناخه
 وأسس توارثه¹.

لقد خللت عمليات السرقة التي انتشرت بين عروش والفراتيش وعروش العرب،
 الخيوليات وعزاز الخيول، حيث نشأت ظاهرة السرقة بين القبائل والعروش الحدودية وباتت
 لا سرقات متفرقة ولم تقوى سلطات في ذلك (أي السلطات الفرنسية - الجزائرية) إلا بعد
 أن تضعوا عساكر في عرش ومركاب²، وبالتالي فإن ذلك يؤكد على كثرة السرقات وعجز
 السلطات عن ردعها وبات لزاما عليها نشر جنود من أجل حماية الحدود.

لم تقتصر عمليات السرقة على القبائل الحدودية فحسب بل شملت أيضا أرواق المعمرين
 الفرنسيين وهو ما ورد في رسالة القنصل الفرنسي بوسم إلى الباي تاريخ 31 ماي 1861
 لتأريفي 21 ذي القعدة 1277 هـ والتي جاء فيها : «إن الصراخ حوسي وزواريق مرش
 طم من التوالسة المرة الأولى حور أبعال وفي المرة الثانية ستة عشر رأس غمر وثلاثة بعائم
 والحيوانات المسروقة موجودة الآن في عرش الحوافض من الفراتيش»³، وقد كانت السلطات
 الفرنسية تطالب الباي بالتقضي على المجرمين خاصة بعد استدلالها على العرش الذي ينتمي
 إليه السراق وأتباع أقمى العقوبات بحقهم وهو ما أكدته القنصل الفرنسي للباي بقوله : «هذا
 أشك حيثما يصور الآن اللازم من جانبكم (أي الباي) بترجيع هذه الحيوانات لأربابها
 ويعقاب من صدرت منهم الحماية ليكرهوا غيرة لغزهم واسما المجرمين لا يخفا عن البحث
 عنهم من حكم جانبكم»⁴.

لقد كانت عمليات السرقة تتكرر من حين إلى آخر وكانت تتم ليلا وبعد ترصد
 للمسرور وهو ما أكدته حاكم الجزائر بيليسي دوك دي مالاكوف إلى القنصل الفرنسي
 بتونس من خلال رسالته التي جاء فيها : «انتشرت باغلامكم اله ولغعت سرقة جديدة في

دواير لسة من جماعة توالسة في ليلة حاتفي عشر من شهر مايو من جماعة من الفراتيش
 والقبائل تغدوا الحداة ودخلوا في ترابنا ووصلوا إلى بحيرة وأحلبوا إلى الرحلة فرقة من
 السامية ثمانية وعشرين رأس غمر وحصان وتذكرون ما ظهر لهم السرقة إلا في بعد موقع
 البحث عن ذلك وجميع الأخبار التي بلغت منطقة على أن كبار جماعة السراق للقبائل
 هم علي بن صالح وصالح بن بوباء ووليد صالح منصور جميعهم من الأكيال فرقة من عرش
 من الفراتيش»⁵.

ورغم تشكيكات السلطات الفرنسية للباي لردع السراق والقصر عليهم قصد المصالح
 منهم فإن السلطات التونسية لم تكن على ما يبدو قادرة على التقضي للسراق من القبائل
 الحدودية وهو ما أفاد به دوك دي مالاكوف في رسالته للقنصل الفرنسي بتونس والتي أورد
 فيها تشكيكه من عدم خروج القبيلة التونسية على الجهاد حتى تقضي السرقة رغم تكررها
 والتي أكدها بقوله : «وبعدا أمير مثل هذه كنت أملكها ما سابقا بقيت إلى الآن من غير
 جواب عنها من جهة دولة تونس فالمرغوب منكم للقبيلة التونسية بتشكيكات القبيلة
 مع إغلاقها بآلات التظلية الحديدة»⁶، وقد حذر مالاكوف من مغبة تكرار عمليات السرقة
 دون معاقبة السراق أو إرجاع المسروق قد يؤدي إلى ردة فعل من القبائل للسرقة باستغلالها
 للتأمر وهو ما قد يؤدي إلى تصاعد وتيرة العوضى والعنف في المناطق الحدودية، وهذا الخطي
 لتحدد كل يوم لابد أن ينتهي من غير شك بأخذ النار من جهة عروشنا (أي العروش
 الجزائرية) إذا دولة حباب الباي لم تتدخل قريبا وتوصل بوجه الحكم عروشنا للضرورة بحقوقها
 أمر لازم حرصكم في هذا الأمر ووقوفكم عند القبيلة التونسية لكن لا يقع زيادة هرج في
 الحداة»⁷.

ورغم قناعة السلطة الفرنسية بأن السلطة المركزية في تونس لا تستطيع المبادلة دون
 عمليات النشاط الاغاري أو السرقة والتعديات الحاصلة بين الفراتيش وجيرانهم من قبائل
 الغراية، بيد أنها كانت في كل مرة لجعلها مسؤولية الأحداث لشركوة، متهمه إياها في ذات
 السبل بالتعاضد عن عمليات التحريض التي يقوم بها عمالها والحماية التي توفرها بعض

1 - الماجر الأحرار القبيلة التوالسة : مرجع سابق ص 702
 2 - المصدر نفسه السلسلة التاريخية : ص 312 بريد 232 الجريدة عدد 19 - مغرب مكنوت من مالم
 نسخة إلى قنصل جنرال فرنسا بتونس مؤرخ في 31 ديسمبر 1860
 3 - المصدر نفسه الجريدة عدد 30
 4 - المصدر نفسه الجريدة عدد 30

1 - المصدر نفسه الجريدة عدد 24 - مغرب نسخة من جواب للباشا دوك دي مالاكوف السريجنل جنرال
 فرنسية بمقتضى تونس
 2 - المصدر نفسه الجريدة : 2
 3 - المصدر نفسه الجريدة : 2

القرن التاسع عشر وهو ما مر عنه حاكم فسطاطية في رسالة إلى القنصل الفرنسي بنونس والتي صنفها بملوره في رسالته لحمد الصادق بإي تاريخ 21 أكتوبر 1881 الموافق 16 ربيع الثاني 1278هـ والتي جاء فيها : «بأن جنابات جديدة صدرت من العروش التونسية على بعض انوار جزيرة من وطن غنابة ومن وطن فسطاطية وعم أولاد وراز من الفرائش بالرائين في ليبيا في حوض بن رمارا فرغوا متصوين (مضمورين) قسح كابتين بقرب ربة تنككة في حق راحل بسنا لغندود بن المقاسم في ليلة 29 سبتمبر الماضي بعض غواة نواصة في عرش أولاد بوعام أولاد لفرغوا متامر (مطامر) رسالة الموحية لجزيرة بالرائين في وادي زرقة من الممامة واحد ما هم خمسين صاع قمح وعشرين صاع شعير معيار الجزائر ثمانم (المطامر) كانت بعيدة قليلة من المكان النازلة فيه الرماله العوجية لم يتخطوا لذلك في الحين...»¹

ويبدو أنه كمنهجة للتضغوطات السلطانية على الليبي من طرف الفرنسيين فإن الباهليك كان يستجيب من الحين والآخر للمطالب الفرنسية في تسع الجنابة من رعاياه وذلك من خلال مراعاة عماله في الجهات في عدد من الرسائل للتواترة من ديوانه ومن وزارة الأمور الخارجية للتحقيق في الدعاوى الفرنسية للموجهة لليبي من أجل ختمهم على الرحيل ومثال ذلك بعد أن وصف الأذن الشريف بال تأكيد الشديد في ترحيلهم من المكان المذكور (أي سهلة تسم) بما نحن أعلمناكم لياتروا بذلك فوراً من غير تراخي²، أو من أجل البحث في مسألة بعينها مثل وصادر الأذن بأعلامكم لتعاطوا عمال تلك الجهة بالبحث عن النازلة والاختيار مما وقع بالموصل منهم تنفيذ الأمر العلي³، أو التنبيه على قياد الفرائش بإرجاع قبائلهم إلى الأراضي التونسية والعمل على ضبط الأمن والبحث في نوازل السراقات مثل وصادر الأذن... فمكاتبه قياد الفرائش وتأكدوا عليهم التأكيد التام في أن يصرفوا العناية في ترحيل موكدة الناس من المكان ونهجمهم عن مثل هذه الأفعال التي لا تليق وإن لا يمتدوا أيديهم بسوء أصلاً ويجهدوا في البحث عن هذه السراقات ليقع الملاحض فيها فالمراد منهم تنفيذها حذير له الأذن الشريف⁴.

1 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

2 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

3 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

4 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

ورغم ذلك فإن السلطات الفرنسية بالجزائر بقيت تعاني من حالة الخوفات والنسب التي كانت تشهدها الحدود الغربية ولم تكن تنال في رفع الشكيات لليبي حال حصول أي خرق من القبائل التونسية قد يهدد الاستقرار في المناطق الحدودية، فإضافة إلى عمليات الإغارة التي طالت حدود أمن المجال الحدودي لمنطقة التجمية جنوب وادي سرامل فإن عمليات السرقة من قبائل الفرائش بدوزها كانت تزعج السلطات الاستعمارية وقد عجزوا عن ذلك من خلال رسائلهم لليبي والتي طالت أكدوا فيها على الأضرار التي لحقت بالقبائل الجزائرية حيث «أوقع هؤلاء الناس ضرراً كبيراً في روعنا وتكاثر منهم السراقات للعناية»¹، وأن «دخول اللي عشر دوراً من أولاد وراز من الفرائش لليبيا بعمل تيسة... وخصوصاً جهة تنككة وأما فسادت على السراقات والافساد وبخشي من وقوع طرح بينهم وبين عروشنا بسبب قلل فامنا من قديمهم»².

وبالتالي يمكن القول أن تمادي الفرائش في تجاوزهم للحدود وكثرة السراقات من طرفهم على القبائل الجزائرية ولد حالة من القلق للسلطات الفرنسية والتي كانت دائماً تحارب من تقادم مثل هكذا أعمال التي قد تؤدي إلى زعزعة الأمن وهو ما كان يمثل حاجتها أساسياً للسلطات الاستعمارية خاصة أن تلك المرحلة كانت قد شهدت عديد حالات التمرد والثورة من طرف القبائل الجزائرية ضد المستعمر، وعجزوا من حالة الاحتقان التي كانت تنبئ بعض القبائل التي على ما يبدو أبدت نوعاً من التمليل وصل إلى حد التهديد بالرحيل من بعض الأماكن التي استوطنت بها أولاد سيدي عبيد منقلقون كثيراً من ذلك وعشرون أهم يصوروا مضطربين إلى الرحول من مكان تولهم بسبب تعدي هؤلاء الناس (أولاد وراز) على تولهم ولعله تشج أمور غير مرضية من نزول الفرائش بترابنا بسبب الكيفية الواقعة بما ذلك...»³.

ويمكن القول أن السلطات الفرنسية باتت على قناعة بأنها لا تستطيع إيقاف التشتتات الحدودية التي كانت في مجملها موجبة نحو التصدي للوجود الليبي، لكن ذلك لم يمنعها من

1 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

2 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

3 - المصدر نفسه المجلد 24 طبع بدارية بدارية إرفاقاً لرسالة فرنسا في 13 أكتوبر 1881.

الإغراج على الباي فصد ضغط الأمن من الجانب التونسي والتصدي لعمليات العنف والإغارات والسرقه ومحاولة فرض احترام الحدود الترابية التي غالباً ما فصلت الحكومة الفرنسية عديم الخوض فيها انظاراً للطرفية الساعده.

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية للبلاد التونسية
خلال القرن 19

1 - الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

لمن عرفت البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن 18 وبداية القرن 19 عصرها الذهبي الذي ميزه خاصة عهد حمودة باشا الحسيبي (1782 - 1814) فإن الأوضاع انقلبت مع بداية الثلث الثاني من القرن 19 لتدخل البلاد وضعا من التدهور والتفكك انتهى بأزمة حادة ساهمت في فقدان البلاد تدريجيا لاستقلاليتها حتى تدخل الفرنسي سنة 1881.

فقد دخلت البلاد في أزمة حادة في القرن 19 لاسيما في عهد أحمد باي (1837 - 1855)، إذ عرفت الإيالة التونسية في عهده ركودا اقتصاديا جعل موارد البلاد تفراجع بسرعة، خاصة بعد أن فقدت موارد تمويلها الخارجي بضرب القرصنة، كما عرفت الصناعة التقليدية بدورها تدهورا لاسيما صناعة الشياحية ونقصت المساحات المزروعة¹، وتردى الدخل الجبايي فأصبحت البلاد على حد تعبير ابن أبي الضياف "... لا تظهر لها قيرك ولا لين فيحلب"².

وكتيجة للموضع الاقتصادي المتردي عرفت الإيالة التونسية في تلك المرحلة عدة أزمات انعكست سلبا على السكان حيث تعددت المجاعات (1867) والأوبئة (الطاعون 1818 - 1819 و 1849 - 1850 الكوليرا)، وثمن ضرب وباء الطاعون الإيالة التونسية في بداية القرن التاسع عشر في سنة 1818 - 1819 فإنه لم يكن الأخير، فقد اعتبر شارل نيكول أن طاعون 1837 أهدأ آخر الطواعين التي ضربت البلاد التونسية³، بيد أن ذلك لم يكن آخر وباء بل ظهرت أوبئة من نوع آخر مثل الكوليرا التي كان أول ظهور لها سنة 1845 وفي السابع عشر من محرم فأنح سنة 1266 ست وستين ومائتين وألف ظهر في المملكة التونسية مرض وبائي يعمر عنه في أرض المحجاز بالبرج الأصفر، وأصله من أمراض الهند وعبر عنه في بلادنا بالكوليرة، وتلقى هذا الاسم من أطياء الافرنج، ولم يتقدم مثله في هذا القطر⁴. وقد خلف هذا الوباء نقصا واضحا في عدد أهل الإيالة سواء بالخاضرة أو بالدواخل، والدليل على ذلك ما أورده ابن أبي الضياف ناقلا ما قاله نجيب الدين لأحمد باشا باي لما أمره بجمع العسكر من كسرى وبرقو وما والهما لتعويض من مات من العسكر : «يا سيدي إني تركت

1 - فلان كزنيك إن جي، نجيب الدين والبلاد التونسية 1850 - 1881، ترجمة الطيبون سلامة، تونس 1988، ص 23.

2 - ابن أبي الضياف، مختصر سابق، ج 2، ص 114.

3 - للمزيد، عبد الكريم، مرجع سابق، ص 51.

4 - ابن أبي الضياف، مختصر سابق، ج 4، ص 143.

تلك الجهة فارغة¹، وبعد ذلك دليلاً على فداحة الخسائر البشرية التي تسببت فيها الوباء الجديد الذي دام قرابة ثمانية أشهر من ديسمبر 1849 إلى أوت 1850، وحسب لوسات فالنسي فقد ظهر هذا الوباء الجديد سنة 1856، قادماً من طرابلس حيث انتقل من حرية إلى الأغراض ثم السواحل الشرقية إلى أن وصل إلى الحاضرة تونس مسبباً في هلاك 6 آلاف شخص²، وقد أحدثت هذه العوامل فراغاً بشرياً أهملت بموجبه الأراضي الزراعية وتقلصت مساحتها من 750000 إلى 150000 هكتار³، إضافة إلى الخسائر التي مست قطاع تربية الماشية نتيجة الجذب والقحط.

في ظل هذا الوضع المتردي الذي إهتصر البلاد والعياد كانت مقاليد الحكم تخضع لدولة أوتوقراطية⁴، يحتكر فيها المماليك كل السلطات والنفوذ لاستغلالها للإثراء على حساب خزينة الدولة وثروات البلاد ابتداء بالوزير الأكبر وصولاً لأغوانه في الإدارة المركزية والمحلية والتي قدزيت ثرواتها بعضهم بـ 30 مليون⁵ (مصطفى بن الجمانيل)⁶.

وكتيجة لرددي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتسلط الجهاز السياسي تفككت العلاقة بين الدولة والرعية وخاصة مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث عمدت إدارة المماليك برئاسة الوزير الأكبر مصطفى عزندار إلى احكام قبضتها على البلاد بإخضاع الرعية الى نظام جبائي ثقیل مثل أهم مورد لخزينة الدولة، الأمر الذي دفع بالأهالي لاسيما سكان الارياف والمجموعات القبلية في دواخل البلاد الى محاولة التنصل من هذا العبء.

وبالتالي فقد باتت الحياة عبثاً ثقیلاً ومثلت ميباً رئيسياً في حصول القطيعة بين الرعية والدولة، وفي مقابل هذه الظاهرة وجدت السلطة للركيزة صعوبة كبيرة ليستنفذها على المجتمع القبلي، ذلك أن دوائر النفوذ داخل القبيلة طالما حرصت على رفض التغاطي مع سلطة حديثة تحاول مزاحمتها في مجالات نفوذها، ولذلك كانت السلطة المركزية تعمل على اختواء القبيلة بشئ الوسائل بما فيها الأدوات العنيفة، الأمر الذي جعل الصراع يعتمد

1 - المصدر نفسه ص 157

2 - المادي زعم القروية مروج سابق ص 99

3 - Geniag (p) : Les Origines Du Protectorat Français En Tunisie (1861-1881) , Paris, 1959, P:143

4 - Siama (B) : L' Insurrection De 1864 En Tunisie , M.T.E : Tunisie 1967, P:3

5 - من ملحق التمهيد في الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي أطروحة شهادة تقدم في البحث
تونس 1980 : 199

بين السلطة المركزية ودوائر النفوذ المحلي القبلي، خاصة أن السلطة المركزية كانت تعتمد غالباً إلى إعلاء شأن الجواهر وفق مصالحها السياسية والأمنية والجبالية متجاهلة للنسيج البشري القبلي وذلك في إطار التعبئة البشرية والجبالية خاصة، وهو ما كرس الحراك المتواصل للمجموعات القبلية لاسيما في دواخل البلاد إلى محاولة التنصل من عبء الضرائب التي زادت بها تجاوزات الأعوان المحليين للدولة ثقلاً⁷ وذلك إما عن طريق الهروب والاختباء بالجهال والكهوف أو معاداة مضارب القبيلة إلى محلات قبيلة مجاورة وأخرى بعيدة.

ولقد اثر عن هذه السياسة حصول القطيعة بين الرعية والدولة لتأخذ أشكالاً جديدة لاسيما زمن الأزمات الطليعية الحادة⁸، أدت في كثير من الأحيان إلى بروز انتفاضات وثورات وأكبر دليل على ذلك ثورات 1795 بقيادة شيخ أولاد مساهل حامد بن شريفة المساهلي وثورة 1812 بقيادة محمد بن عمار الفرجاني المساهلي ثم ثورة القبائل سنة 1864 بقيادة علي بن محمد بن غدامه المساهلي والتي عبرت عن حالة الضيم التي كانت تمارسها السلطة المركزية من خلال أغوانها على القبائل، خاصة أن مرحلة الستينات من القرن التاسع عشر في تونس مثل باقي دول شمال أفريقيا شهدت أزمة متعددة الجوانب أدت إلى نقص في الأمن، فبعد ثورة علي بن غدامه وما خلفته من فتن واضطرابات أثرت سلباً على أوضاع

1 - مثال ذلك الشكوى التي تقدم بها جيع أولاد وراز بتاريخ 20 رمضان 1289 هـ/ 1872 لسيدي في حق المأمير الحاج جرات التي جاء فيها : «... وطال بنا بصر العاصم المكنوز ولم يظهر لنا شيئاً وكل ما حصل بنا منه عرضناه على المكرم الأجل محمد رشيد فاعلم النكاح ولا عرفنا لأبقرؤكم علينا فأجابك لك سيدي أنت المستول على يوم القيامة ان تتعنا عين بشر هذا الرجل ومعه ثلاثة مشايخ وهم محمد بن عبد الملك وعلي بن ابراهيم وصالح بن محمد الله بتحيك يوم القيامة بخانة صافي العلاء - انظر : أوت السلسلة التاريخية ص 18 - ملف 202 الوثيقة عدد 15589 - بتاريخ 1289 هـ كما ان القبايل والمشايع المذكورين أقروا من عرض أولاد وراز عن خبر وجه حق ما يلي : - عرض الفرصة ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض الحامدة ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض أولاد موسى ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض الأفيال ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض الزعامة : روح جمال وخمسة عشر كبش عرض أولاد عسكر ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض البعاضة ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض أولاد عسكر ثلاثة جمال وخمسة عشر كبش عرض الكرم العرضة : رجل جمال وخمسة عشر كبش عرض أولاد بوعلمية : رجل وعشرة كبش وضع ذلك أيضاً فمض منهم العاصم اثنا عشر رجلاً وخمسة عشر كبش من ذلك من الكرم المشايخ احمد ابن أبي رقعة ثلاثة آلاف ريال من مال نفسه ولم يعطى في ذلك توصيل وقض منهم أربعة وعشرين ألف ريال كما يابدهم في ذلك التواصل انظر : المصدر نفسه الوثيقة عدد 15589

* كثيراً ما تعرضت عروض الغراشيش وماجر إلى القلعات نتيجة الظروف الطارئة فضلاً عن تعرض المنطقة باستمرار إلى كوارث السر (la grâtes) وخصف الجراد وقد فرضت الخانات وما خلفها من أولية سنوات 1818 و1836 و1849 و1867 على الغراشيش وماجر استهلاك كل ما يسه الرعي مثل الحبوب الشعيرة والفلوسية وقد سجلت بعض الحالات أكل اللحم الأدمي خاصة أثناء مجاعة 1867 - 1869 حيث ذكر قائد الغراشيش في إحدى مراسلاته مع الإدارة المركزية أن «الساكن صارت تاكل في أمواتها بحيث أن كل من سبوت بحره ويطيب مثل الشاة وبق الله تعالى» إلا كانت تطعم بنفسك والله على ما نول وكيل - انظر : المجلد الأخرى قبائل ماجور والغراشيش - مرجع سابق ص 96 - 97

الإبلان ذاهم الخوج الإبلان التونسية والمليحة ما حل على إبلان تونس من نكية لم يأمن حتى بعض الأهالي الأوروبيين من كارثة الخوج ومصائب أخرى⁽¹⁾.

١ - الأوضاع الاقتصادية لقبائل الفرائش وماجر

تعددت منطقة الوسط الغربي في القرن التاسع عشر حراكا اجتماعيا حيث أن قبائل الفرائش وماجر أثرت وتأثرت بمحيطها خاصة ... وأن الفرائش كانوا من أقوى القبائل في البلاد التونسية من حيث العدد والطبق الحربي⁽²⁾، وقد تجزعت عدة فرق من داخل الفرائش وماجر بطيحتها اغاربة ولعبت دورا أساسيا في الدفاع عن مخاللات هذه المجموعات، ولقي برز أولاد عسكر من الفرائش وأولاد مرووق من ماجر في الدفاع عن الأحياء الجنوبية لأراضي هذه المجموعات خصوصا أمام إكتساحات الهامة⁽³⁾، فقد مثل الحواشي وأولاد صمويل وأولاد واز من الفرائش سدا متينا أمام قبائل التمامشة وأولاد سيدي يحيى من طالع من الجهة الغربية طيلة القرن التاسع عشر⁽⁴⁾، أما فريق أولاد مساهل من ماجر فقد تميز بقيادة الانتفاضات للسلطة ضد السلطة المركزية، كما أن علي بن غدام الماجري قائد انتفاضة سنة 1864 يحدت منهم⁽⁵⁾.

لقد كان العامل الاقتصادي هو المحدد لقبائل الوسط الغربي للبلاد التونسية خاصة أن ملكية الأراضي كانت حامية، باستثناء بعض أراضي الخيس والتي تعد محدودة بالمنطقة، فالأحباس الوحيدة للمجموعة دون احتساب حيس أولاد سيدي تليل الذين لا يتسولون إلى الفرائش هي أحباس الزوايا والأولياء⁽⁶⁾.

وهذه الأحباس نوعان، النوع الأول : أحباس يتصدق بها بعض الأعيان لفائدة زوايا أو ولي مثل الأرض المكتبة بعين تالة وتصدقت بها فرقة أولاد سمير من أولاد يعقوب لفائدة الولي مصطفى بن عزور⁽⁷⁾، أما النوع الثاني من الأحباس فهو يخص بعض الفرق الصغيرة التي

١ - بن أبي الحسنة، مصدر سابق ج ٥ ص 155.

٢ - فتية من الأهلية، انتفاضات الفلاحين - مرجع سابق ص 70.

٣ - تاجي «الأمر» قبائل ماجر والفرائش - مرجع سابق ص 104.

٤ - انظر: ١ - د. المصطفى الشاذلي، سنن 212 ص 252.

٥ - المادي، لأمر قبائل ماجر والفرائش - مرجع سابق ص 104.

٦ - المرجع نفسه، والسند ذاتها.

٧ - المرجع نفسه ص 77.

تعتبر نفسها أولاد زوايا حيث يتول أحد الأولياء المتضمن إليها شيد زوايا وتحبس الأرض عليها وعلى أحفاده، وإما أن يقوم أحد أعيان الجهة بتحصين أرض من أراضي لفائدة الولي وفرقة⁽⁸⁾.

وعنونا لا تعد الأراضي بمخال الفرائش أراضي حينئذ جدا باستثناء لشال الوحيد في الجهة هو هنشير القصيرين الذي يرويه وادي الدوب والذي يمسح قرابة 6000 هكتار وهو من أراضي الدولة، ويسمى سكان هذا الهشير أنفسهم «الخبارية» أي المتحدرين في الأرض إلا أنهم يقرون في نفس الوقت بأن الهشير ليس ملكا لهم بل ملكا لـ «سيدنا» (الباي)⁽⁹⁾. وتاريخ 24 أوت 1841، أصدر الباي أمرا ألغى بموجب «الجدائية» في هنشير القصيرين مطالبها «القضائية» بإنفاذ تساوي ريع محاصيلهم إذا ما أرادوا الزرع في المناطق المروية من الهشير، أما التزام فهو مطالب تسليم الدولة 200 قفيز من الشعير وفتح الأربع مواشي الأكثر إرتواء من غيرها بالقطر، وتسليم محاصيلها إلى «الحقة» (حيس الباي) عندما تمر بالجهة وكان التزام في بداية الأربعينات فقوم بن محمد الفريشي ثم تلاء محمد سعيد بن مالم ومها من قبادة ماجر آنذاك⁽¹⁰⁾.

١ - النشاط الرعوي

وقد اتسع مجال الفرائش وماجر وتنوع تضاريسه فإن النشاط الاقتصادي كان بسيطاً ولا يوفر إلا اتجاها محدودا نسبيا ويمكن القول أن النشاط الرعوي هو الغالب على نمط الحياة اليومية لقبائل الفرائش وماجر حيث كانت الثروة الحيوانية متنوعة وارتكزت أساسا على تربية الماشية حيث كانت القبائل تعتمد في نشاطها الاقتصادي على تربية الأغنام بصفة رئيسية والماعز والإبل والبقر والحمل والغلال والخمس... وقد قدر خضيات الشؤون الأهلية الفرنسيون ثروة الفرائش الحيوانية في تقرير لهم بتاريخ 5 ماي 1885 بـ 78250 رأسا من الغنم وبـ 18530 رأسا من الماعز⁽¹¹⁾، وبالتالي يمكن القول أن ثروة الفرائش تعد هامة نسبيا قبل 1881 بالقياس إلى عدد سكان القبيلة. أما التقنيات المستعملة آنذاك فقد كانت متواضعة فالقطيع كان لا يتغلب عناه كبيرا، حيث كانت الحيوانات في أغلبها تقتصر إلى ماو

١ - المرجع نفسه، والسند ذاتها.

٢ - المرجع نفسه ص 70.

٣ - المرجع نفسه، والسند ذاتها.

٤ - المرجع نفسه ص 70.

مغطاة بحيث تبقى مبردة للتلذذ والأمطار. وهي مهنددة كذلك لمخاطر الأوبئة وقتلة للرعي في سنوات الجفاف أو الزمء حسب التعبير المحلي ويكفي أن تتوالى بعض السنوات الخافت حتى تقوت أغلب القطعان بحيث يمكن القول إن الماشية ثروة حشة بعد⁽¹⁾.

كما كانت هناك حركة تبادل جماعية بين عشائر شرقان أعدادا غفيرة من قبائل الفرائش خارج نطاقهم خاصة في السنوات الجافة وما والعشاة، والمطاية، والمطاية هي الاعتقال بحثا عن المرعى أما والمطاية فهي الترحال للمشاركة في الحصاد في مناطق الشمال أو في عمال والبرانية، ونظرا لما تحمله تربية الماشية من عبء رزق أساسي لأغلب قبائل الوسط الغربي فإن ذلك كان يدفعها إلى الترحال بحثا عن المرعى والكلا في سنوات الجفاف والقفط نحو شمال قبائل، والبرانية، حيث أن بأولاد ناسي⁽²⁾ من الفرائش أبا وحلوا بأرض من حابة وسعيهم برعى إلى أن يصل بحرب ريدة بوحيرة⁽³⁾، كما أن الفرائش لم يزالوا يصنعوا التلطي...⁽⁴⁾ والآن زادوا إلى أمام لأن في اليوم الحادي والعشرين من ستمر أحضرنا إليهم إلى سهلة تيسة نفسها، وأكلوا لحماها أكوام تيسة⁽⁵⁾، وأن الفرائش في اليوم الحادي والعشرين من ستمر دخلوا بإلهم لسهلة تيسة نفسها وأكلت إليهم تينا لأناس فهوهم عن ذلك ثم أنهم رجعوا في الغد إلى للكان المذكورة⁽⁶⁾.

كما أن الترحال بالقطيع من المناطق الباردة نحو المناطق الجنوبية الصحراوية المغاورة لما كان من العادات الأساسية لدى الفرائش حيث تبدأ عملية الانتحاح أو الشتية مع بداية فصل الخريف أوبعد إتمام نحرث أتي قبل حلول فصل الشتاء حيث أن عادة الانتحاح على ما يبدو كانت عادة موسمية تقوم بها القبائل البدوية المتحالفة بحثا عن المرعى والدفع

1 - المراجع لتسمية القبيلة والها

1 - بتتبع أولاد ناسي إلى العروش قبائل أولاد فلاح أولاد للباسم أولاد سيد أولاد ريس أولاد مسلم أولاد عبد أولاد خليفة أولاد صبيح والحويوت أولاد صبيح من عصر أولاد صبيح أولاد نصر البقاعي التتبعات العسكيات للباسم الزاوية والبريشة والحراقة التتبعات الحارثية أولاد ميهوم أولاد الشقيبي أولاد أم هاني الفرائش أولاد موسى بن ناسي أولاد صبرة التتبعات أولاد خليفة أولاد تركة أولاد البكري الفريجات أولاد بصيوط أولاد شمس الحارثية أولاد للباسم أولاد نصر أولاد سيد يوسف أولاد بن تاملش التتبعات (أ و ب)

Nomenclature Bed, Op Cit

2 - المصنف لتسمية القبيلة التتبعات التتبعات 114 مقابل 120 التتبعات 120 متفرقات من ساكن الحارثية إلى التتبعات بنسب أولاد فرائش بنسب بنسب 3 - صبيح التتبعات 120 هـ 121 موبية 1875

4 - المصنف لتسمية القبيلة 121

5 - المصنف لتسمية القبيلة 121

لقطعانها وهو ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى وقوع صدامات بين تلك القبائل من أجل المرعى، فمثلا نجد أن أولاد سيدي الحسادي (القاملين بإهالة تونس) الذين نزحوا في السهيلة المغارطة حبة تقري من جبل زويقات ويسراي نزحوا الآن حبة أبو موسى العوامي وجهة وادي سوفية ووادي صليماوي وسعيهم يصل إلى الرعي إلى مفتاح عين المشرف بالنامشة الذين مناروا على نهاية في حرتهم سينزلوا للصحراء فيخطفون بأولاد سيدي الحسادي معادي حبة تقري ولللك يوشك وقوع المشاجرة بين الطرفين وكذلك السوفية سيقلحوا بسعيهم للأراضي التي يتحصنها ويظنها أولاد سيدي عبيد فيحذون أنفسهم مع رعايا تونس فإذا قام عدم للطر مدة أخرى فإن قلة المرعى تلزم هؤلاء الرحالة بأن يلتحقوا في حبة واحدة ويتنشى وقوع المخرج من ذلك⁽¹⁾.

لقد كانت تربية الماشية توفر للقبائل متوحات متنوعة مثل اللحم والحليب والأحما والسمن والذي كانوا على ما يبدو يقومون بتخزينه لإستهلاكه أو بيعه وقت الحاجة، حيث أن الفرنسيين وأنشاء غارقم على عروش أولاد علي من الفرائش عام 1259 هـ / 1843 واستخرجوا لهم أيضا قتيلا واحدا منا بضروفهم⁽²⁾، وأنا عشر مكيلات من الخبز بالمعيار الباجي⁽³⁾، كما أن الصوف والشعر الحيواني كانا يستعملان لصناعة الخيام والملابس... كما أن بعض العروش من الفرائش وخاصة في المناطق الجبلية كانت تعي بربية النحل وهو ما تبينه من خلال وثائق نوازل الإغارة على قبائل الفرائش والتي ورد في إحداها...⁽⁴⁾ وخرقوا لهم ألفا خيحا مملوئين بلباب النحل⁽⁵⁾،... واستخرجوا لهم أيضا قتيلا واحدا منا بضروفهم⁽⁶⁾، وخرقوا لهم مائة خيخ مملوئين بلباب النحل⁽⁷⁾،... وثلاثة أصواف عمل⁽⁸⁾.

1 - المصنف لتسمية القبيلة 121

2 - المصنف لتسمية القبيلة 121

3 - المصنف لتسمية القبيلة 121

4 - المصنف لتسمية القبيلة 121

5 - المصنف لتسمية القبيلة 121

6 - المصنف لتسمية القبيلة 121

7 - المصنف لتسمية القبيلة 121

ب - النشاط الزراعي

يتعاضد الفرائش علوية على الشتاء، الرعي الزراعات الحورية كالشعير والقمح وإضافة إلى ذلك فقد كان البعض من الفرائش يزرعون الحنظل والمنظورة والبقول^(١) ويبدو أن ذلك كان يتم بشكل محدود وفي بعض المناطق المزروعة. لقد كانت بعض العروش من الفرائش تنقل وقت الحرق خارج مجامعها^(٢) ويلحقوا في أرض الفريشين (في التراب الجزائري)^(٣) وكذلك كان البعض الآخر يحرق شرق تكتله ويكتل^(٤)، وتكون هذه التقلبات إما فردية أو عائلية عادة في الحرق من أجل الحرق بتاريخ 2 أكتوبر من سنة 1858 ليرل خمسة وعشرين بيتا بحجة لحد الأسود وحرقوا فيه^(٥)، وكذلك بتاريخ 17 أكتوبر من سنة 1858 فإن عشرين دورا من عرش الفرائش نزلوا وقلعوا في أرض الفريشين^(٦)، كما وأن فرقة أولاد عزيز من الفرائش وهؤلاء الأكار هم من فرق متعددة بالروابع حرقوا في كدية سيدي جبال والضرير والورقة حرقوا في جبل الشطاطيب والزراعة حرقوا في شكة^(٧)، كما كانت قبائل الفرائش تعاود الرحيل إما إلى شمال الإبل التونسية أو في اتحاد شمال والغربة مع بداية الصيف ويسمون «المطاية» أو «الصياغة» من أجل لقرى وفي نفس الوقت التحضر لموسم الحصاد والمشاركة فيه ويسمون بالمشارة لأهم بتلك مقابل عملهم عشر ما تخصصونه من سابل كما أن نسبة ونواحيها بدورها كانت تستقطب بعض الفرائش للمشاركة في الحصاد وإن لم يكن ذلك بشكل مستمر، فبتاريخ 14 ماي سنة 1876 / 29 ربيع الثاني سنة 1293 هـ ونزل أبي عشر دورا من عرش الفرائش من فرقة أولاد وراز ورتاب أولاد سيدي عبيد من عمل نسبة وأخروا القاد بن أحمد شاولي هم يريدوا الانتفاع بالرعي الموحود هناك^(٨)، كما وأن أولاد وراز أخيروا قائد أولاد سيدي عبيد بأن عن قرب سيقيم للمكان المذكور خمسة وعشرون دورا لحيرون من الفرائش^(٩).

- ١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 114
- ٢ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 5
- ٣ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 49
- ٤ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 6
- ٥ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 7
- ٦ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 20
- ٧ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 33
- ٨ - المصدر نفسه الوثيقة العدد

لقد كان البايليك التونسي وقائد الجزائر يعمل كلاهما على فرض الحماية على العروش الحدودية خاصة أن رسم الحدود لم يكن آنذاك واضح المعالم وهو ما حصل مع أولاد سيدي عبيد الزارعين بعين الطاقة حين أعلمهم جيرانهم من أولاد وراز أنهم مطالبون وعلى أدلة ما يلزم أدوة بجانب البايليك التونسي^(١)، وهو ما أكدته لهم القاييد على الصغير قايد الفرائش ذاكرا لأولاد سيدي عبيد حين تشكروا له وأنه فعل ذلك بموجب الأذن الذي تلقاه لما كان بالحاظرة وأنه سيقيم جماعة لقياس ريع أولاد سيدي عبيد بعين طاقه^(٢)، بدورهم كان قياد الجزائر يعرضون التلوات على الفرائش الزارعين بمخاطمتهم وغالبا ما كان يتم ذلك وقت الحصاد ففي أوساط رجب سنة 1277 هـ / 1861 دفعت فرق من الفرائش لحاكم نيسة مايلي : الزراعة ثمانية^(٣) وثلاثة الجميع دور سكت فريص ودفعوا الحنطرة والروابع مائتين اثنين دور وخمسة وستون دور سيكت ماذكر ودفعوا له القرصة مائة واحد دور وستة وخمسين دور سكت ماذكر ودفعوا له القرصة مائة واحد دور وستة وخمسين دور سكت ماذكر جميع ذلك الالفين الذي طلبها وقضها منهم بمعاينة شهادية معاينة تامة فلما قبض ذلك وقع يذينة على المزارع^(٤).

ويمكن القول أن الزراعات الحورية كانت في الغالب تشكل مخاطرة يأتي معنى الكلمة، إذ غالبا لا تنعم الجهة إلا بموسم جيد واحد كل أربع أو خمس سنوات، كما كان لدى بعض القبائل حاجة مشددة بكم التبن والعنب^(٥)، وإن كانت أدوات العمل الزراعي ذات مردود منخفض وهي معروفة منذ عهد مثل المنحل والحرث الخشبي والجروشة والمذرات... والعمل في المجال الفلاحي هو عادة عمل رجالي وتعد «التوير» ظاهرة مميزة لدى القبائل

١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 70

٢ - المصدر نفسه الوثيقة ذاتها

٣ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 118

٤ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 121 و 127

٥ - التوير : من فصح سيدي وفي المزارع مصنوعة من الألبستاق بطريقه تقليدية كالمادة عند أفراد الجموعة، وتشكل التويره حسب نظام دور الحياة الجموعة الريفي، فتتواجد في كل الموسم الكبير كالحقير والخصاء، ويصنع من الخش والعولف والرج وغير التويره من حالة تصاميمه موسمية حين أفراد المجتمع القبلي ويمكن للتويره أن تكون في شكل خضع مصاني في فريشة الصوف وعراكه مثلا أو من إصدا العولة وقد يشترك النساء والرجال في الأنصال التي تكون عادة خارج التجمع السكني مثل عملية الحصاد وتختلف تسمية التويره من جهة إلى أخرى وفي نشاط إلى آخر وبعبارة البعض مصطلح «توير» إلى التوير خاصة أن هذه الممارسة منتشرة بالبلاد التونسية، وفيه الألفاظ الغاربية ويرجع مصطلح «توير» إلى لفظة «وير» وتعني التورية والنقصان لدى البربر ويلقبها بالعريضة أو «توير» والنقص لتسمية «التوير» جعلت

التوتسية والجزائرية وهي عادة تعبر عن حالة التضامن بين أفراد القبيلة الواحدة أو القبائل المجاورة وتشتط خاصة في التواسم ففي فصل الحرت تتم عملية البذر بدورها عمر نشر الحبوب في حين أن عملية الحرت أو توريعة الفولاب حسب التعبير المحلي لقبائل التيناسب تتم في الأول من أفريل أما عندما تنتضج السنابل فيقوم الحصاد أو العرافة⁽¹⁾ بحصدها ثم أندرجها⁽²⁾ قبل درسيها.

وكانت عملية الحصاد تعد من المناسبات الاحتفالية خاصة إذا كانت اغصايل وفيرة حيث يخرج فيها العمل بالأهازيج والغناء تعبيراً عن الفرح حيث كان الحصاد يترجمون بأغان وأهازيج للصلاة على النبي وتباركا بالجدوة والأولياء حتى تكون العصابة وفيرة ومنها أغنية⁽³⁾:

هذا غنيم⁽⁴⁾ هذا غنيمير *** والصلاة على النبي خير
هذي طرحة⁽⁵⁾ سيدي ناجي *** ان شاء الله تقطع مية باجي⁽⁶⁾

كما كانت قبائل الفرائش والعرافة تقوم بحزن غصايلها من الحبوب بزوايلها⁽⁷⁾ فمثلاً أولاد وراز تحب لهم من زوايلهم من طرف اللعاشة في أوائل شهر رمضان من سنة 1280 هـ / 1864 م، وجميع أربع وثلاثين قفيزاً قمحا باجي وويتان قمحا باجي أيضاً مع مائة قفيزاً وتسعة عشر قفيزاً باجي وثلاث وبنات باجي الجميع شعيراً بعض ذلك طلعه من

«التشكلات المجتمعية للتوسمية كما ذكرنا ونفرض إلى عدة تشكلات حسب نوعيتها التشغيل العملي وإلماره للتكاسي فجدد «توريعة إمداد التوسفة والعرافة» الحصاد وأفضل التوريعة الحرة والذولاب التوريعة لقرابة اللعة التوريعة للعلولة والمعدنة التوريعة حسي التوريعة للتوريعة لظفر برطوبي البرابرة» «مدنية الفن والعمل في ثقافة التوسمية» منطقة سيدي بوزند» مجلة الثقافة الشعبية العدد 17، السجيرة 2011

- 1 - العرافة: اسم يطلق على توريعة الحصاد.
- 2 - الأندرجة: أي ساء السنبال في شكله الذي في التظليل رصها حيث أن قبائل الفرائش كانت تقوم بالبدرة مستعملين أي سوار من الفصح والتشجير في التظليل اكتمال الحصاد ثم العرض 1 و ترا الحصلصلة التاريخية صندوق 252 ملف 232 وثيقة عدد 114 و 115
- 3 - غنيم: تعبيراً وأجمع (المستعمل في لغتي الأتصاف في بر التهامية الأتصافية للتشجير تونس 2010 من 33 - 34
- 4 - غنيمير: عبارة تعيد الكثرة والتوفرة ولعل هو الأصغر الذي غنمه الجيش الإسلامي الغرب غنيمير
- 5 - طرحة: وهو اللتان الذي تكس وتلبس فيه السنبال لعرسها بالقرابة
- 6 - سيدي ناجي: أحد جدو قبائل الفرائش
- 7 - مية: حصة باجي، ويحدد بها ماله مية باجي
- 8 - الزوايل أو التوسمية: حشر للتظليل أو التوسمية خاصة في مواقع حرممة تصبوا لخدمتها من سبيل الأكلحار وتكون في أرض سبية وتكون محمولة في كفة العصف وهيها تنقب تفرش في الأسفل بالنسب لتعادي الرطوبة وتقلل من بعد حشر الحبوب بالنسب ثم يتم لطيونها بالتراب

الزوايل والبعض مشدود أفشوده بالنسب وغير ذلك وإن البذر المذكور نصف حصة كاملة⁽¹⁾، كما إن أنصار من أولاد وراز من الفرائش دخلوا إلى وطن قسنطينة وعناية وفرو مطموذين قمحا بمكان قرب تنككة⁽²⁾ لأجد الجزائريين كما تحب قايد عرش الوارشة وقايد بكاريه روابط بهم الطعام للخاصة أولاد مبارك من أولاد وراز⁽³⁾ ورفقوا أيضاً «النسب وعشرين غدارة ضروريا»⁽⁴⁾ ولا يرى الفرائش حرجاً في ترك جانب طعام لهم قمحا يحزون بأحد روابط أولاد سيدي يحيى بن طالب⁽⁵⁾.

ج - النشاط الحرفي

إن جانب النشاط الرعوي والزراعي الذي كان يميز الحياة اليومية لقبائل الوسط الغربي لابد من الإشارة إلى النشاط الحرفي الذي يعد بعضه تشاطاً منزلياً والذي يتشكّل أساساً في تحويل الإنتاج إلى مواد قابلة للإستهلاك، وأغلب عمليات هذا النشاط تقوم بها النساء وتشكّل أساساً في تحضير العولة وذلك من خلال رجي القمّح بالرجي⁽¹⁾، ثم غربته بالغربال لصناعة الكسكي والقصعة⁽²⁾، وعادة ما يكون هذا النشاط جماعياً أي تقوم به مجموعة

- 1 - القصير نفسه وثيقة عدد 123
- 2 - القصير نفسه وثيقة عدد 60
- 3 - القصير نفسه وثيقة عدد 124
- 4 - القصير نفسه، الوثيقة نفسها
- 5 - القصير نفسه، وثيقة عدد 123

6 - رمى: آلة بيوية لاستعمل رجي الحبوب وتكون من الخشب وتكون من تيرة غليوي غليوب من الوسط حيث توسع الحبوب وجده سلفي وسار الحرة الغليوي من التطرف ببعض وكانت التوسفة عادة ما يفرش بعض الأغصان لبناء الرجي حيث يرمي ما يلي

- شيم الرجي *** بالضم شديد
- فاقي خنفة *** أولاد العيسنة
- الغداي يكي *** والرحا تشكيدو
- والغربال شارق *** بالدقيق حليكو
- الليل يلقب *** والليل توابط
- والقمح بيني *** والرحا كروانلة

انظر: لغتي وتشتوتسي: مرجع سابق من 35

- 1 - وثيقة التوسمية التاريخية صندوق 213 ملف 248 الوثيقة عدد 1، وفي عام 1241 هـ هدموا أولاد يحيى واللعاشة عن فريق من أولاد خلف من الفانوت من عرش ماير حين هدموا وقت الوح للعبادة العربية أعضاء لهم من قبيلة ما أعضاء مابة والثاني وثلاثون حبل وغرابرة ملوة بالطعام قصح 15 ومحصص 200 وكسكي 2000 وشعير 13

من النساء يطلق على هذه الطائفة اسم «العمدة»⁽¹⁾ ممن أحل إبعاد العمدة والتي تتم عادة في فصل الصيف حيث يكون الطقس ملائماً لتجفيف الطعام قبل الاحتفاظ به في الضيقة⁽²⁾ أو الغزالة⁽³⁾ لاستهلاكه في فصل الشتاء.

كما أن صناعة الصوف وإعداده تعد من المناسبات القائمة لدى قبائل الوسط الغربي، وهو فعل نائي ظاهري مشكوك ويكون عادة أواخر الربيع أي قبل موسم الحصاد ويطلق عليه اسم «التوير»، ويكون ذلك منذ يوم الجز مباشرة حيث تقوم النسوة في البداية بعملية الفرز ثم يقمن بتصنيف كميات الصوف حسب ألوانها وكذلك حسب ما سيحكيه من أنغمة وملابس ومفروشات ثم تتم عملية غسل الصوف وشطفه⁽⁴⁾ ويتطلب هذا العمل جهوداً كبيراً لتحصير الصوف كما يجب للتوير، حيث تجتمع النسوة لإعانة بعضهن البعض اختصاراً للوقت⁽⁵⁾.

ويبدأ التحضير للتوير بإحبار جميع النساء من الأقارب والجيران بالموعد المحدد حيث تحول المرأة على نسوة الدوار لإعلانهن بالموعد حتى يقمن بتحضير أدوات مثل القرداشي والمشط والمزل وتكون هذه الأدوات تحمل عادة علامات فارقة وذلك خوفاً من الاختلاط والضياع، فهي تنقل من بيت إلى بيت ومن تويرة إلى أخرى ومن أشهر القرداشي للصوغة في القيروان⁽⁶⁾. وفي اليوم الموعد تقوم صاحبة التويرة بتهيئة المكان لهذا العمل منذ الصباح الباكر حيث تجلس النسوة في شكل دائري وتقسم الأدوار بين المتناظرة⁽⁷⁾، والقرداشة⁽⁸⁾، والغزالة⁽⁹⁾.

1 - الفتحة تويرا القري، وإداه العمدة

2 - الضيقة: بدءاً بجمع من حلة القمح يملأ به الكفيل أو الكسكسي والقمصة

3 - الغزالة: سكرية من أكماس تسج يدوس من صوف الغنم وشعر الماعز بعد غسلها مع بعضهما لتستعمل عادة لتفريق الحبوب وتغذية

4 - شطف الصوف: أي العمل على إزالة بعض الأوساخ والفتش العالق به

5 - مردوقي: مربع صافي

6 - المرجع نفسه

7 - المتناظرة: هي من لديهم بملامحة الصوف بألة المشط

8 - القرداشة: هي التي تؤول الصوف إلى لفافة بالة القرداش

9 - الغزالة: وهي من تقوم بعمل الصوف بواسطة اللقن

ولكن كانت التويرة تمل بالأساس نشاطاً عملياً، فإما في نفس الوقت تعد احتفالاً فنياً للنسوة فيه التبرعات مع صوت آلة الإنشاج حيث تؤدي النسوة أغاني تعبر عن حالة الفرح مثل ترليمة وقداشي، حيث يرددن مغنيات ما يلي⁽¹⁾:

قرداشي يا قرداشي يا جوف الغشوة⁽²⁾ *** راني لندة⁽³⁾ بيك صبحة وعشوة

يا قرداشي يا قرداش صوف الوري *** شحي بيك القطيع⁽⁴⁾ والريية على صدي

قرداشي يا قرداشي ميشل الغشيف *** راني لندة بيك في صوفي قبل الصيف

وتتغنى النسوة أيضاً بالصوف وفي نفس الوقت يجتنن بعضهن على مزيد العمل والعطاء حيث يرددن ما يلي⁽⁵⁾: أه يا بنات

الصوف أبيض هشوش *** الناظر ليه عبيادة

هزوا ايديكم أه يا بنات *** هزوا ايديكم راج النهار عليكم

وبالنسبة فقد ظل قطاع النسيج الميدان الأرحب والأكثر تنوعاً وتواجداً لدى جلي شرائح السكان من بنو وتخصر جزا، وقرداشة، وقشفا، وغزلا، وتسجا بتوعيه العمودي والأفقي من برنوس وقشبة وفليج وعراة وحمل وومادة وبطانية وكليم ومرفوم وريية وحولي وخرج وعغلاة اعتماداً على أدوات تقليدية كالتول بتوعيه والقرداش والمقزل والمشط وغيرها، وما تتغنى به المرأة الناصحة⁽⁶⁾:

برلوس جـريدي *** على كتف سبيدي

خفيف يـدي *** يلق الخـلاله

1 - برلوفي: مرجع سابق

2 - الغشوة: وهي صنف تعلق على الأشتام ناصعة البياض

3 - لندة: كلمة غابية متداولة ويستخدم بها الفصل دون التقطاع

4 - القطيع: نوع من السجاد يسميه إلى حد كبير الزربية ويتطلب السجدة كميات كبيرة من الصوف

5 - برلوفي: مرجع سابق

6 - غابي: ويستخدم في مرجع سابق ص 33

د - التجارة

أما بالنسبة لعلاقات التبادل التجاري، فإن قبائل الوسط العربي كانت ترتاد القرى والمدن المجاورة لها وحتى البعيدة عنها، من أجل شراء أدوات الإنتاج مثل الخمرات والماس والمخمل... أو ما يحتاجونه من مؤونة ومواد استهلاكية كالملايس واللينة والحلى وفي نفس الوقت بيع منتوجاتهم الفلاحية كالسمن وقلال الزيت⁽¹⁾ والعسل والقطران والفحم والحيوانات والصوف والديباغ... وهذه المدن هي تالة وزاوية الصادقية⁽²⁾، والكاف والقيروان وقنصه وصفاقس وكذلك تبة⁽³⁾، وتحتل سوق تالة أهمية كبرى بجهة السائب العليا فهي السوق الوحيدة بالجهة، وهي منسوبة إلى قبليتي ماجر والفراشيش، ولكن يؤمها التجار والمسنونون من القبلي العالي والسائب السفلي والساحل ومن الجريد⁽⁴⁾، كما كان يؤمها تجار مستغاية (نسبة إلى مدينة مستغانم بالجزائر) وجريدي وصفاقصية⁽⁵⁾، كما كانت توجد بها بعض الخواص لتجار أوروبيين حيث أن تكولة دوتيز نائب قنصل الصيول بسفاقس له خاوية بموايت محمد كوكبة⁽⁶⁾، وهي أيضا سوق عامة تباع بها بعض المسوحات الصوفية من برانس وجوالي إلى جانب الخيوط والحيوانات من أغنام وماعرز إلا أن جماعة 1867 والأزمة العامة للبلاد التونسية جعلت من السوق غلبيع البيع والشراء⁽⁷⁾، وقد حذت الإستهعار من أهمية هذه السوق⁽⁸⁾، كما كان الفراشيش يؤمون سوق التالما (كذا) المرتسم بالبرس⁽⁹⁾، وسوق الأربعاء بزاوية القصور⁽¹⁰⁾.

لقد كانت بعض قبائل الفراشيش تمتنع التجارة وذلك من خلال تخليهم القمح والشعير إلى بلاد الجريد ليبيعوا وأكثال الشمر وهو ما كان يقوم به أولاد علي بن أراهم من الخواص من

لقد نشطت هذه الحرف لدى القبائل البدوية إذ لا تكاد تخلو أي خيمة من نول أو سداية ولا تكاد توجد بدوية أو حيلية إلا وتحسن غزل الصوف رداء وغطية وفرشا، إذ تقامت كل القبائل التونسية الاعتصام بالنسيج وبلغت فيه درجات من الجودة والمهارة وبات البعض منها ينسب إلى جهة بعينها مثل حزام جريدي⁽¹¹⁾، وسفاسري من عمل الجريد⁽¹²⁾ وقطيف عمل المسامة⁽¹³⁾، وقطيفات قدم عيساوي⁽¹⁴⁾، ووسايد مرقومين عمل الأعراض⁽¹⁵⁾... الخ.

ويمكن القول أن مناهم المرأة لدى قبائل الوسط الغربي تمثل في نسج الأغطية والزرابي والخمرات والبرانس والقشية... وأيضا في صناعة الفليج والخيام والدرايق والقطيفات والغرير والخرج وغيرها... إضافة إلى صناعة الطين من قلوب، وقون، وغنايات وكوانين وطاويونات وماعون كالبرمة والأكسكاس والمعحنة والقلال... الخ.

وإضافة إلى الأواني الفخارية المنزلية وفرت هذه الحرف لقبائل السائب العليا حاجياتهم اليومية من الأوعية المعدنية من النحاس كالمقاييل والنحاس والقصاع إلى جانب ما وفره الخشب من قصاع وزلف ومشارب ومشارد وأدوات حراثة... الخ.

وإضافة إلى النشاط المنزلي فإن تظليع نبتة الخلفاء المنتشرة بكثرة في مجال الفراشيش كان من الأنشطة الحيوية لدى عدد من القبائل والذي يشترك فيه الرجال والنساء على حد سواء وذلك من خلال ما يقوم به الرجال من تحويل لنتة الخلفاء بعد ظفرها ليصنعوا منها أدوات فلاحية كثيرة مثل الحبال والزنايل والشبكة والبردعة والصنّاج والمخصرة والحيابة والقفة... سواء للإستهلاك الذاتي أو ليعرضه في الأسواق المحلية والمجاورة.

ونظرا لتنوع الغطاء النباتي الغاي لمجال الفراشيش فإن ذلك ساعد على بروز حرف أخرى استهتها بعض العروش خاصة القاطنة قرب الجبال مثل صناعة الفحم والقطران والديباغ، كما استعملت بعض النباتات البرية للتطيب وكذلك في دباغة الجلود...

1 - أ و ث. السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 292، الوثيقة عدد 129.

2 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 121.

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 113.

4 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

5 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 139.

1 - المصدر نفسه، صندوق 212، ملف 243، الوثيقة عدد 84.

2 - قرب مبيد بوز.

3 - السبيوس، التفاضات الفلاحية، مرجع سابق، ص 84.

4 - من ظاهر، مرجع سابق، ص 94.

5 - أ و ث. السلسلة التاريخية، صندوق 10، ملف 199، الوثيقة عدد 15271، بتاريخ 26 صفر الحمر 1283 هـ.

6 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15206، بتاريخ 30 ربيع الثاني 1280 هـ.

7 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15383.

8 - من ظاهر، مرجع سابق، ص 94.

9 - أ و ث. السلسلة التاريخية، صندوق 18، ملف 202، الوثيقة عدد 15713.

10 - المصدر نفسه، صندوق 10، ملف 199، الوثيقة عدد 15205، بتاريخ 26 ربيع الثاني 1282 هـ.

عرش القرايش الذين تعرضوا للإجماع وهم يملأ متوجهين إلى بلد الخريد وهم لهم السور
وأربعين يوما عملوا بالطعام لخمسة وعشرون وخمسة وثلاثين برونس وستة وعشرين حوي
وأربعة وأربعين مكانا على طول واحد وعشرين فرس مطاعة وثلاثمائة ريالاً تجوز وسعداية
بها سكة تونس^١.

كانت قوافل الوسط العربي تغلب من الخريد وقبضة للملح والتمر وتغلب التمر والقمح
من الشمال (قرصة) في سواحل الحذب، كما توفر الصوف^٢ وبعض المسوحات اليدوية،
إضافة إلى السم والسمك والفحم واللباخ والتطران فضلا عن التماثيل لآلات الخلفاء
كالتصوير والقبائل والجمال والتفاف، وبالثال يمكن القول أن قبائل الوسط العربي كانت
تقوم ببيع الوسيط بين الشمال الحوي والجنوب الشرقي يد أن وجود عمليات إغارية بين
القبائل والأحرار بين قبائل القرايش وأحوالهم من إفساد كان يعطل التجارة لذلك كانت
قوى الوساطة تسارع بالتدخل قصد المصالحة بين القبائل بتقلدها قواد وشيوخ ومقدمو
الروايا وعقلاء وكثير العروش من أجل فض النزاع والتعويض أو إغادة للذهود ودفع دية
للقبائل، وأحد وأحدى الدراسات تاريخ 1283 هـ/ 1866 حالة صلح بين أولاد رضوان
من المصامة وأولاد ويز من القرايش بإشراف كل من أحمد بن يوسف قائد المصامة وعلى
الضغير قائد القرايش والتي جاء في إحدى نقاطها وصداك سكر القرايش إلى الخريد
ونقل أولاد رضوان لبلاد القرايش لكيال الطعام، وأبعدت العملية الصلحية بين المجموعتين
تجبة وخجوة (قربانة) الواقعة شمال القصيرين ببلاد القرايش وانتهت بتأكل الطعام الذي
أنهه القرايش^٣.

ونظرا لأهمية سوق ثالة في بلاد القرايش ودوره الحيوي في تشييط التجارة خاصة بعد
أن فقد برقه اثر اشتاعة 1864، فإن السلطة المركزية كانت ترأسل القيادة من أجل حل
النس على إعادة الانتصاب بسوق ثالة وكذلك تبيان الشروط التي فرضت على من يسمح
له بدخوله وذلك بموجب أمر وزدة فعل الناس حيال ذلك، والمخطوات التي قام بها القباد

لإغلاق التخار عن عودة ارتسام السوق، وأهم ما تبيته من خلال كتاب محمد الصمد بن
حميدة عامل أولاد ويز إلى الوزير حو القس تاريخ 22 ثاني اربعين عام 1280 هـ/ 1879،
والتي جاء فيها: «ساء على كتاب في شهر التاريخ يتضمن رجوع سوق ثالة على عودته
السابقة وتميز بالجل وبجو ذلك لما بقوا (كثلا) به العمارة وقد شرد مولانا دام مرة وعلا
أن لا يسكن في السوق المذكور وأحواره مفسدة ولا مشقة ومطاب في دس كما تصبه امر
العلي... فالأ كانت حلة مشايخ العرش وأعيانه وعرفتهم بذلك ويسعوا أن يعود السوق
على عادته ويصرفوا العلية في حلب الراحة التي لها يستلهم تصير شوق على الشروط
للكثرا (كثلا) العدة المتعلقة هم فاحابون أهم فرجوا بذلك وسامع في ذلك غاية الخرج
والخهد ومرجبا ذلك بالأسواق وشاع ذلك عند التجار وعرفوا في جميع البعده المذكورة وأهم
قادمين نحونا على قريب»^٤.

بدوره كان عامل ثالة قد طلب من قواد أولاد باهي وأولاد على حلب العامة فيهم ومع
غيرهم وتعتبر السوق بلد ثالة بالجلت وأمر ذلك بما يتسوا به العرش وتأتي إليه الركبان
مثل ما أذن به مولانا^٥، ونظرا أن أولاد على وأولاد باهي كانوا يقيمون وعلى طرف من
العمالة التونسية وتتبعين بالمخبة العربية بالسبع والشراء ولأولاد بحرون (كثلا) بالتابع التحلية
كألايل من عرش المصامة إلى الغرب والغرب والشم والجل من ارضية وصاروا هم والبعض
من وبنه وغرفه وأصطف (كثلا) بالسبع والشر من الاقربة والغرب حتى ارتفعت الاسعار
مع (كثلا) سعر المعرو الواحد من الألال يستحابة بال والشاة الواحدة ما يزيد على خمسة
والتاجر بال والثور الواحد ما يقرب للخمسمائة بال وأما الخيل فلا تكف في السوق وقد لجأ
بعضهم عن فعل ذلك وكلف اليهم فارت منهم الامكار فلاطنتهم بكلام لير حيفة ان
يلهم ما يقتضيه الشيء لأهم حاجين من جانب الدولة العلية لا تقدم منهم الاعوجاج مع
ولأهم وما تقدم من قرار بغضهم إلى الجهة الغربية^٦.

كما كانت اسواق الايالة العربية وخاصة سوق تسة تستقطب التجار التونسيين حيث
أن المبادلات التجارية كانت تنطه بين البلدين^٧، بيد أن امرا عليا كان قد صدر بجمع مرق

١ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

٢ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

٣ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

٤ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

١ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

٢ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

٣ - المصمر لغصم مسوق 18 مثلك 200 الفيلة سنة 1300

البضائع نحو الغرب وهو ما نصبه من رسالة اليناشي الحاج سليمان يوسف وخرات بن محمد ومصطفى بن قسوم بتاريخ 10 رمضان 1293 هـ / 1876، إلى الوزير الأكبر حميد الدين والتي جاء فيها : «انه كان سابقا عندنا الاذن العلي في نفي الجلاية عن تلك الناحية الغربية وعدم التسويق إليها إلى ان ورد علينا المحترم اليناشي آغا السيد الحاج سليمان يوسف الذي نزل بمرکز حيدرة ويبدو امر مولانا يتضمن مراحات جميع الاشياء»¹.

وبالتالي يمكن القول أن النشاط التجاري مع الإيالة الغربية كان ذا أهمية بالنسبة للقبائل الحدودية وهو ما نصبه من كمية الدباغ التي كان القرايش يتحصلون بها سوى نسبة من خلال ما ورد في الرسالة أنفة الذكر والتي جاء فيها أيضا قولهم : «لنا اناس من عملنا لهم جانب دباغ اتو به إلى السيد اليناشي واحد منهم ما وجب عليه على مقتضى الاذن المذكور وجعل لهم تسراحا يتوجهوا بالدباغ المذكور لتلك الناحية المذكورة ليبيعه ثم اقم لما وردوا بذلك تبسه من عمل تلك الناحية المذكورة عصوا منهم حكام البلد المذكورة جميع ما يابدهم من اهل واحمره الذي يحمل عليها الدباغ... والدواب الذي يحمل عليها الدباغ المذكور ثلاثة وسبعين بعير وستة وثلاثين أحمره»².

كما أنه اثر جماعة 1867 التي ضربت بحال القرايش تشظت التجارة مع الإيالة الغربية، وهو ما نصبه من رسالة سليمان بن احمد إلى رستم وزير العملة بتاريخ 29 جمادى الثانية 1283 هـ والتي جاء فيها : «... وليكون معلوم السادة ان بلادنا الطعام بها قليل وليس محصور سمرة لتكون للمعاملة في الطعام من تلك الناحية (الجزائر) يزيد مع وجوده ويقل مع عدمه»³.

كما كان هنالك نوع آخر من التجارة ينشط في بحال القرايش حيث كان البعض من التجار يعتمدون إلى التحول في الدواوير لعرض بضائعهم على النسوة والأهالي ومقايضتها إما بالصوف أو بالقمح والشعير والبيض... إلخ، وكان يطلق عليهم بالتعبير المحلي «الباعة» حيث تبين من خلال وثيقة أن أحدهم يدعى المكرم علي بن عامر الصفافسي الناجر بسنة الباعة»⁴، كان يمتثل بهذا النشاط في الجهة:

1 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15779

2 - المصدر نفسه، والوثيقة نفسها

3 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 189، الوثيقة عدد 15209، بتاريخ 29 جمادى الثانية سنة 1283 هـ

4 - المصدر نفسه، صندوق 212، ملف 232، الوثيقة عدد 141

بدوره كان للاحتكار مكان في سوق نالة، حيث كانت بعض الطوائع مادية الوجود ما يؤدي إلى ارتفاع ثمنها، مثل تجارة الرقاع التي كانت تستعمل للكتابة، كما ان بيع الكاغذ والرقع كان يخضع لوائح حيث تحمل الاحتكار تجارة الرقاع المعدة لكتابة المحجج كانت تباع بـ 25 ريال بدل ربع ريال وقد علل مصطفى بن قسوم ذلك بقوله : «كاغذ الرقاع المعد لكتب المحجج بعض اوقات يكون عديم من بلادنا تأتي به بعض التجار يبيعون فيه بقدر ذلك ليحفظ بطلابه لا سيما ان الكاغذ اللابن وجوده قليلا بوطننا تطلب من جناب السيادة ان تجزها في ذلك مثل بلدان المملكة بأن يكون احد متصّب ببيعته نالته الرقاع من الحاضرة»⁵.

وعلاوة على ذلك كان البعض من القرايش وحتى من القادمين من مناطق ساحلية⁶ يمارسون نوعا آخر من التجارة هي تجارة التهريب، حيث استغل العديد من التجار الأحاطة اقرار السلط الفرنسية لقانون 17 جويلية 1867⁷، القاضي بحرية نقل المنتجات الطبيعية أو المصنعة من وإلى الإيالة التونسية - بينما أقيمت على خضوع المنتجات الأجنبية للأداء الجمركي - فقاموا بإدخال هذه المنتجات إلى الجزائر سرا عن طريق القوافل التجارية، ما أدى إلى ظهور تجارة موازية كانت تتم على طول الشريط الحدودي وتسمى بـ «الكثرة»، وقد تمحورت حول الأسلحة والبارود والتبغ (النقة)⁸، وهو ما يفسر امتلاك عدد من قبائل من القرايش كمية متنوعة من الأسلحة حيث أن القبائل الحدودية كانت تمتلك أنواعا مختلفة من الأسلحة تستعملها إما لحماية رعيها ومطاميرها أو لحماية مجموعها أو تجارتها، ويبدو أن تجارة الأسلحة عرفت متخى تصاعديا منذ إبرام الباي معاهدة مع القبائل تقضي بإقرار حرية تجارة الكيف (التكروزي) والأسلحة في الإيالة التونسية⁹، وهو ما أدى إلى تزايد نشاط تجارة السلاح خاصة في أنحاء الجزائر أو بالعكس حيث كان «الغزابة» بدورهم يقومون بتهريب السلاح عبر

1 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 202، الوثيقة عدد 15787

2 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15794، مثال ذلك البص على أحمد الصفافسي بصفه سبق ناله وبموزنه 24 شكاية باري، مختلفة في كواريف اسرار العمل، حسب ما ورد في رسالة كلام حرات ابن محمد وعلي البشير بن مبارك ومصطفى بن قسوم بتاريخ 22 جاني الربيعين 1294 هـ والتي جاء فيها «... لبلد نقاض بغير من شهر التاريخ اتا زجل إلى الأختل يومنا سبي على الصغيرين من مزارك وسيد ثلاث عمال حاصل قلوبهم كواريف مبين بظواهرها المعجزة وضع ذلك بروج بيوت بياض قبيل سوق نالة... ونعمنا البيوت المذكورة بنحصر عدلين يومنا أربعة وعشرين شكاية تارود موشوحي يوسف الكواريف وقولهم المعجزة فاستخرجناهم وزلبوا في الحال يومنا بغير اثنا عشر قنطار».

3 - مشويشي، مرجع سابق، ص 29

4 - التميمي، انقاضات الفلاحين - مرجع سابق، ص 84

5 - مشويشي، مرجع سابق، ص 29

الحدود حيث كانت السلطات الفرنسية تعلن كل مرة عن عملية نقل للسلاح على طول الشريط الحدودي من منطقة الجريد مرورا عبر بحال القراشيش وحتى منطقة حمير¹.

كما أن السلطات التونسية بدورها كانت تعمل على تعقب المهربين ومصادرة بضائعهم وخاصة إذا كانت من الأسلحة وهو ما تبينه من رسالة محمد قعيد بن سالم إلى البشير الأعظم سيدي محمد بتاريخ 2 ثاني الجماديين سنة 1296 هـ والتي جاء فيها مايلي :
... فقد أتاني رجل من أولاد ناجي من القراشيش من عمل أحيانا سي الحاج حرث وذكر أنه ربا (كذا) ببل القلاع من عمل من ذكر أربعة عشر نفرا سابقين أربعة عشر هموا وخصاما عليها اثنت سالكين غير الطريق قلما رافهم تلك الحالة فلن انهم حايدين عن طريق مركز القصر بحدرة او عندهم والكثرة فلذهب لهم فوجدتهم من أهل العسالة الغربية فالتحق منهم للزور بالطريق المعهود فابوا وابتعدوا فبادروهم بالضرب وسل السلاح وظهروا له قتل ما على الاحرة فاستغاث من يفته وإتاني فارسلت زوج حوايل من المخزن الذي عندي وتبعنا لياتوا بالمتكوزين واستفسر حالهم فأتوا بم لنا فوجدتهم الى الشيخ القاضي والعدول لتلك توجهت بنفسي في الزهم فاستفسرنا منهم فوجدت بما مائتين وخمسة وسبعين مكحلة كاملة منها مائة والياقي قصار وشكائر صوف ميزان ستة قناطر وتسعة وأربعين رطلا فسحبهم ففر منهم ثمان من الشحن وما أنا وجهت الاثني عشر رجلا بالاحرة والسلاح والمصان والآثاث الى (...) الكاف مصحوبين بالمخزن²، كما كانت تجارة الدخان تعد من المضاعف المنتوع لدولها حيث كان المخازنية أثناء فدومهم إلى سوق تالة يجامصوا في من عنده الدخان من أهل السوق³.

يلدو أن حالة اللاأمن وتواتر عمليات الإغارة بين القبائل الحدودية وكذلك عمليات المقاومة ضد الإستعمار الفرنسي ساهمت في بروز ظاهرة تجارة الأسلحة على طول الحدود بين الأباثنين التونسية والمغربية، كما أن حل القبائل كانت تنهات على امتلاك أنواع مختلفة من الأسلحة من أجل حماية أروانها وتجارتها وكذلك من أجل التصدي لعمليات الإغارة لذلك فإن امتلاك السلاح بات ضروريا لدى حل القبائل التونسية وكانت الأسلحة تختلف

1 - لراجع لنفسه بن 23

2 - د. هـ السليمة التاريخية ص 10، ملف 202، الوثيقة عدد 15637، بتاريخ 2 ثاني الجماديين سنة 1295 هـ

3 - المصدر نفسه صندوق 18، ملف 109، الوثيقة عدد 15330، بتاريخ 18 رمضان 1283 هـ

في أنواعها وأشكالها وهي عبارة عن مكاحل كاملة⁴، وضمار⁵، وطواغين⁶، ومكاحل طول وفرد بلابجة⁷، وبنادق مقارن وبنادق كاملين وقصار⁸، وقاريله وسكاكين وكلاوي تلويين بالبارود وحج الرصاص⁹، وسكاكين عمل الغرب¹⁰.

بدورها كانت السلطات التونسية تراقب الطرقات التجارية عبر جبالها في الجهات من أجل زجر المخالفين، كما أنها كانت تعمل على منع المرور وفرض تحجير محلي على الوافدين من التجار من خارج الإيالة خاصة إذا كانت تلك الجهة تعاني من انتشار للأوبئة والأمراض، وهو ما تبينه من خلال رسالة العامل محمد الحاج محفوظ بحال القراشيش إلى مصطفى عزندار في شهر رمضان سنة 1282 هـ / 1865 والتي جاء فيها ما يلي : وأنه لازال سيدي يوسف يرد البال على المارين بالطريق من العدالة الغربية لوقوع المرض بوطنهم فمنعهم على المرور فيندفع عنا ما حل بهم وعملنا بالصيانة وأوصينا بتفتيشها جميع المشايخ والعاملة ثم اتجا مرت فاقلة حاملة لبعض سلعة على بعض عيام فريق الثيفات فتعرض لهم أرباب الخيام ومنعهم من المرور عملا بالصيانة وأمرهم أن يرجعوا بجميع ما بأيديهم فلم يمتثلوا وقالوا لهم تعمدوا غصبا ولسنا في واردكم...¹¹.

ونظرا لتسوع المعاملات التجارية مع الإيالة الغربية فقد أصدرت السلطات في عديد المرات أوامر إلى القياد بمنع أو تحجير نوع من التجارة مع الغربية، فبتاريخ جمادي الاول سنة 1290 هـ منعت السلطات التونسية تجارة المواشي وبيعها في أسواق الغرب وربما يدخل ذلك من باب حماية القطيع التونسي وكذلك من باب التحكم في الأسعار وهو ما تبينه من رسالة عامل ماجر وورثمان علي السامي إلى الوزير حور الدين والتي جاء فيها : وأعلمنا بأن أناسا يخرجون الحيوان على طريق البر لخارج المملكة مع أن ذلك ممنوع فالذي اعلم به جنابه الرفيع أن من جانبنا لم يكن عندنا من يذهب إلى الغرب ولا يتركوه يذهب وإنما الضرر

1 - المصدر نفسه صندوق 212، ملف 232، الوثيقة عدد 113

2 - المصدر نفسه والوثيقة وأنها

3 - المصدر نفسه والوثيقة وأنها

4 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 128

5 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 121

6 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 125

7 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 129

8 - المصدر نفسه صندوق عدد 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15224، بتاريخ شهر رمضان 1282 هـ

المذكور على الفرائش وعلى عمل الكاف وسائر اسماء إفريقية من اهل بقر وغنم وحمل
وابغال رفعوها الى العرب وطمعهم كثيرة الثمن...⁽¹⁾

لكن ذهب البعض الى ان تعامل الفرائش بالنقود كان محدودا جدا، وأن غالب عمليات
البيع والشراء التي كانوا يمارسونها كانت تتم عن طريق المقايضة وأرجع ذلك إلى سببين أولهما
نقص النقود في البلاد أو نتيجة ما تقوم به السلطة من تلاعب بالعملة⁽²⁾، فإنه يتبين لنا من
خلال بعض الوثائق أن الفرائش يتعاملون بالنقود في تجارتهم ومعاملاتهم وكانوا يستعملون
العملة الفرنسية في الغالب أما العملة التونسية فكانوا يستعملونها بقله وعادة ما تكون من
قطع الصنف الصغيرة ومثال على ذلك أن الفرنسيين وأثناء إقامتهم على عرش أولاد علي
عام 1259هـ / 1843 م، احتجوا لهم بحماية بلاد دور سكة فرانصة⁽³⁾.

كما أن المحافظ من الفرائش بدورهم عندما أغار عليهم فايد التمامشة حوئي مريانة
في بوحية وهم متوجهين زمولا إلى الجريد سلبهم وثلاثمائة ريالاً دورو وسبعماية ريالاً سكة
تونس⁽⁴⁾، وكذلك الأمر بالنسبة لديولوب من الرعاة من أولاد وزاز حيث تم سلبهم مائتين
تسعين ريالاً دورو السكة الفرائصة مع خمسة عشر مائة ريالاً دورو سكة فرانصة ومائتين تسعين ريالاً
صغار الضرب⁽⁵⁾، وللغرض ومائة ريالاً وثلاثين ريالاً دورو سكة فرانصة ومائتين تسعين ريالاً
وثلاثة ريالاً سكة من صغار الضرب⁽⁶⁾ وهو ما يبين أن القبائل الحدودية وخاصة عزوش
الفرائش كانت منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر تتعامل في أغلبها بالعملة
الفرنسية وذلك راجع بالأساس إما إلى موقعها الحدودي وما تفرجه عليها طبيعة معاملاتها
التجارية مع الجانب الجزائري خاصة أن جزءاً كبيراً من عزوش الحدودية التونسية كانت تتردد
الأسواق الجزائرية أو أن ذلك راجع إلى جودة وقيمة العملة الفرنسية حيث نجد أن حل العملة
كانت فرنسية مثل «تسعين عشرون مائة ريالاً دور سكة فرانصة»⁽⁷⁾.

- 1 - المصدر نفسه، صندوق 17، ملف 184، الوثيقة عدد 14893.
- 2 - اللبوس، التفاضات العلاحين - مرجع سابق ص 95.
- 3 - 1 أ، ب، السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 202، الوثيقة عدد 114، ملاحظة لعمارة الخلة الفرائشانية على عرش الفرائش (البلاد على) عام 1259 هـ.
- 4 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 128.
- 5 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 120.
- 6 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.
- 7 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 121.

أما فئة التعامل بالنقود فقد بدأت تظهر لدى الفرائش خاصة بعد ثورة علي بن
غدامه وسنوات الخاعة بعد أن تعرفت الناس في الأمصار وهو ما جعل بعض العروش وزمما
لفئة النقود التونسية تدفع الضرائب عنها إن لم تكن لديها النقود وهو ما شجعت من خلال
ما تم لبشخ الزعابة وما استصحبه معه من ما يخلصه من دراهم الأمانة حيوان ودراهم
عشر الاف دراهم عين وخمسة عشر بعيرا مختلفة⁽⁸⁾.

كما ان علي الصغير بن مبارك وأهل الوزير الأكبر سي محمد بتاريخ 29 فعدة الحرام
1294 هـ قالوا : وأعلم جنابكم الخير هو اننا كنا قبلنا حيوانات من اربنا في مطالب
الجانب المعمور وذلك لفلة وجود الدراهم باهل عملنا...⁽⁹⁾، وبما أن السلطات المركزية ربما
كانت تفضل قبول الخبي دراهم فإنها على ما يبدو كانت قد وضعت تسعيرات معينة وهو
ما جعل احد عمال الفرائش سليمان بن احمد يخاطب رستم وزير العملة بتاريخ 29
جمادي الثانية سنة 1283 هـ، قائلا : ... فطالب من جناب السيادة أن يكون الاتفاق في
خلاص من اراد ان يدفع الدراهم مثل الاتفاق مع حيرانا من العروش مثل ماجر وورشان
وعبرهم...⁽¹⁰⁾ بدوره فإن تغلغل الرأسمال الأوروبي في عالم الفرائش قبل 1881 خاصة أن
البلاد التونسية كانت تعيش صعوبات اقتصادية وسياسية ساهم في اختلال موازين القوى
والعلاقات الداخلية والخارجية لصالح الرأسمال الأوروبي الذي نوع اشكال تدخله ومجالات
تفوقه، حيث بات للتجار اليهود والأوروبيين عموما موطئ قدم في المدن التونسية وحتى
في عالم الأرياف اثنائية ولا غرابة أن يشككوا التجار اليهود وأصحاب رأس المال الفرنسيون
والاسبان أو الإيطاليون في مجال الفرائش، بعد أن استطاعوا تركيز نشاطهم في سوق نالة
وذلك من خلال تحارة القماش والفضة والذهب والبارود وورطوا شبكة علاقاتهم مع أعيان
الفرائش وقيادهم.

ونتيجة لما حل بأغلب قبائل الفرائش من فقر وأمان، كثرة الضرائب وارتفاع مبالغها
واصرار الدولة على قبض أغلبها تقدا تورط الكثير من الناس في الديون، واستفحل الربا في
المنطقة إما استفحال والمرابون أصناف إذ يوجد اليهود وكذلك المالكانية الأحياء والجرازة

- 1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 113.
- 2 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 202، الوثيقة عدد 15820.
- 3 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 199، الوثيقة عدد 15306.

والقبائليون (الجزائر) والقبائل مثل القبائل محمد بن قعيد بن سالم⁽¹⁾، وقد برزت عدة شكائوى من المرابطين بعد امتناع العديد وعجزهم عن خلاص ديونهم.

2- جوانب من الحياة الاجتماعية

1 - اللباس

لقد كان تنوع النشاط الحرفي لدى قبائل الوسط الغربي اسوة بالقبائل التونسية الأخرى، طلبة ليلالة صناعة تقليدية خاصة في ميدان النسيج بمختلف أغراضه وأنواعه التي مارسها سكان قبائل الإالة التونسية خلال القرن التاسع عشر قبل غيرها من الحرف وذلك للحاجة الأكيدة إليها، كسداء وحفظا من الحر والقر بما اعتدوا إليه من منسوجات تطورت وتنوعت، منها جاكوا ملايسهم ونسجوا أنفطيتهم وفروشهم وخيامهم ومختلف لوازمهم، فسجوا القالبج للكون الأساسي للحبسة والفرارة لحفظ الحبوب والحمل والخرج والمخلة والوسادة المكونات الأساسية لأثاث العائلة البدوية، كما نسجوا الصوف رداء مثل الحولي والبرنوس والحبة والقشبة، والوررة بالنسبة للرجال والبخنوق، والكشبة والبرنوس والجرام والحولي بالنسبة للنساء والخرواطة والعكسة للفتيات. كما عرف المستقرون منهم أنواعا أخرى من المنسوجات جاءت أكثر دقة وجودة وتنوعا، فسجوا البطانية غطاء المرقوم والكليم والزربية رقع اليداية⁽²⁾ وزربية بالكبان⁽³⁾ فرأى إضافة إلى وسائل مرقومين عمل الإعراس⁽⁴⁾ ومخادد⁽⁵⁾ بعد أن صنعوا لأنفسهم الأنوال التقليدية المناسبة، فاختص الجيليون بالنول العمودي والبدو بالنول الأفقي فماشاة لطيفة الجميل، فكان تريحة لتلك تعايش منسوجات خيلية وأخرى بدوية في تمايز واضح حيث برز بوضوح على نوع الزينة وعلى الرسوم والأشكال والألوان والأصباغ في منسوجات كل من الجبل والسهل فظهرت في المنسوجات الخيلية الخطوط المنكسرة والمثلثات والمعينات والمخرفات والزوايا وذرى الإبل وسيفان وقرور الغزال ورسوم لأنواع من الحلي مثل الخلال والحبة وغيرها، بينما تميزت المنسوجات البدوية بالخطوط المستقيمة للترازية المتداية امتداد الأفق.

1 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 204 الوثيقة عدد 15950

2 - المصدر نفسه، المجلدات التاريخية، صندوق 212، ملف 232 الوثيقة عدد 118

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 139

4 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها

5 - المصدر نفسه، المجلدات التاريخية، صندوق 212، ملف 243، 1، الوثيقة عدد 64

وتوفر عديد المواد الخيلية استمد الحرفيون والبدو ألوان أصباغهم وأشكال رسومهم ومضمون نقائشهم فكان رسم الحيوانات وخاصة الجمل والغزال من الثواب التي قل أن تغيب في رسوماتهم فالبخلة والجريدة من أهم مكونات رسومهم، لذلك تنوعت صناعاتهم التقليدية وخاصة المنسوجات التي عرفت مع الأيام «فتاحا ومواكبة» لم يصع معها الأصل.

وبالتالي يمكن القول أن لباس المجموعات القبلية الحدودية لا يشذ عن غيره من لباس المجموعات القبلية الأخرى من أهل البوادي والأرياف. وقد وصفه محمد يوم الخامس كما يلي: «أن لباس أهل البوادي والأرياف قميص ورداء من الصوف يسمى الخرم وبرس من الصوف، غير أنه يلبس لباسا بأن يدخل الرجل رأسه في الطربوشة، وتارة يقيها على رأسه، يلقبها إلى ورائه على كتفيه، وهما من مصنوعاتهم وعلى رؤوسهم شياشي وعمائم من حيوط أو من وبر الإبل أو صوف الغنم الأسود أو الأحمر وفي أرجلهم البلغة⁽¹⁾، فلباس الرجل لدى قبائل الغرايش كان يتكون من «القشاية»، و«زوج برانس» وجبة من صوف وسورة كتان وبلغة⁽²⁾، و«سورية»⁽³⁾، و«حبة ملف»⁽⁴⁾، فاطله ملف من لباس الفارس⁽⁵⁾، و«كسوة فارس ملف»⁽⁶⁾، و«حوالي رجال»⁽⁷⁾، أما غطاء الرجل بالنسبة للغرايش فهو «الكوس»⁽⁸⁾، أو «الشاشية»⁽⁹⁾، أما بالنسبة للنساء فيتكون من «برنوس» من عمل اليداية⁽¹⁰⁾، و«صفصاري» من عمل الجريد وحولي من عمل البادية⁽¹¹⁾، و«خنوق» من لباس النسوة⁽¹²⁾، و«بخناق

1 - التيمومي الاستعمار الفرنسي - مزيج سابق ص 337

2 - أ و ت. السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 232، الوثيقة عدد 120، اللباس الذي سلبه علي بن يوسف البخاري وأغار معه من عمل الخريف لأمحمد الغرايشي النجاري سنة 1279 هـ (1863).

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 125

4 - المصدر نفسه، الوثيقة 121 و 195

5 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

6 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 129

7 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 124

8 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 125، خلال حملة أمنا سنة أولاد عيبار من المرابطين إلى إغارتهم على أولاد ناسي من الغرايشين سنة 1260 هـ / 1664.

9 - المصدر نفسه، صندوق 213، ملف 240، الوثيقة عدد 1

10 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 121 وعاد 124

11 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 121

12 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 124

ورق وحرر^(١)، وحوالي سنة صاغ أوزق وأحر^(٢). وقد كانت القبائل تعمد في تلويحها للملابس والأغطية على المساح والواحد استمدت خصائصها من المحيط ومن الغلاف النباتي مثل قشور الرمان والتي كان يستخرج منها اللون الأحمر إضافة إلى الدباغ الذي يستخرج من قشور حادور الصنوبر إلى غير ذلك من الأنشطة الدباغة للحصول على ألوان مختلفة إضافة إلى اللونين الأبيض والأسود. وقد كانت النسوة أو الفتيات ينعين بفارس أحلامهن ويتحننهن من خلال لباسه وبعيته وسلاحه وفي ذلك تبرز الأبيات التالية:

البل شرفت ع القصرين *** ومدت خطاها
عسرب السكاريت^(٣) *** تلغسط وراها
البل شرفت ع القصرين *** ومدت خطاها
عسرب الخائب *** تلغسط وراها
البل شرفت ع القصرين *** ومدت خطاها
عسرب المكاحل *** تلغسط وراها

ب - الزينة والحلي

أما بالنسبة للزينة فكانت النسوة يستعملن السواك والكحل وكذلك التوشم الذي بدوره كان مشتركاً بين النساء والرجال، أما بالنسبة للحلي فكان من الفضة وكانت المرأة لدى قبائل الفرائش تزين بليس «خمرض فضة عمل تونس وخلة فضة عمل ماذكر»^(٤)، وحداينة عمل ماذكر^(٥)، والخرص^(٦)، والحداينة الجميع فضة عمل تونس^(٧)، وخلة فضة فجرة^(٨).

- ١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 129
- ٢ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 144
- ٣ - غايي ونساجي، مرجع سابق ص 37
- ٤ - السكاريت: يقابلها حمة صكرية وهو نوع من الفرائش الفاخر من الحرير
- ٥ - ١ و ٢ من السلسلة التاريخية، صندوق 12، ملف 232، الوثيقة عدد 179.
- ٦ - المصدر نفسه الوثيقة نفسها
- ٧ - المصدر نفسه الوثيقة نفسها
- ٨ - اسم يطلق على بعض أنواع من الفضة.

عمل تونس^(٩)، وأخر من فجرة وحداينة فجرة وخلة فجرة الجميع عمل تونس^(١٠)، إضافة إلى ومقابس فضة^(١١)، وأخراص وحداينة، وخلائل وحلا وغيره^(١٢)، وحدايد وأخراص وخلة فضة عمل تونس^(١٣)، وقد كانت بعض القبائل لدى الفرائش تمتلك كميات لا بأس بها من الحلي أي ما يعادل حوالي وقدر أربعة أربال فجرة حلي مطبوعة بالطابع الحدي، التونسي^(١٤)، وكذلك وقدر رطلان ونصف فجرة مصوغا حلي مطبوعا بما ذكر^(١٥)، وأقدر سبعة أربال فجرة حلي مصوغة مطبوعة فجرة مصوغة حلي مطبوعا بما ذكر^(١٦)، وإضافة إلى الحلي كانت النسوة يلبسن في جيلهن القلائد وهي عبارة عن شركة بالمرجان الحر وأرباع الطوق^(١٧)، وشركة بالمرجان وأرباع الخيوب^(١٨).

١١ - الأوضاع السياسية : تمرد «المحلي» على «المركزي»

١ - ثورة علي بن غداهم

التي ذهب حل المؤرخين إلى التأكيد على أن ثورة علي بن غداهم سنة 1864 كانت نتيجة الحماية فإن البعض الآخر يرجعها إلى الحالة التي عمت الإيالة التونسية نتيجة الإصلاحات المتأثرة بالنمط الأوروبي التي أدخلت على البلاد، والتنظيم الجديد للإدارة والقضاء، حيث لم يتقبلها العامة بارتياح^(١٩).

١ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 110

٢ - المصدر نفسه الوثيقة عدد 121

٣ - المصدر نفسه السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 243، 1، وثيقة عدد 24

٤ - المصدر نفسه، صندوق 213، ملف 248، وثيقة عدد 1. من جعله ما الخلد أولاد نجيب والحر اكنه والنعامته تعرضت الدينت من شغلهم في سنة 1281 هـ.

٥ - المصدر نفسه، الوثيقة ذاتها. من جعله ما لم تهيه من طرف الشيخ إبراهيم الخليل ومن معه من أولاد بياحي شاي على قبيل الفاء من عرش ماحرحين دخلوا للعماله الغربية وقت الفرج في سنة 1287 هـ.

٦ - المصدر نفسه، السلسلة التاريخية، صندوق 212، ملف 232، وثيقة عدد 113.

٧ - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

٨ - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

٩ - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

١٠ - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 129.

١١ - المصدر نفسه السلسلة التاريخية، صندوق 213، ملف 248، الوثيقة عدد 1

١٢ - فينيان، ثورة علي بن غداهم 1864، ترجمة لجنة من كتابه الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر 1965، ص 11.

لقد فوجئت سلطة المدينت في ربيع 1864 بقيام ثورة شنتها عدة قبائل، ثم تلكت في أسابيع قليلة حتى صلت البلاد بأسرها، وقد كان سببها المباشر الوضع في الضرائب، بيد أن عقب العظمة كانت له أسباب أعمق من ذلك وأبعد أثراً فالإصلاحات المتأخرة بالموذج الأوروبي التي أدخلت دون مراعاة خصوصية البلاد الإسلامية العربية، والتنظيم المحديد للإدارة والمصارف، التي لم تقلها العمة وإصلاح واستعمروا إنما إرهابات لمشروع يهدف لمصادرة هوية البلاد، كانت من الأسباب التي عجلت بالثورة. ولئن استقدم مصطفى حريدار بمعاضة من قبل جماعة من الأعيان المحافظين بعضهم من جاشية الناي وبعضهم من أقرانها، فإنه - بعد هذه المعارضة ولم يتأثر لها، حيث أن الحق قد حلى لحريدار واستطاع أن يكون لحاكم أمرو في البلاد بعد أن نجح في إبعاد كل المنافسين له والطامعين في الحلول محله.

وحتى التي فإنه أثناء جمعه لرجال محله الخاص للتكلم في شأن زيادة الدخل مراراً عليه فإنه - بعد لكلام أمير الأمراء ابن عبد الله حسن رئيس المجلس الطنزي المالك، الذي خاطب الذي قالاً بلسان فصيح: «يا سيدي إن هذه المملكة لا قدرة لها على احتمال شيء أثقل، فحلفاً كحال الفترة إذا جلت ضرعها حتى جرح الدم فهي الآن ينزو ضرعها بالنم، وولدها مضطعة والعطب أقرب إليها من السلامة»، بيد أن جوابه عن كلامه من بعض الحاسنين انكار الحال على ساطة تغليظ، فسكت⁽¹⁾، خاصة أن منهم من كان يرى أنه العريان إذا أكثر ماظم ساء حاله، وفي ثقل الحياة جسد لشوكتهم وكبح لهم عن العصيان، وبقل في ذلك مثلاً على حد تعبير زين أبي الضياف والعربي حد ماله واقطع رأسه⁽²⁾.

لقد عهد مصطفى حريدار منذ أكتوبر 1863 إلى تأسيس مجلس خاص من 25 عضواً مهنته النظر في الشؤون العامة قبل عرضها على المجلس الأكبر، أخرج مشاعر الغضب والحق لدى العمال والخلفاء، والتقصة بعد أن صودر نفوذهم ما جعلهم يعرضون سياسة الأخصاء الخمد الزامية إلى اجتناب أعم الخطط، وتبديد المال للعمومية والتقال كاهل الشعب بالضراب، وكان الشعار الذي ألقته الأغنياء والثقل حوله مضمون ثورة 1864 هو: «وكانا عبي - وثقايك - ودمتير»⁽³⁾.

- 1 - آخر أمر الملك مصطفى علي ج 5 ص 113
- 2 - المصدر نفسه والسفحة 140
- 3 - المصدر نفسه والسفحة 140
- 4 - عجاج مرجع سابق ص 12

لقد كان الغضب بالنسبة للعامة كامناً في نفوسهم، ولكنه كان ملحوظاً وتداوله داخل لهم، قاد الطاعن الرباعي تاريخ 23 سبتمبر 1861 وقدنا من سكان العاصمة يضم رهاء ألف ومائتي شخص راغبين بالأعلام، قاصدين قصر بابوي، وطلبوا من الباي أن يعيب عنهم المستعجلات من الخبز ويأذن بتخفيف تصدير الخبوب حتى لا ترتفع أسعارها الهائلة داخل البلاد كما كان من الباي إلا أن أعرض عن طلبهم وأصدر أمراً بج زيادة الحركة في السجون⁽⁴⁾.

حو الحياة مثل في سنوات القرن التاسع عشر عند القتل كاهل الناس وقد زاد حور العمال وكثرهم وامتدحهم في اتزانهم الوضع سنواً وقد ناع أنذاك ثقل الضمعي القاتل! يتميز مشايخ على وية رعية⁽⁵⁾، وهو تعبير صادق عن تشر الناس والظواهر لكثرة القماء والمشايخ، وقد اشتكت القبائل والعروش مراراً من هذا التكاثر في المناصب الإدارية حور المروءة، ففي شهر حاتفي 1863 كتب شيخ أولاد علي وأولاد باهي وأعيانهم (الفرانجيش) إل الباي قائلين: «نحن حكامك عرش الفرانجيش كثرت قيادنا»، وكتبحة ليارم الوضع العام بالبلاد وقد فضلت بعض القبائل الحرب خارج الأمانة التونسية بعد معجزها عن دفع الضرائب، وقد مثل الحروب إل المرحوم والفرنسية، خلا ما العكس لمحا إلى الناس، حيث باتوا يعطون العيش تحت حكم البصري، على القاء تحت حكم البايات والمسلمين.

ونظر للحالة الاقتصادية المتدهرة التي باتت تعيشها قبائل الوسط العربي نتيجة لعدة عوامل وهو ما نسبته من خلال رسائل العمال إلى السلطة المركزية بقولهم: «أن العام عجاج من النعمة»، و إن الناس لما حل بها من الجوع وقلة الشرعي حيواناً ما حصل لها القتل والقتل⁽⁶⁾، ويعرف سيدي أن بالبلاد لم ينزل لها مطر أكثر من عام وبسبب ذلك تفرقت الناس وجررت قلوبها بالوطن، وباتت بعض المواشي من الخدب الحال بالبلاد⁽⁷⁾، ونتيجة لذلك فقد أعلم قياد الفرانجيش ومشاكلهم البايك بصعوبة المعيشة وهناك عديدة الرسائل التي ذكر فيها

1 - آخر أمر الملك مصطفى علي ج 5 ص 99

2 - النيموني الاستعمار الفرنسي مرجع سابق ج 1 ص 151

3 - أ و د السلسلة التاريخية سنديق 16 مله 199 الوثيقة عدد 15298 بتاريخ 14 ربيع الثاني سنة 1283 هـ

4 - المصدر نفسه سنديق 16 مله 199 الوثيقة عدد 15298 بتاريخ 14 ربيع الثاني سنة 1283 هـ

5 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15298 بتاريخ 6 جمادي الأول 1283 هـ

6 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 15298 بتاريخ 12 ربيع الثاني سنة 1283 هـ

أصحابها ما آلت إليه الأمور نتيجة الجذب والفتح وتفرق الناس في الجهات والتي بناء فيها : هذا أثناء الاذن العلى في صلاح زمن عشر أهل عملنا شرفنا واجتهدنا فيه ووجهنا أولا واحده وعشرين ألفا وثانيا أربعة آلاف يد وحق سيدنا جلها تسلفتها من الغير عن نفسي ان الناس حلها تفرقت لأجل المعيشة الى تلك الناحية (الجزائر) ويتواحي الرفيق لما حل بلادنا من الجوع وعدم الطعام ومن له سعي (أغنام) مات من الجذب أن بلادنا لم يحل بها مطر أكثر من عام الى الآن ولم ينبت بها عشب والناس في عسر وشدة¹ كما أن وحلفاوتها ماحر وشيوخها خافوا بدورهم السلطة المركزية في رسالة بتاريخ شهر ديسمبر 1861، أن أكثر من 700 نفر قروا الى الجزائر هربا من جور القابض العربي السبيلي²، وقد شاع آنذاك بين الناس وخاصة عمال وأحبات الجنوب المثل التالي الذي يعكس تعاقم عمليات الهروب إلى الجزائر:

بيع للساحي وتقلو لعناية *** شاش قفري غنائو غابة³

وقد تزايد لجوء المستعبدين الى حياة البداوة للأفلات من حياة الضرائب مثل الفرائشي الذين كانوا أنصاف بدو، فقد كان من اليسر عليهم الارتحال للهروب من الحياة والاحتواء بالجمال الخيطة، وقد أطلق عليهم ابن الضياف صفة من أهل المعية⁴، والمثل الشائع في المنطقة يقول :

يجزوني الشايخ للثقيبي *** الشعاني ولا خيل مثاقمة⁵

بالتالي يمكن القول أن ثورة 1864 لم تكن نتيجة تضاعف الخي فقط بل كانت نتيجة سياسة التمييز التي كان يتبعها الباي تجاه العامة، حيث أن السلطة التونسية قررت في شهر سبتمبر سنة 1863 تعميم الأداء الموظف على الرؤوس والمعروف بالخي، ومسحه على كافة الرعايا التونسيين على اختلاف معتقداتهم الدينية وطبقاتهم الاجتماعية، وبعد مضي ثلاثة أشهر عن قرار التعميم صدر الاذن بتضاعف مقدار الأداء حيث رفع لأثنين وسبعين ربالا،

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15340

2 - المصدر نفسه، السلسلة التاريخية، صندوق 24 ملف 275

3 - التيمومي، الاستعمار الرأسمالي، - مرجع سابق، ج 1، ص 158

4 - ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ج 4، ص 225

5 - التيمومي، انتفاضات الفلاحين، - مرجع سابق، ص 81

وقد أغضب منه سكان العاصمة والمدن الكبرى، وهي القويان وموسسة والمستمر وجفانس، وكذلك الموظفين والعساكر والطلبة والعلماء ويهود الحاضرة⁶، وقد صدر ذلك في الرائد التونسي في شكل رسائل من المشور محمد الصادق باشا بتاريخ 15 ذي القعدة الحرام سنة 1280 هـ والذي أتى فيها... ونحن لا نرضى مقبرة رحمتنا الذين هم قوام دولتنا فإدنا إلى سد باب المخرج وأسقطنا على أهل القيروان أداء الاعانة وألغينا أمرهم على ما كان عليه وأسقطنا عن أهل عملها ما زاد عن ستة وثلاثين ألفي كانوا يوتونها...⁷

وبالتالي فإن القرار الصادر عن الباي ولد حالة من الاستغراب والاحساس بالقيم لدى بقية الناس بعد إعفاء أهل الحاضرة من الحياة وفرضها على بقية الرعية، إلى حد أن قبائل الفرائشي وماحر كانوا يستعربون أمر الباي ووزيره لما آلت إليه الأمور وأكثر دليل على ذلك الأبيات التالية التي عبروا من خلالها عن رفضهم دفع الضريبة والتي جاء فيها مايلي:

أي حيو والعروبة قالوا *** ما تقلروا على حلامنا

أي دار قصصة *** والتي حرت يدي ماله عالفرصة

والفر من رادو عشيرة *** يا حيو السلطان أش حلالنا

راك دمتنا بالحامسي *** ودعتنا لوزير قلنا حامي

يكل علينا بالعبار الواسي *** وباعنا برخص الثمن لحواسي⁸

وبذلك يمكن القول أن سياسة التمييز التي سلكتها الحكومة تجاه سكان البوادي ودواخل البلاد وذلك من خلال إرهابهم بالحياة كان لها الأثر السيء لدى سكان القبائل خاصة أن المداحيل الموثقة من قبل لم يقع التوصل إلى خلاصتها بأكملها، وهو ما أدى في بادئ الأمر إلى امتناع أهل المجهد عن دفع الأداء، بينما احتارز قبائل من العرب الرحالة المحدود

1 - المرجع نفسه، ص 17

2 - الفرائش التونسي، يوم الثلاثاء 20 ذي القعدة الحرام سنة 1280 هـ (1864 - 1865)، العدد 20، الصفحة الرابعة، وثيقة عدد 124

3 - لا زالت الناقرة الشعبية لدى مجموعات الفرائشي ومجموعات غلطة ببعض الأشراف التي قبلت بامتناع قرار بتضاعف الخي وبعيدة الوزير مصطفى خرداد على الحكيم خاصة أنه كانت له علاقات شخصية مع الفصيل الفرنسي ليون روش (1858 - 1880) ولكنه كثير فأكثرت مع حصوله على الجنسية الفرنسية عام 1884 للحاجي الأضرى قبائل ماحر والفرائشي، - مرجع سابق، ص 404

التوسية وحملت رحلتها في الثراب الليبي¹، كما صرح عامل الجزائريين المقيمين بالكاف يوم 14 مارس بأن أولاد بوعوام والفراشيش قد أغاروا على أولاد عبي بالجزائر، وأن كاتلة القبائل المتقاتلة على مقربة من الحدود هي في حالة اضطراب، وتبدي مسخطا عظيما على الحكومة ويسود البلاد جو من اليحان بسك اداء الاشقيين ومبعوثين ربالا².

لقد أصبحت هناك قلعة عند العامة، مفادها أن النصارى من الفرنسيين والإنجليز والاطليان هم سب كل البلاء والمصائب التي حلت بالبلاد وقد سجل الشعراء والعامة سخطهم على واقع الصرايب والظلم للسلطة عليهم من البالييك، ومن التصرب الاستعماري عن الشركات الاحتية المشبوهة التي وجدت كل الشهيلات من السلطات لنهب البلاد وفي ذلك بورد الايات التالية التي كانت تعبر عن حالة من الحزن والألم التي طغت على الناس :

ليكني ودفع العين عجز^{***} علي توتس يا ماذا يصير
ليكني بالدمعة^{***} علي توتس ما ضاير فيها
ألم السيلدان^{***} بخارة ريسس يهنيها⁴

وبالتالي فإن شرارة الثورة سرعان ما سرت في أنحاء الإيالة وهو ما يؤكد أن حالة العصب وعدم الرضا عن سياسة الحكومة قد بلغت أوجها، وهو ما جعل القبائل تنور للتوصل من أهلى والمحافظة على أرواقها، وما يدعو للاستغراب حسب جان غاتياج أن سكان المناطق الفقيرة أكثر من غيرها هم الذين لازموا الهدوء، فاستمرت القوافل على السير في أمن وأمان، وتولت العروض المتحركة أكثر من غيرها حراستها⁵، وهو ما يؤكد ابن أبي الضياف على لسان القوافل الواردة للحاضرة الذين كانوا يقولون : وما عهدنا مثل هذه العافية والأمان في السيل⁶، وبالتالي يمكن القول أن ثورة 1864 لم تكن ثورة «جياح ومحتاجين وقرقاء» اهكتهم الجباية بقدر ما كانت ثورة ضد الانحياز الذي كانت تنتهجه سياسة «البالييك» ولقد كان الفرانشيش من الأوائل الذين ساهموا في هذه الانتفاضة الكبرى، لا سيما وقد ذاقوا الويلات من

1 - غاتياج مرجع سابق ص 17
2 - المرجع نفسه ص 80
3 - (إرفي الصفاق) الأغاني التونسية الدار التونسية للنشر كتاب الدولة المشبهون الثغافية والأخبار إدارة المؤسسات والفنون الشعبية تونس 1967، ص 272
4 - غاتياج مرجع سابق ص 28
5 - ابن أبي الضياف مرجع سابق ج 5 ص 123

حزاة اضطهاد عائلة قصوم لهم، وهي العائلة التي كانت أهم سند لنظام الديات في المنطقة منذ أواسط القرن الثامن عشر⁷، وقد ذكر أحمد بن أبي الضياف أن العمال والمشايخ وغيرهم ممن له تعلق بخدمة الدولة كقصوم بن محمد رجل الفرانشيش، لاقوا أثناء الانتفاضة من عامة العريان ما يلاقيه المساق إلى الموت وهو ينظر⁸، وأكبر دليل على ذلك أن الثوار بعد فتلهم للإقطاعي الكبير العربي البهيلي أحد قياد ماجر كانوا يعبرون حومه بقناة اليرج أياما ويوزعونها على المحتاجين منهم وهم يقولون : استرجعنا بعض ماقيه فقام⁹.

كما أن أحد عمال أولاد عيار ويدعى صالح بن علي ذيش راسل أحد رجال البلاط آنذاك وهو الأمير سعد بن عبيد بتاريخ 20 محرم سنة 1281هـ، يصف ما آلت إليه الأمور في المنطقة بقوله : واحنا سيدي في الدرك الشديد الذي لا مزيد عليه من العروش... واحنا سيدي هاته المدة مثل المرجة يستنا فالفرج من الله ويتنا فالطيب ان يداويوه وعن سيدي ضاعت أرواقنا... وبقي في الكيس الشديد الذي لا مزيد عليه والمدة قد طالت علينا والدرك نساء أكثر من الصبر لا يقدر عليه أحد، أيضا سيدنا تخوكم عن عرش ماجر... وعن بقربنا وعن نعمتنا ونعمة السيادة الذي ضاعت من خشور الروحية قمحا وشعيرا وجميع الشعر متاع اللزمة خشور سيدنا... انه لما غاروا عليه منهم من نخور بالكثير ومنهم من نخور بالقليل فأرادوا الفسمة مع بعضهم بعضا... وكما تعلم سيدي ان الزرع التي خشور سيدنا... مهملين عليه ماجر والاربعي¹⁰ الحيوانات ووقع به الحصاد من ماجر¹¹

تقد عزم العامة عن فوجهم بالثورة وتأييدهم لباي الشعب علي بن غداهم بتريد الأهازيج والأغاني الحماسية التي تعبر عن الوحدة والوقوف صفا واحدا وراء قائد الثورة والتي جاء في مطلع احداها ما يلي :

الله ينصر بن غداهم *** جماعة الباطل فياهم (اهلكتهم)¹²

1 - التميمي انتفاضات الفلاحين - مرجع سابق ص 145
2 - ابن أبي الضياف مرجع سابق ج 5 ص 123
3 - المقصور نفس ج 5 ص 145
4 - بلقيس علي مسجل النبال من بعض هياطير العربي بن عمار السنهلي قائد ماجر خلال غارة البحر بيقى بعد المعالف واستكرامى عدال السلطنة المركزية بيقى العروش والقبائل فهتشر الرومية لوجده لهم منه عرش أولاد ميسس وسلطنة 150 فغير قمع 100 فغير شعير 4 أفرة فطنيا 5 أيقال 4 غبول 4 أمصرا مصارو 250 راس بقرو 155 سيل الظفر الشامي الأصر، قبائل ماجر والفرانشيش - مرجع سابق ص 458
5 - أ. ب. د. الفلسفة التاريخية، مسدوق 24 نيف 275 الوثيقة بحمد 24661 - رسالة بين بوجند الصالح علي ميش إلى الأمير سعد بن عبيد بتاريخ 20 محرم سنة 1281هـ
6 - (الروفي) (محمدا) الشعر الشعبي والانتفاضات التحررية سلسلة اعلام تونس الدار التونسية للنشر 1971، ص 13

ويبدو أن حالة الفوضى والتهب التي عمت البلاد آنذاك لم تكن تعبر عن حالة الفقر والاحتياج بقدر ما كانت تعبر عن حالة من الإحساس بالظلم والعين نتيجة المعاملة المحقة في حق الرعية من طرف العمال والقياد أكبر دليل على ذلك ما تعرض له العربي السبيلي من قتل ثم حب ستمتلكاته، وهي صورة معوية لحالة الانتقام التي انتهجتها القبائل تجاه عمال السلطة المركزية، بعد أن غرقت البلاد التونسية في الفساد والديون قبل أن تغرق في وحل الاستعمار حيث كانت ثورة علي بن غداهم في وجه الصادق باي وحاشيته الفاسدة محاولة شعبية يائسة لإفشكاك إرادة الشعب السليل، ثورة أراد لها كتاب التاريخ من ملوحي بلاط البايات أن تكون ثورة عرباك «تجيع» من أجل الاحتياج على مضاعفة ضريبة الخبي، في حين أنها كانت نية شعبية عارمة في وجه الفساد وتنامي الوجود الأجنبي بالآيالة التونسية.

2 - أثر انتفاضة 1864 على قبائل الوسط الغربي

لئن دفع انتشار الانتفاضة وتأجيجها وإشغال العامة حول بعض الزعامات كعلي بن غداهم في تاجر والذي قال لقومه: «لا خلاص لكم من ثقل هذا الحمل إلا إذا جمع الله كلمتكم على الانتقام» وظهور السبوعي بن محمد السبوعي في حلاص وعربان القيروان وهو مسموع الكلمة في قومه يقول ما يقوله بن غداهم⁽¹⁾، «وانشد كل عرش طيلا يسمونه طيل الفروع، ينادون من قاربهم بقرعه، فيسمع له دوي في تلك الغلوات»⁽²⁾، بعد أن «تأمر الغربان في سائر الجهات على ذلك، وتوعدوا من خالفهم أو حل رطبهم أو دفع شيئا من هذه الرمادة، بالأخذ بالويل وحرق البيوت»⁽³⁾، فإن استنجد «بالبليكة» مشايخ الطرق الصوفية من ذوي النفوذ خاصة في مناطق الوسط والوسط الغربي للتصدي لها بعد أن سارع الباي إلى مكاتبه الشيخ مصطفى بن عزوز طالبا منه التوجه إلى سيطرة «لايقاظ هؤلاء الذين غفلوا عما أمرهم الله به، وتحذيرهم عقوبة ما كسبوه ليتداركوا أنفسهم قبل أن يحل بهم مالا يستطيعون دفعه»⁽⁴⁾، كما كاتب في نفس الإطار الحاج مبارك الفرشيسي - شيخ زاوية الرحمانية بتالة - مينا له فيها أن الباي منزل لرعيته - على حد قوله - منزلة أولاده في الشفقة

والحنان، يعجل بالجميل من أسماء، ويعفو عمن يصدر منه الغلط...⁽⁵⁾، ونعلا فقد نجح هؤلاء المشايخ في إخماد الثورة بعد أن استطاع مصطفى بن عزوز أن يكتف اتصاله بمشايخ زوايا الرحمانية من أجل توحيد صفوفهم خاصة أن هذا الأخير عمر عن استعداد للخدمة الدولة بقوله للوزير الأكبر: «والله لو تأمروقي بمر الهند لمشت...»⁽⁶⁾

ويبدو أن وساطة مشايخ الطرق الصوفية وجدت صدى لدى القبائل الشائرة نتيجة عدة عوامل إضافة إلى ما لهم من سلطة معنوية وروحية على العامة، فإن حالة الملل التي أصابت بعض القبائل من خزاء طول الانتفاضة وقرب حلول موسم الحصاد، ورغبة أغلب العروش في التفرغ له إضافة إلى ذلك إبداء علي بن غداهم استعدادا للحوار، كانت من العوامل الممهدة لإخماد الثورة.

يدو أن انتماء علي بن غداهم إلى الطريقة التيجانية، ونظرا لما كان يكنه من اجلال وتجليل لشيخها أحمد التيجاني⁽⁷⁾، فإن انتماءه الطرقي دفعه إلى الجنوح إلى الصلح وقد عمر عن ذلك في رسالته إلى أبي العباس الشيخ أحمد بن حسين الكافي رئيس المفتين من علماء المالكية يعلمه فيها أنه قادم إلى الحاضرة للتفاوض، ملتسما منه التوسط في الصلح مع الحكومة⁽⁸⁾.

وبناء على التجهيزات التي بذلها شيخ الطرق الصوفية في أنحاء البلاد لضمانة الناس وإخماد الثورة وهو ما عمر عنه محمد الصالح بن أحمد العمراني الشريف - شيخ زاوية الرحمانية بعين الصابون - في رسالته إلى محمد الصادق باي أنه بلغ الغاية في إخوة (...) هذه النار التي قرحت العيون، وأصمت المسامع وتركزت الديار من أهلها فارغة... فوجهها إليهم من نقي به من جانبا، فاجتمع معهم، ودفع إليهم كتابا فقرؤوه على بعضهم... واستلوا، وزال ما كان عندهم من الوهم والريب والشكوك...⁽⁹⁾، فإن محمد الصادق باي يادر بنوره يوم 19 جويلية 1864 تمتح «الأمان التام لعلي بن غداهم ولكافة عروش الآيالة»⁽¹⁰⁾.

1 - المرجع نفسه، ص 117

2 - المرجع نفسه، ص 119

3 - المرجع نفسه، ص 120

4 - المرجع نفسه، ص 120

5 - المرجع نفسه، ص 121

6 - المرجع نفسه، ص 123

1 - ابن أبي الضيافة، مصدر سابق، ج 5، ص 121

2 - المصدر نفسه، والصيغة «اتها»

3 - المصدر نفسه، والصيغة «اتها»

4 - الفحيتي «بعض مشايخ الطرق الصوفية» - مرجع سابق، ص 117

وفي الوقت الذي حدثت فيه الثورة، وتفرق الناس من حول علي بن غلادهم وتغصت مراكمهم، وفي أواخر يومه من 10 أبريل الناس نشأ الكنتشي بحالة من طمع وشبه رئاسة وأخذ اسمه في الارتفاع¹ مع انصاره داخل الفرنسيين وناصره الخفي التي في أيرام الصلح وترددتهم في ذلك وامتاعهم من توجهه للحامض، وهو ما اعتبرته السلطة الحسنية تراجيحاً وعصياناً من قبلهم

ومما حدثت لحظة رسمه في العهد الكفاك خمسة عروش وبهجة والألغار الذين كانت لهم يد في قبل غير الأمراء فرحات أعاد وهو ما اعتبره علي بن غلادهم نقضاً لما وقع إمامه ونسبت معارك مع عروش ماجر التصرفت فيها قوات الباي. وتقدم وفد من أعيانهم وممثليهم في أوائل نوفمبر 1854 بمرسوم عن أولياء²، وكنتيجة لذلك بدأ بن غلادهم قرب الحدود المغربية ويقيم في عيون الفضة مع قوة من 100 فارس³، حيث يبدو أنه حوصر من طرف قوات الخطه خاصة بعد أن أرسل قائد القوات 500 قومي برأسهم قياد للقبض عليه وحاشيته القليلة نوعاً ما لتفجر بين غلادهم في البداية لكن بوصول المدد اليه تمكن من السيطرة وتبع القوميين (les Goumiers) إلى التراجع حتى وادي سراط بالقرب من قوات التي حيث استطاع أن يشر دوار من الرغلة الذين انظموا لحمايته⁴

وأمام المقاومة التي أبدعها علي ابن غلادهم أثناء غيابه في حيدرة، حشد قوات جديدة⁵، وهو ما حتم على علي باي وسي رسم على تطويق علي بن غلادهم : الأول من سيطرة والتناحي من هضم السوق على وادي سراط⁶، وكانت الدائرة في هذه المعركة عليه، ورغم سعيه خائداً إلى حشد القوة دون أن يفلح، خاصة أنه كان على رأس 200 فارس لا أكثر⁷

1 - التوقيع نفسه من 124
2 - التوقيع نفسه من 130

3 - التوقيع من اللواء حاكم فستطنة إلى المحافظ العام بالمراسم بتاريخ 2 جمادى 1855 - النظر

4 - A.O.M., Carton, 31 H2 Dossier2 ; Dahir 1854, Tapis Renseignements Divers Affaires De Ben-Gueladour, 1854, 1861

4 - Ibid

5 - Ibid

6 - التوقيع من اللواء حاكم ولاية فستطنة إلى السيد المحافظ العام، والمراسم بتاريخ 5 جمادى 1860 - النظر

A.O.M., Bobine A2 ; Carton, 31 H2 Dossier2

7 - Ibid

ويبدو أن علي بن غلادهم كان متورداً في محاولة الأمر في العبور إلى الإيالة العربية ربما خوفاً من أن تقوم السلطات العربية بالقبض عليه ونسبته للباي، لذلك اضطر علي ملاوثة قوات الخطه في محاولة منه ربما لإعادة جمع القبائل من حوله بعد أن لذلك لم يحصل خاصة أن حبله وصديقه حامد شجاع والقائمة السابق للرغلة يوجد في (حبل) بوجبة مع أخيه وهما على أعية الاستعداد بما والسلطات العربية، فإنه لم يفعل ذلك بعد وأصررت كندوبه معه فلاهم لا يدرسون بأية حال مستسلمهم⁸ على حد تعبير حاكم فستطنة

وأمام تحصيل الحقائق عليه من طرف الخطه قصد بن غلادهم ومن معه إلى العبور إلى الجزائر ومعه حوالي خمسة آلاف من ماجر والفرنسيين ووجهة إلى الثواب الجزائري لدى قبيلة النمامشة⁹ في حين أن حاكم ولاية فستطنة ذكر في رسالته إلى المحافظ العام بالمراسم أن علي بن غلادهم سعى خائداً إلى حشد القوة دون أن يفلح، وكان علي رأس حوالي 200 فارس لا أكثر¹⁰، وذلك بعد حصوله على الأمراء من حاكم فستطنة، وقد سارع بن غلادهم إلى مخاطبة حاكمها عبر رسالة جاء فيها : وسيدني العقيق حاكم لسة وما جاورها، السلام غنيكم، لي شرف ابلاتكم أن قدومي إلى ولايتكم التي لتكنوها هو بية الاستقرار أبا وأبايكم. أما وقد كتبتكم في الأمان بإعطائكم لي العهد، فإن سائل من راجيني المظيع لأمركم¹¹.

وعلى أثر دخول بن غلادهم والتابعه إلى الثواب الجزائري ذكر دقي ناك ماهون في رسالته إلى حوشان دي بلنكير جونس فاللا : أنه ناقض عريان يلع عندهم نحو 4700 لسة على نراسا، واقتلت أثرهم تشكيلات تونسية مهاجرت قرب عين الشخرة نوار أولاد سيدي يحيى بن طالب الذي أصبح أترا بعد عين... وحماية لأحسين من عائلة فاللا تحول قائد دائرة لسة يوم 10 حنفي إلى مكارية، وتقدم في يومي 11 و12 للاحمرض بالقوة إذا لزم الأمر على حرك حزمة الثواب الجزائري من طرف القوات التونسية. وكان يواجه المجرال رسم المراتب

2 - العجيني، دور بعض مشايخ الطرق الصوفية : -، مرجع سابق من 130

3 - التوقيع من اللواء حاكم ولاية فستطنة إلى السيد المحافظ العام بالمراسم بتاريخ 2 جمادى 1860 - النظر

A.O.M., Bobine A2 ; Carton, 31 H2 Dossier2

4 - رسالة من علي بن غلادهم إلى حاكم فستطنة - النظر

A.O.M., Bobine A2 ; Carton, 31 H2 Dossier2

قرب حيدرة وسي علي باي المراتب غوسانة¹⁴، وقد أضاف دي ماك ماهون «هنا قبائل أخرى مجمة على وادي الوابعة وهي تامة تستعد لإحتياز الحدود»¹⁵.

وأمام حالة الخوف التي غيشت القبائل الحدودية فإنها وجدت ملاذاً آمناً في الغرب الجزائري بيد أن قادة الجيش التونسي وأمام حالة الحروب الجماعية للقبائل التونسية تجاه الإيالة العربية سارعوا لإشاعة خبر الغزو عن الثوار وأعطاهم الأمان وهو ما أكدته دي ماك ماهون بقوله: «ولما أدرك قواد الجيش التونسي أن الثوار يجدون ملجأ لدينا سارعوا إلى بذل الأمان لهم وأشاعوا أن من شاركوا في الثورة لا تلاحم إلا بعض الغرامات... كما تراجعت قوات الجزائر رستم إلى منطقة الكمين قرب الجردة»¹⁶.

ويبدو أن الإقامة الجبرية التي فرضتها السلطات الفرنسية على علي بن غداهم بإذن من المارشال دي ماك ماهون وأخيه عبد النبي وعائلتهما أولاً بـتسطينة ثم بقبيلة أولاد سيدي عبد النور التي لبثوا فيها حتى سنة 1866¹⁷، كانت مشددة حتى أن السلطات الفرنسية قد علمت على ترحيل الكثير من التونسيين وربما كانوا من أنصار علي بن غداهم فتاريخ 19 مارس 1865 حاطب المارشال دي ماك ماهون القنصل العام لفرنسا بتونس روشين دي بلكور قائلاً: «البيوت التونسية بأجمعها رجيت وإذا احتفى بيت في وسط محروشا ولم تشعروا به حين تطلعون على ذلك سادروا بترحيلهم إلى الحدادة»¹⁸، ويبدو أن امتشاء الترحيل

1 - وثائق مؤسسة ثورة علي بن غداهم 1864 الجزء الثاني تعريب المار التونسية للشهر 1966 ص 140

2 - المرجع نفسه ص 140

3 - المرجع نفسه والمقدمة ذاتها

4 - عتاج مرجع سابق ص 57

5 - كتب دولشتر دي بلكور إلى مورين دي أوسين بتاريخ 27 فيفري 1866، صا يبيد أن الألبون علي وشبهه التسمية من غداهم فرنسا فجميعه في الجزائر ودفعاً للثبات التونسي مستكرين واستبدوا بتواحي الكاف والتهير تسمى من غداهم فرنسا فيروز شيخ الطيفه النجانية من صحنه الهب يوس في طريقه إلى الحج وقصده بشيرا لما له من مكانة عالية في النفوس، فلفصا منه أن يستعطف عليه الباشا بعشاء أن يشمله بعقبه إلا أن الألبون من غداهم فمضت عليها أهالي القصور وألقوها كتابا وصلامها إلى خالة الباشا قبل أن يتركها شيخ الطيفه النجانية وصيلا إلى بنارو ولم يفد في أهلي بن غداهم حكم الإعدام استعانة بـصغير قام به قنصل فرنسا بوجعه لثقله عشر شهرا وجد ميتا برزائنه بحلق البواقي في 10 أكتوبر 1867، وكان أخواه أصغر خطا منه حيث تمكن من الفرار وفاد عن الانتقام. انظر كتاب عتاج مرجع سابق ص 78 وأيضاً وثائق مؤسسة مرجع سابق ص 250 - 253

6 - ات الصلصلة التاريخية، صندوق 212 ملف 1 / 243، وثيقة عده 24 و 25 «تعريب مكتوب حكيم محمود الأوربي المرسال ماك ماهون إلى القنصل الفرنسي يشرح دي بلكور المكلف بأمر قرايضا وفصلها المرسال بماتية أوسين إلى الوزير الأكبر سيدي منتظلي شيخ 19 مارس 1865»

نخل فقط علي بن غداهم والمقرين منه بعد أن تم وضعهم تحت المراقبة المشددة وهو ما ذكره المارشال دي ماك ماهون في رسالته بقوله: «وعلى بن غداهم مع خمسة أو ستة بيوت إذا يتزوله في تراب امال بين سيف وقسطيه وإذا يعمل عسه خصوصه عليه لكي دواره لا يزيد بالانفار الذين يهربوا من العمالة التونسية لتسبب ماء»¹⁹.

ونتيجة لما ذكرناه فإن علي بن غداهم وخوفا من ابعاده من طرف السلطات الفرنسية إلى ما وراء الحدود كعقاب له على مخالفته قواعد والضيفة، فإنه سارع إلى غاطية حاكم تيسة مقعدا الادعاءات وفي نفس الوقت طالبا منه السماح للعائلة بالرجوع إلى الديار مطالبا بالحماية للأشخاص والممتلكات بقوله: «اليوم وشاة نقلوا إلى السط أني أقبل عتيدي أناسا لي بهم علاقات سرية، أشهد السماء وأقسم بالله أنه لا علم لي بذلك...، أما وقد عدت إلى وطني وعشيري التي رجني البقاء وبما أن عائلتي وممتلكاتي لديكم في ممتلككم فإني التمس عطفكم لتقبلوا اعلافي غير التعريف، سيدي اللواء حاكم ولاية قسطينة أنه أذن لأهلي بالعودة إلى الديار مع الرعاية والحماية للأشخاص والممتلكات دون عائق...، اني كما تعلمون مواطن من الشرق، أجيزه الظروف على الفرار والاحتماء بكم ولاشيء يني وبينكم الأم عليه ولا مصلحة لكم في أنعتني»²⁰.

أما بالنسبة لمن بقي داخل الإيالة فإنه بالرغم من الأمان الذي أعطي لعموم السكان فإن عمليات الزجر لم تنقطع، لقد اتقم الفراشيش أما انتقام من جلايدهم إلا أنهم عانوا - بعد فشل الانتفاضة - ألوانا شتى من الاضطهاد فقد تابع الجنرال رستم عملياته العسكرية في غربي الإيالة وواصل فرض المغارم ومصادرة المكاسب والحكم بالإعدام على من يسميهم بالعصاة، ولم يكنه ما سلطه من ألوان العذاب على الناس في الجهة بل قد زاد على ذلك بأن وجه في شهر أفريل 1865 لباردو بين 250 و 300 من المشايخ وفي اعتقالهم السلاسل وفور وصولهم فرشوا للعصا ونساء الحرم ينظرون إليهم من شرفات القصر²¹، وومات منهم بسب الضرب الذي لا تحمله القوى الحيوانية علي بن عباس شيخ تالة، خرجت روحه قبل كمال عدد الضرب فكمّلوا الغدد بضرب شلوه وهو ميت وومات بعد الضرب الحاج مبارك

1 - المصبر نفسه، الوثائق نفسها

2 - انظر:

A.O.M ; Bobine A2 ; Carton ; 25 H2Dossier2

3 - عتاج مرجع سابق ص 57 - 60

تسبح الطريقة (الرحمانية) عادة ولم يسمع منه حال الضرب إلا قوله «يارب يارب» يكررها إلى أن يفضي عليه، ويخرج صالح بن الشلي من بيوت القراشيش أولاد علي بن مبارك¹.

وأهم حالة التشكيل التي ينهضها رستم تجاه العامة في الجهة عمت الناس حالة من الحروب ما أدى بالعديد منهم وخاصة في منطقة الوسط الغربي إلى الهروب إلى الأراضي الزراعية للاجتماع مع العش والتكثيف والمصادرة التي أجبرها رستم بإثنا وعلي باقي في قنصهما لشور وسلاطنتهم على الحدود وهو ما ختم على العديد من القبائل والبدو وغيرهم للسرعة بالحروب حال سماعها بتقدم الجيش تجاه مناطقها وهو ما حصل مع أحد البدو وغير من الحوافظ وحين فربوا من أمانتهم وقت خروج الأعداء المتصورة.²

وأهم عمليات الزجر التي طالت العديد سواء بالسجن أو القتل فإن الكثير من العروش والقبائل التحدت إلى المعالجة الغربية، ففي رسالة من أحد عمال القراشيش علي الضعيف من مبارك إلى مصطفى حرنقار بتاريخ 19 صفر الحير 1281هـ، ذكر أن عرش الحوافظ من حين رفعت مستجيبهم لم يقدم لنا أحد منهم ولا زالت أينا اعطال فيهم للقدوم فامتدوا وورد عنا أن علي الخيزري قائد أولاد يحيى أراد حثان ابنه فتوجهوا له الحوافظ وأراد الدخول منه في عمالتهم لكن سيدي حاكم بلر تيسه لم يقبلوا أحد على ما ورد عنا وأما القياد والاعراض كخافين الناس عندهم.³

كما أن آثار الثورة لم تكن وحدها من العوامل التي جعلت قبائل القراشيش تنفرد في الانحدار سواء في اتجاه الجهة الغربية أو في اتجاه الجهة الشرقية أو بلاد الجربند، فإن العوامل الطبيعية بتدورها كان لها انعكاس سلبي على حياة القبائل الاجتماعية والاقتصادية وهو ما تبينه من خلال وسائل القيادة وتطويعها إلى السلطة المركزية فقد تعددت عبارات «إن العام يحتاج من النعمة»⁴، «وان الناس لما حل بها الجوع وقلة المزرعي لحيواناتها حصل لها الملل والفلق»⁵، «وليتكون معلوم السيادة ان بلادنا الطعام بها قليل»⁶، وتعرف سيدي أن بلادنا لم ينزل بها

1 - ابن أبي الصنف، مضمهر صديق ج 6، ص 34.

2 - أورد السليمان التليغيني استنوخ 512 ملف 223 الوثيقة عدد 136 بتاريخ جلبي سنة 1865.

3 - المصنوع نفسه استنوخ 18، ملف 190، وثيقة عدد 15192، بتاريخ 19 صفر سنة 1286هـ.

4 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15286، بتاريخ 14 ربيع الثاني سنة 1283هـ.

5 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15289، بتاريخ 9 جمادى الأولى سنة 1283هـ.

6 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15306، بتاريخ 25 جمادى الثانية سنة 1283هـ.

مطر أكثر من عام وبسبب ذلك تفرقت الناس، وحررت قابليتها بالوطن ومالت بعض المواشي من الجذب الخلال بالبلاد⁷، والحيوانات صارت ضعيفة... لليلة العتبت فرعى الحيوانات⁸، «والأول الناس في أشد العسر»⁹.

وبالتالي فإنه نتيجة حالة الخدم والفقح التي ضربت المنطقة في منتصف سنوات القرن التاسع عشر، إضافة إلى عيب المعظم التي فرضت على الناس اثر ثورية علي بن محمد تفرقت قبائل الوسط الغربي في البلاد، وهو ما تبينه من مكاتيب عمال القراشيش إلى السلطة المركزية حيث تحد أن علي الضعيف بن مبارك يصف الحالة الكارثية التي بات يعاني منها الناس أمام الخناج والبيوت على تحصيل الجباية بقوله: «... كما لا يخفى علىكم السعيد حال الناس وما هو حال بها من العسر وبعضها لأن كافة احوالنا الآن تاركون حربي تغزو بقرب الخريد لاجل باب المعيشة وأما وطننا لم يبقا به أحد سوى زمالتنا بحيلة لأن لم اربدت بخلاء هاتئ القعدة»¹⁰.

كما أن الاختلاف في اغني المسلط على قبائل القراشيش خلافا لحيواتهم من القبائل الأخرى المخاورة لم كان من العوامل المساهمة في هروب الناس وتخليصهم وإزاء ذلك راسل عامل القراشيش سليمان بن أحمد رستم وزير العمالة بتاريخ 29 جمادى الثانية سنة 1283هـ، قائلا: «وقال من حبات السيادة أن يكون الاتفاق في خلاص من أراد ان يذيق الفرائص مثل الاتفاق مع حيواسا من العروش مثل ماجر وورشان وغورهم ويكون عملنا عليه وإن حل اناسا دخلت ناحية الغرب مغرقة لعدم وجود الطعام بالبلاد»¹¹، «وباريخ 13 شعبان 1283هـ راسل السلطات عددا قائلا: «... وكما لا يخفى السيادة احوال الناس الآن من الافتراف لاجل المعيشة والاحتياج وما حل بهم من الوقت والعسر فالذي تعدوا خلصوا منه ومن لم تعدوا يعرف به السيادة والان لم يبق بالوطن أحد فعلمهم من دخل تواحي ارفضة ومنهم من دخل إلى تلك الناحية (الجرار)»¹²، لكن مع احتياج الناس وحوارها أولاد يحيى من ماجر وورشان يستخلصون على سعر الماشية الواحدة خمسة وثمانين ريالاً سعر وبها الفصح أربعة

1 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15349، بتاريخ 12 ربيع الثاني سنة 1283هـ.

2 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15350، بتاريخ 24 جمادى الأولى سنة 1283هـ.

3 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15355، بتاريخ 4 جمادى الأولى سنة 1283هـ.

4 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15313، بتاريخ 11 شعبان سنة 1283هـ.

5 - المصنوع نفسه الوثيقة عدد 15306، بتاريخ 25 جمادى الثانية سنة 1283هـ.

وعشرين وسعر وية الشعير عشرة ريات فوقع عندها التشويش مع اننا وطن واحد وما حل
نعم من العسر والاحتياج نحن مثلهم وزيادة¹⁹.

كما كاتب نفس العامل الوزير رستم بعد شهرين تقريبا بتاريخ 26 شوال
سنة 1283 هـ عا يلى : ... لما اتانا الاذن العلي في خلاص رمام العشر اعمل عملنا شرعا
واجتهدنا فيه ووجهنا اولاد واحد وعشرين الفا وثانيا اربعة الاف يد وحق سيدنا جلها
تسلطها من الغير عن نفسي ان الناس حلها تفرقت لاجل المعيشة الى تلك الناحية (الجزائر)
وينواحي افرقية لما حل بلادنا من الجوع وعدم الطعام ومن له سعي مات من الجهد ان
بلادنا لم يعل لها مطر اكثر من عام الى الان ولم ينبت لها عشب والناس في عسر وشدة²⁰.

في ذات السياق كاتب عامل الفرائشيش الصغير بن مبارك الوزير رستم بتاريخ 15 ذي
القعدة سنة 1283 هـ والذي جاء فيها قوله : وان لا يخفك حال هذا العام وقلة المطر ببلاد
اعلنا وقلة العشب والناس الحالها الوقت وكانوا اعلنا اولاد ناجي واولاد وزال نازلين بوزيقه
وعاتر البحر ونواحيهما واشتد عليهم الحال والان اتوا ضاعين ونزلوا بقسونه (فوسانة)
والفقرين فاصدين ببلاد افرقية ونواحيها بقصد المرضي لان الناس في اشد الدرك²¹.

وامام تزايد عمليات الهروب تجاه العمالة الغربية عملت السلطات التونسية على مع
العديد من القبائل من حق العودة الا بعد استصدار اذن من السلطات المركزية وهو ما ذكره
محمد العيد بن صبيدة في رسالته الى الوزير عجز الدين والتي جاء فيها : «هو اتاني التفر
اعدد خمسة لما اتا بوطن الفرائشيش وذكر لي انه في جماعة من عمله من المذكورين ومن غيره
اكتله من اولاد وزال والان نازلين بقرب الحدود ومنهم من هو بجوار ورغة ومنهم بجوار شارن
ومنهم من لازال بساقية سيدي يوسف على اطراف الحد العربي وطلب منا نكاته بالدخول
هو وجماعته الدين بدواحل المملكة والخارجين على اطراف الحدود²²».

يسمى ان عمليات الهروب الجماعي للقبائل نحو الايالة الغربية تزايدت نتيجة للحالة
الاقتصادية المتردية وهو ما اثار حفيظة السلطات المركزية الى حد انها طالبت من عمالها في

بلاد الفرائشيش بوضع قائمة اسمية للقبائل التي قصدت الغرب، وقد جاء في احدى الرسائل
ما يلى : «عرفنا الوزارة الحسبية في العام القارظ من توجه من عرشنا اولاد ناجي للناحية
الغربية وحلولهم بعمل تيسر وعرفنا جناب المسام السيد رشيد عامل الكاف في ذلك فاجوبنا
بان نخصوا له جميع من توجه لتلك الناحية بحريدة ميين بما استاء التقاطعين والحمل الذي
استوطنوا فيه... وعرفنا بان اكثرهم نازلين بحكم القايد التلمساني بن احمد شايوش بعمل
تيسر ولم يظهر لنا من ذلك شيء فارجوعهم... ثم بعد ذلك توجهوا الناس آخرون ونزلوا مع
الاولين حيث لم يبروا رجوع من الاولين²³».

ونتيجة لذلك فرضت السلطات التونسية منع الدخول من الايالة الغربية دون تصريح أو
اذن مسبق، بعد ان باتت العمالة الغربية ملجأ للعديد من المجرمين والمطلوبين للسلطات وهو
ما جعل قياد المنطقة يتقبلون بالاورامر العلية الصادرة في الغرض²⁴. في حين صدر الاذن
العلي في منع من يدخل من الناحية الغربية من غير تصريح فوقفنا عند الاذن العلي ولم نقبل
اخذ وفي ضمتنا هم كذلك لم يقبلوا احد من رعايا سيدنا... ونحن سيدي ليس لنا الاذن في
مخاطبة حكامهم على ذلك وحصلت لنا مشايعة كثيرة ومضرو لانه جميع من عليه مطالب
او جناية او حق يتحصن بتلك الجهة²⁵.

وبالتالي يمكن القول أنه ونتيجة لحالة الزجر والتعزيم التي انتهجتها سلطات والبايليك
اتذكار ضد القبائل سواء في الساحل اوقى المناطق الغربية جعل العديد من العروش الحدودية
وخاصة في منطقة الوسط الغربي تعتمد الى الهروب والاحتماء بالايالة الغربية هربا من التكيل
ومن دفع الحياة خاصة بعد اشتداد الازمة الاقتصادية اثر حالة الجفاف التي شهدتها المنطقة.

ومما يدل على اصرار الدولة على التكيل بالناس رغم حالة العسر التي كانوا يعيشونها
من أوبة وجماعات وصلت إلى حد أكل لحوم البشر²⁶، فإن والتجيع عروش ماجر قتلها الشر
وان الاعراش تاكل في لحوم الخيل والاحمر (كذا) والكلاب من الجوع²⁷، فإن محمد الصادق
باي لم يتردد في تهديد أعوانه عندما أبلغوه أنه لم يعد هناك ما يجبي نظرا الى الجحاعة التي

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15800، بتاريخ 1295 هـ.

2 - المصدر نفسه، الوثيقة نفسها.

3 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 200، الوثيقة 15232، رسالة وجهها القايد محمد قعيد بن سالم ابنه
قياد الفرائشيش إلى الوزير محمد العير بوعنبر.

4 - المصدر نفسه، صندوق 184، ملف 1042، الوثيقة عدد 09، بتاريخ 1865 هـ.

1 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15816، بتاريخ 13 شعبان 1283 هـ.

2 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15840، بتاريخ 26 شوال 1283 هـ.

3 - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 15890، بتاريخ 15 ذي القعدة 1283 هـ.

4 - المصدر نفسه، صندوق 18، ملف 200، الوثيقة عدد 15708، بتاريخ 1290 هـ.

كانت تعيشها البلاد آنذاك عام (1867) من يائوتي شاكيا يتعاذر الخلاص، لضيقه عند باب داره كناية عن قطع رأسه، ثم قال للوزير بأعلى صوت لسمع الحاضرين من العمال : أنا حكمت بالخصم على الخلاص، وعلى الخدم الاجتهاد في تنفيذ الأمر، وهؤلاء رعيتي، وعلى ثم أحد بلكي في رعيتي¹.

وكان من نتائج السياسة التي اعتمدها الدولة إزاء الرعية إقبال أعداد من الناس على الهجرة والأكثرت منهم ودخلت ناحية الغرب من أجل الاحتياج²، أو نحو طرابلس ومصر³.

وزعم أن قبائل ماجر كانت تقطن في مناطق بعيدة تبعد عن الأيالة الغربية فكان عروشها عربت بلبورها إلى الغرب. وتفرق بعضها في الأمصار خاصة وإن جل تلك العروش كانت قد تاهت من غلغام في ثورته عام 1864، وهو ما شبه من رسالة محمد بن قنيد بن سالم إلى أمير الأمراء الوزير الأكبر سيدي محمد وزير الأمور الخارجية بتاريخ 19 صفر الحيز سنة 1295 هـ، والتي جاء فيها قوله : «هو أن لنا الناس من ماجر من عرش شقطة كانت لهم أصول متطاولون لثاحية الغرب ووقع لهم المكث بتلك الناحية تارة وهنا أخرى لأجل المتاع اللذيقية كما لا يخفى على سيدي ووقت المسغبة الماضية التي جلت بالمريضة غيرها الله ووقع الفرار من هاته الجهة أكثر من غيرها حتى انتشر أهل هذا الوطن في سائر الاقطار كمصر وغيرها ثم إن شقطة للذكورين رجعت منهم اناس إلى وطن ماجر⁴»، وبذلك يمكن القول أن بعض عروش ماجر اجتازت الحدود الغربية والشرقية هربا من حالة الفرج التي سادت الأيالة آنذاك بعد فشل الانتفاضة وربما كذلك خوفا من سياسة «البليكة» التي قد

١ - ل. ر. أ. المصنف: المصدر السابق ج 5، ص 107.

٢ - أ. و. ت. السلسلة التاريخية، صندوق 18، ملف 199، وثيقة جدد 15307 و 15313، بتاريخ 1860.

٣ - يشير في الرأفة التونسي، اسم الأربعة الناصح عشر من محرم افرام سنة 1287 هـ الموافق لـ 20 أبريل 1870 م. خارج صادر عن الوزير الأكبر مصطفى خردا، إلى التونسيين المفلوج وإلى محمد الطيوس وكيل تونس بمصر وناييه التي وكلاء المال بالاسكندرية وطرابلس وعناية قضا الناس على العمدة إلى البلاد بعد أن هناك الاوضاع باستتال الأمن وهذا دليل على أن الهجرة إلى الخارج كانت مضمرة أيضا. وقد جاء فيه مايلي : «بسي الحاج محمد الطيوس وكيل للعلم الأرفع مولانا وسيدنا، أم عزه بمصر عروسه الله تعالى لها بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من رعايا الدولة التونسية نغفلوا إلى السكتي بمصر وعملها وذلك لما وقع بالمملكة التونسية في 13 المحالفة من النقص في الأموال والنقص والضرر ولما زالت بحمد الله جميع الأشخاص التي جعلتهم على التفتل وامتنع حال المملكة على اسم العاقبة والرخاء ضد الآن العلي بن () بمنازل التسلط من رعايا الدولة التونسية بذلك وقروضهم على الرجوع إلى أوطانهم وتعلموا بذلك سائر نواحي مصر حتى يصل العلم به جميع المتقنين وعرفوهم لا يخشوا من أوطانهم لأن مولانا وأم عزه تعاضد عن الرجوع لوفقه لتجنيده في قروضهم على الرجوع ولا يؤمنكم لو كسب في بطل المعيد في مثل هذا الأمر المهم ومنهم محض الله والتسليم»

٤ - أ. و. ت. السلسلة التاريخية، صندوق 18، ملف 202، وثيقة جدد 15827.

لتهيجها الحكومة تجاه أرواق عروش ماجر خاصة وأن الفرائش عانوا - بعد فشل الانتفاضة - الوابة شتى من الاضطهاد على أيدي دولة، على أي مثل مصادرة الممتلكات والتفتل والتعديب والسجن...^١، ويستند في ذلك إلى الجداول البيانية التالية التي توضح ممتلكات بعض من عروش ماجر التي تعرضت للنهب حال احتيازها للحدود الغربية من طرف قبائل «الغزاية» أثناء ثورة علي بن غلغام سنة 1864 م. وهو ما يدل على أن عروش ماجر ليست بمستوى حالة الفقر التي صورها بعض المؤرخين وأن ثورة علي بن غلغام سنة 1864 لم تكن ثورة فقراء اهكتهم الجوع بقدر ما كانت ثورة على سياسة الباليك خاصة أن عروش الوسط الغربي لم تكن بمعزل عما يجري داخل الأيالة وخوفا يؤكد في ذات الوقت أن الثورة كانت امتدادا لحركة ثورية انطلقت عند بداياتها من الجنوب وبالتحديد من جهة «الأعراض» لتشمل تدريجيا كلا من جهة الوسط والشمال الغربي ثم مدن الساحل وصفاقس^٢.

ولئن كان الشقاطة يستقرون في وطن ماجر^٣، في مناطق جليليان ومحررة وجبل سيدي علي بن أم الزين صيفي وشوي^٤، فيبدو أن حالة المرح التي جددت أحيان ثورة علي بن غلغام دفعتهم إلى الهروب بالعامهم إلى ناحية الغرب اسوة ببقية العروش من الفرائش خوفا من سياسة «البليكة» التي اعتمدها الوزير رشم، كما أن سياسة تجني المشطة التي انتهجتها السلطة المركزية تجاه سكان البوادي ودواخل البلاد عن طريق عمالها الذين عملوا على تفجير القبائل بعد أن اغفلوا كاهلها بالضرائب كانت من العوامل الدافعة إلى الهروب نحو أماكن أخرى بعيدة تبعد عن مضارب القبيلة الأصلية.

كما هو الحال بالنسبة إلى عروش الحيلان والتي كانت تقطن بسيدي بوجبل وجبل معيلة^٥، أما عروش الفاد وتاغوت من الفواد فكانت تتشجع بمناطق البشتية والشماط والواجير صيفي وشوي^٦، أما أولاد سهيل فيستقرون بمناطق العقيب وعين الخمايسية ووجه معيلة^٧.

١ - التونسي، انتفاضات الفلاحين، مرجع سابق، ص 145.

٢ - الماجر (الأضر): قبائل ماجر والفرائش، مرجع سابق، ص 415.

٣ - أ. و. ت. السلسلة التاريخية، صندوق 18، ملف 202، الوثيقة جدد 16827.

٤ - المصدر نفسه، السلسلة (أ)، صندوق 199، ملف 3 / 3 سنة 1889 م الوثيقة عدد 5 - احصاء ورشادات عامة سوق الفرائش وناحرة.

٥ - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 11.

٦ - المصدر نفسه، الوثيقة عدد 17 و 18.

٧ - المصدر نفسه، الوثيقة، عدد 33.

أما السامغة فيسكنون بالهرا وحيل بولاحاش⁽¹⁾، في حين أن السامغة حجاز فيقطنون بتاملي
العيون الحمر ووجه بولاحاش⁽²⁾، وبالتالي يمكن القول أنه نتيجة للثورة بعد أن شاركت
عروش ماجر إلى جانب علي بن غلام في الثورة فإنها بعد فشل الثورة فرت معه إلى العرب
وحتى أن عروش ماجر، وحين كانوا بالعمالة الغربية جعلوا عليهم شيخاً للبلاد المقاتلة
على عادة الأعرش⁽³⁾.

وبذلك يمكن القول أن حالة «المرج» إبان الثورة وقتلها جعلت العروش تفر وتفرق في
الأمصار وما وافق عملية التنقل الجماعي للمرق من مصاعب ومتاعب على الطريق وهو
ما جعل بلاد الفرائش وماجر شبه خالية من الناصر، إذ اهلنا بالفرائش كلهم رحلوا
بالفرقة لم يبق أحد بالبلاد أصلاً سوى زمائنا قدر العشرين بيتاً وبقا السوي عامم البيع
والشراء بحيث أن بعض السكان من قرية تالة رأبدين الرحول فاصدين بواحي افرقية⁽⁴⁾،
ووقفت حلول الخطة المتصورة بالله تعالى وكان في ذلك الوقت عروشا فروا من بلادهم ناحية
العرب⁽⁵⁾، وهو ما يؤكد ادمون بليسي ذي رايوا الذي زار المنطقة في أوساط القرن التاسع
عشر يقول: «وكان ما يدل على وجود الحياة قد زال في هذه الجهة للثورة، إذ من السادر
أن يسمع بها طنين حشرة أو زقزقة عصافير»⁽⁶⁾.

وقد عبر عمر بن غزني الثاني أحد شعراء السامغة من الفرائش عن تشرد جموع
الفرائش وماجر وعن المأساة التي عاشوها - والذي عاش على ما يبدو خلال النصف
الثاني من القرن التاسع عشر - حيث أرح بطريقته الخاصة عن علو مجال الفرائش وماجر
من الناس أثناء سنوات المساعب والأزمات بقوله:

1 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 19

2 - المصدر نفسه الوثيقة عدد 23

3 - المصدر نفسه ص 16، ملف 202 الوثيقة عدد 15827

4 - المصدر نفسه ص 16، ملف 199، الوثيقة عدد 15363

5 - المصدر نفسه ص 164، ملف 1942، الوثيقة عدد 35

6 - التجميعي الثقافي الفلاحين - مرجع سابق ص 19

ماذا وماذا الفرائش ذلك على...^{***} ونجح الفرائش شرق وقعدت بلادهم على
وماذا وماذا...^{***} على لحن زور قعدت بلادهم قساراً⁽¹⁾

ويمكن القول أن هروب قبائل الفرائش وماجر من مضاربهم إلى محلات قلية بحارة
أو نحو الأيالة الغربية ونفرتهم في الأمصار احتفاء من تجاوزات الاعوان المحليين وتجاوزاتهم
كان من العوامل التي جعلتهم ضحية سهلة في مشاغل عروش والغربة التي اغتصت الفرصة
لتكثف من عملياتها الإغانية تجاه اللاجئين.

فعروش ماجر اموة ببقية عروش الوسط العربي كان النشاط الرعوي هو الغالب على نشاط
حياتها اليومية حيث كانت لها ثروة حيوانية متنوعة ارتكزت أساساً على تربية الأغنام والتي
تراوح عددها لدى بعض العروش بين 1500 إلى 21000 رأس والماعز والأبل والبقر والخيول
والبغال والحمير⁽²⁾، وبالتالي فإن هذه الأعداد المهيولة من رؤوس المواشي تؤكد أن عروش
ماجر كان نشاطها يعتمد على تربية الماشية وأن ما تحب لها ليس مبالغ فيه ونسند في ذلك
إلى الجداول الثانية والثالثة التي توضح ممتلكات بعض من عروش ماجر التي بقيت من طرف
الغربة، أثناء هروبهم إلى الإيالة الغربية، وهو ما يؤكد أن ثورة 1864 لم تكن ثورة جياح
كما صورها مؤرخي البلاط الحسيني، بل كانت ثورة عروش المحكها الجباية وجور العمال.

1 - ذكر هذه الأبيات عبد الحليم اليساوي المقاومة المسلحة بالوحدة الغرين متلصة الثورة الفلسطينية للفنان
علي من غلغلة 1988، المندوبة الجهوية للشؤون الثقافية بالقصور ص 12 - 16، وذكر الأهرار للناصري
أن القديس الثمين استهوا ببلاد الفرائش لذلك دعا قسروهم من صعد والساح حرات من صعد النقيب
الناصري (الأهرار) قبائل ماجر والفرائش - مرجع سابق ص 80 - 81

2 - أوت، السلسلة التاريخية، صندوق 213، ملف 248، الوثيقة عدد 1 «وذكر يعقوبي ما يريته العروش
الجزائرية من العروش التاريخية على الحدود الغربية - 1864 - 1865» وزارة الأعمار الخارجية

3 - ما يهبطه العروش الغربية إلى قبائل ماجر سنة 1281 هـ / 1864 م¹

جدول عدد 1

اسم العرش : الشخص ما تهبه العروش الغربية إلى الشقفاطية من ماجر سنة 1281 هـ / 1864 م في السنة المذكورة دخلوا فريق من الجمالته إلى الجمالة الغربية فتوجهوا لهم لإزالة بحيا والتعطلة والبركة كما سيأتي بيانه ²			
الأشياء المنهوبة	العدد	ثمن الأشياء المنهوبة ريالات	جملة ثمن المنهوب ريالات
اسل مقويه (٦) سعره (الجيدة 10)	320	98500	
خيل بسرجه (١)	110	55000	
أبقال مالبراج	80	18000	
غنم	7252	72520	
مقر	220	16500	
خصير	70	3500	
جمال (أناجيه)	150	4500 ثمن الجمال والجارية المذكورة غنم	
بيت شعر صوف يائله (أرابي ودراي ³) وأقطعة سعر البيت 500	200	100000	

١ - المصدر نفسه
٢ - المصدر نفسه

٣ - الجاوي أو الجوة : برقة الجمل يلتصق من الخشب والخلف بسرعة تصنع من الصوف والشعر وتعل بالتي
التسريح : وهو البركة التي توضع على الجمل قبل ركوبها ويطلبها انكار من الخلد يلتصق حول حصى الفرس
ويكون عدة ملأها وملأها بعدة الدنان ويتلفس الفارس به
٤ - درايل جمع درافة : ثقل من الصاوي أو الصوف يلتصق الخيطة إلى الصنم

لعام : ما قيمته 50 خيل (١)	قبح القفيز ماجي (١)	12 1/2	5000
	ما يعبر القفيز ماجي	25	
لباس والثا	قطيفة	115	48000
	سفساري	190	8600
سلاح : مكحل حلوال مقارن قريبليات فليليات		205	10250
		106	2650
			15000
		25000	25000
الفتى : رجال		6	9800
			495120

١ - الجمل : ما يحمل على ظهر الإبل ويقدر بغرابين أما بخصوص قيم القفازة : والجمل فهي مختلفة

٢ - لبس الرديف القفازة صنعتها خمس فليات ونصف : القفلة : مكحل للخيوب والمواد الجافة وهو عبارة عن فلة
مضبوطة من الخلف أو من الجدي أو الخيل مضبوطة 20 ثلثا نصفه عاملة أي 110 ثلثا والجمل : غرابان
٣ - 220 ثلثا للفرزد أنظر : الفرة : مرجع سابق ص 254 - 255

٤ - القفيز : وحدة كبل حسابية تساوي 16 وحدة النوبة : الكوبال الذي يستعمل كمعيار شرعي وهو المرجع
يعطي للنوبة قيمة 180 40 لثرافي حين تعد المعاملات التجارية بالثلاثين والثلثين لثرا ونصف (32 50 لثرا)
أو 192 صاعا. معياره القانوني يساوي 842 88 لثرا 40 180 16 40 لثرا أي حوالي 6 هكتار ونصف والقفيز اليابسي
يساوي 1280 كغ وفي لغة القفيز يساوي 1600 كغ والنوبة 100 كغ للفرزد أنظر : فرزة مرجع سابق ص
252 253 254

الاسم : ما نهيه المذكورين (أولاد بحياا لفریق الجبلان من
شقة طمة 1281 / 1884 م كتا سياني بيانه⁽¹⁾

الاشياء المنهوية	العدد	ثمن الاشياء المنهوية ريات	جملة ثمن المنهوب ريات
ابل :	65	97000	
اجمال :	250		
باجوايه	150	75000	
خيل	50	15500	
ايقال بالبراع	4300	58000	
عشع	1500		
فاعز	300	22500	
مقر	150	7500	
حصير	65	20600	
غيمة بالاثها			
طعام :			
40 حمل	14 + 8.1% حمل شعير 3.1% فغير باحي	1650	
لباس			
واثا			
سعداري	40	16000	
برنوص	90	3600	

1 - أوث السلسلة التاريخية، صندوق 213 ملف 240. وثيقة عدد 1 «دفتر يحنني ما نهيه العروش الجبلانية
من العروش التونسية على الحدود الغربية : 1864 - 1866 - وزارة الأسر الخارجية

سلاح :	مكاحل طوال	162	8100
	مقارن		
	أقربايل		
حلي	حلي مختلفة		9000
فضة	أزواج حداب		
عمل	أزواج		
تونس :	أقراص		
رسالات تونسية		15500	15500
القتلى :	رجال	4	7200
	(وأخذوا ما عليهم)		
			36 71 50

اسم الثمن : ما الخدود أو لاد بحيا والمراكشه والتماشيه الفرويق
الديبات من شططة 1281 و 1054 م كما صياني بيته (1)

الاشياء المنهوبة	القيمة	لغن الاشياء المنهوبة ريلات	جولة ثمن المنهوب ريلات
عمال	50	92500	
بالخوابه	250		
غير	90	45000	
بالبراق	60	18500	
غنم	6025	60250	
بقر	200	15000	
عصير	60	3000	
خبيصة بالانه	90	32400	
لغلام 90 حمل ولسن التعديل 100	15	5550	
شعير الغنم 7 %	7 %		
لباس واثك	70	28000	

1. المصير للثمن
الاعتقل : فلما منسوبة من المقتاد أو جاع لظلة منسوبة أو شرارة قتل على حسب التعيم وتعقد بأعزى
وتعقد قيس الامتثال من منسوبة إلى أفسر
في حرة من لوزان العدل 5 وملك شعير 500 لدر والعدل 4 وملك فصح 150 لدر
في المنقلب المستكية منسوبة إلى قيس إلى أفسر المصير العدل بتسوي بتسب لشرارة 5 وملك 250
لدر القدر شرارة مرجع سبيل في 250

سلاح :	مكامل مطوال	245	12250
	هقار		
	لوزان		
حلي فضة عمل تونس :	خلاخل 100	(منسوبة)	11000
	خلا		
	حدايه		
	أحراس		
رسالات تونسسية	22200	22200	
القتلى :	رجال	4	6400
			351650

• خلاخل جمع خلاخل : قطعة من الفضة أو الذهب ليمسها للراة في الرجل وتكون في شكل حلقة

جدول عدد 6

اسم العرش : في سنة 1281 هـ 1864 م غار الشيخ ابراهيم الخليل
ومن معه من اولاد يحيى على فريق القاد من عرش ماجر حين دخلوا العمالة
العربية وقت الهرج (بان ثورة علي بن شاهين) ونهبوهم كما سباني بيانه (1) كما
شارك في نهب الفريق المذكور محمد التيسي (2)

الأشياء المنهوبة	العدد	ثمن الأشياء المنهوبة	جملة ثمن المنهوب
جمال	25	46250	
بنحوايه	125		
ابل	55	43700	
خيل	70		
أبقال	20		
غنم	1870	26000	
ماعز	730		
بقر	213	15975	
حصير	45	2250	
بيت بأثاثه	32	16000	
طعام : 215 غراره (1)	فصح (فيل) شعير (فيل)	20 % 8 %	5862 1/2

- 1 - أوت - السلسلة التاريخية. صندوق 213 جلف 246 الوثيقة عدد 1 «دفتر إحصائي ما نهبه العروش الجزائرية من العروش التونسية على الحدود الغربية» 1864 - 1868 «وزارة الامن والمخارجية»
 - 2 - المصدر نفسه
- «الغزارة» وبناء يصنع يدويا بنسج الصوف وشعر الماعز بعد غلطهما مع بعضهما لم تحاط في شكل كيس يستعمل عادة لنقل الحبوب

لباس والأثاث	ستسماري نسواني	55 ⁽¹⁾	4 000
	برنوص	45 ⁽²⁾	
سلاح :	18 قطينه	21 + 18 ⁽³⁾	9510
	21 درقة		
	مغرون	85 ⁽⁴⁾	5000
	قربليه	15 ⁽⁵⁾	
	روح طباكه		1050
	سيف	25 ⁽⁶⁾	625
حلي فضة عمل تونس :	خلا	(مختلفة) ⁽⁷⁾	9000
	حدايد		
	أخراس		
رسالات تونسية		7585 ⁽⁸⁾	7585
الغسل :	رجال	5 (واحدوا ما عليهم من السلب)	9000
وحاء		20 ⁽⁹⁾	560
183367 1/4			

(1) المنهوب الذي أعده محمد بن مصطفى التيسي. أوت، السلسلة التاريخية. مصدر سابق

اسم الـ رش : في عام 1281 هـ جسدوا أصل نسبه عن فريق أولاد سبيل
من قبيل أولاد علي بن عرش ماجر ولهم ما عندهم (1)

الأشياء المشهورة	العدد	ثمن الأشياء للمهوية ريات	جملة ثمن المهوية ريات
ياخوبه	27	8370	
خيل و أبقال	13	6500	
غشم	725	7250	
ماغز			
بقر	34	2550	
حصير	14	700	
بيوت شعر بأثاثها	8	2880	
طعام :	3	2380	
19 حمل	1 %		
لباس	7	2800	
وأثاث	18	640	
سلاح :			
مكاحل	11	600	
مقايير			
قربيلية			
حلي فضة عمل		2250	
توتن :			
حله			
حدايد			
أخراف			
ريالات تونسية	1700	1700	
القتلى :	1	3600	
رجال	1		
نساء	1		
			42220

1 - أوت - المسلسلة التاريخية - المجلد 213 ملف 248 الوثيقة عدد 1 - بفسر يحيى ما لبسته العروش
الجزائرية من العروش التونسية على الحدود الغربية : 1864 - 1865 - وزارة الأوقاف الخارجية

اسم الـ رش : في سنة 1281 هـ جسدوا أصل نسبه عن فريق أولاد سبيل
قايه ومن معهم علي فريق أولاد سبيل من العرشية من قبيل ماجر من قبيل
(الأباله العربية) هاربن وقت الفرج وأحمد نعيم النكويين ما سبيل سنة

الأشياء المشهورة	العدد	ثمن الأشياء للمهوية ريات	جملة ثمن المهوية ريات
أبل	150	48500	
خيل	50	25000	
أبقال	25	7750	
غشم	2910	26100	
ماغز			
بقر	190	190	
حصير	60	3000	
بيت بأثاثه	42	16800	
طعام :	10	4442	
76 حمل وغرارة	200	9	
شعير الحفير			
لباس	20	5000	
وأثاث			
حرام	60	منهم ما هو جريد	
برنوص	62	48200	

1 - المصدر نفسه

جدول عدد 10

اسم الشخص : في 1281 هـ، 1864 م. محمد بن الشيخ إبراهيم بن خليل
 المحمدي والشيخ إبراهيم بن بلقاسم بن فريق من أولاد سهيل بن الهوايمية من
 عرش هاجر حين فروا من بلقاسم (إلى الأيالة الغربية) وأخذوا لهم كما سيأتي بيانه 11

الأنبياء المنهوبة	العدد	ثمن الأنبياء المنهوبة ريات	جملة ثمن المنهوبة ريات
جمال	20	41600	
بالحوايه	115		
خيل	27	18350	
بفلة	15		
شحم	3874	38740	
ماعر			
بقر	224	16800	
حصير	31	1550	
جمال			
بيت شعر و صوف بأثائه	27	10800	
طعام : 58 حبل	10	3610	
فصح (قنبر باجي)			
شعير الفيز باجي	4.1% ثمن الحمول		
لباس وأثاث	17		
فطيفة	7	10300	
زراعي			
مشمساري	27		
برنوصي	30	2280	

ملاحظات :	مكحله	عدد	عدد
مقرون	72	3600	
مرد جمعه			
مرد طبايخه	45	975	
فلش	35	875	
حلي فضة عمل تولس :	أرواح خلا أرواح حديد أرواح أخراص	0218.1%	
ريالات تولسمية		26542	26542
الفضي :	رجال	5400	3 ونهيو ما عليهم جن اللباس
		249952.1%	

جدول عدد 11

اسم العرش : في عام 1281 / 1864 م جمعوا العبيد والتمسكه عن فريق
الصلابة من عرش ماجور حين دخلوا إلى وطن الغرب وسيلاني بيان ما أغنوه لهم¹

الاشياء المشهورة	العدد	ثمن الاشياء المشهوة ريات	جملة ثمن المشهوة ريات
جمال	95	29450 يا فيه ثمن الحوايه	
خيل	20	12790	
بقلة	9		
غنم	1718	17180	
ماعز			
خمس	18	900	
بيت شمر و صوف يائله اس عسل وزيت وسمن وحوالين احركة العرب	12	4800	
طعام :	4	3320	
26 حمل	2 %		
لباس	18	1720	
واثاث	15		
قطايف	8 سعر الواحدة	400	
درايق	10 سعر الواحدة	110	4300

صلاح :	مكتمل ونقار وتبرهم	27	1350
	طباخه	15	225
	فلش	17	425
حلي فضة عمل تونس :	خلا حدايه أفراص خلوا ²		9000
رسالات تونسسية		25231	25231
			180161

١ - أوت: المسلسلة التاريخية: صديق 213 ملف 248 الوثيقة عدد 1 «نقش وحصي ما شهده العرش
الحرارة من العرش التونسية على الحدود الغربية : 1864 - 1866 - وزارة الأمور الخارجية

« تملقة » تكون غلة من القنينة وهي تشبه حرام المراء

جدول عدد 12

أقيم المسابقة في 1281 و 1284 هـ الموافق 1864 و 1867 هـ في بلاد بعلبك و بعلبك و بعلبك و بعلبك
 في الجبلين على فريقين المتنافسين حين دخلوا حارسين إلى العمالة العربية و بعلبك و بعلبك
 ما أخذوه لهم¹¹

الأنشطة المهنية	العدد	ثمن الأنشطة المهنية	جملة ثمن الفنون وصالات
إبل	140 + 165 حوبه	47900	
خيل	85	59860	
بغال	56		
غنم	3975	39750	
ماعز			
بقر	32	2400	
حصير	184	9200	
بيت شعري و صوف بأثاثه (من آلات العرب و صمن و صمن)	45	18000	
تقاعام : 133 حمل	20	7985	
شعير اقشير ناخي	13.5		
لباس و أثاث	214	11580	
حرام نسواني	75		
برانس و سفساس	214	8650	
زربية	16	8000	

الإصلاح	تكملة وبقا	21	1400
إبراهيم		2	
طائفة		13	105
فلسف		11	275
حلي فضة عمل نومين	حلي فضة عمل نومين		9850
رسالات تونسية		2700	2700
الفتن:	رجال	4	
	نساء	1	
	إمرأة		9000
	و أخذوا ما عليهم من الصلب		
			104255

جدول عدد 14

اسم الك... رش : وفي شهر شعبان الأكرم (بسم الله الرحمن الرحيم) سنة 1287 / 1864 م
 هجموا أولاد ب... عن فريق أولاد ع... وفريق الصغادرة من أولاد ع... وفريق الهرايرة
 من دخلوا إلى المنطقة الغربية وأخذوا ما لهم كما سباني بيانه (1)

الأشياء المنهوبة	العدد	ثمن الأشياء المنهوبة ريات	جملة ثمن المنهوب ريات
إبل	05	19500	
	00	24800	
	125	95600	
عجل	02	46000	
	15	7500	
	06	43000	
أبقار	17	5270	
	16	4960	
م...	104	14550	
	50	3750	
	120	9000	
حصير	55	2750	
غنم	5474	54740	
ماعز			
بيت بثلاثة	34	33600	

جدول عدد 15

اسم الك... رش : وفي عام 1281 / 1864 م هجموا حكام نيسة عن فريق
 أولاد يعقوب من أولاد مساهل وفريق أولاد شعيب وفريق أولاد الشيخ وأخذوا منهم
 ما يلي (1)

الأشياء المنهوبة	العدد	ثمن الأشياء المنهوبة ريات	جملة ثمن المنهوب ريات
سلاح	600	30000	
غنم	160	1600	
			31600

1 - المصدر نفسه
 2 - ما نسب لفريق الهرايرة المصدر نفسه
 3 - ما نسب لفريق الصغادرة المصدر نفسه

اتسم الشيخ: وفي شهر شعبان الاكبر (ربيعا) عام 1261 هـ
 1264 هـ هجروا الثاني عند الله فانه والقائد شيوخ وهم فياء العاصمية على فريق
 اولاد يعقوب وفريق اولاد الشيخ وفريق اولاد شعيب وفريق الديانة وفريق اولاد خيلان
 من اولاد عمران وفريق اولاد موسى من اولاد عيثا جميع ما ذكر واخذوا ما لهم من
 الكسب والجلس والناس كما سيأتي بيانه 11

الأشياء المنهوبة		العدد	لن الاشياء المنهوبة ربايات	جملة لن المنهوب ربايات
اسل	بالقوة	200	62000	
		50	18600	
		243	75330	
		180	55800	
		340	105400	
		300	30000	
جمال	بالقوة	50	25000	
		20	10000	
		142	71000	
		130	65000	
		90	45000	
		172	86000	
أفعال	بالبراع	23	7130	
		5	1550	
		13	4030	
		23	4130	
		33	10230	
		65	20150	

١ - المصدر نفسه
 ما نهب لأولاد شعيب المصدر نفسه
 ما نهب لفريق الديانة المصدر نفسه
 ما نهب لأولاد خيلان المصدر نفسه

عصير

غنم و ماعز

نفس

خيام شعير و صوف يأكلها
 (ما احتوت عليه من عسل
 ونحاس وشود)
 (الخيام اولاد موسى ما
 فبقوم من دوزان نحاس وشود
 وسمن وتسل وكسكسكي
 ومحمدي)

٢ - ما نهب لأولاد موسى المصدر نفسه
 ما نهب لأولاد متاعل المصدر نفسه

4 - التصدي للاستعمار الفرنسي

إن حالة النفوذ بين قبائل الوسط الغربي والسلطة المركزية وما شابهها من نفوذ في العلاقة بين الدولة وعروش الفرائش وماجر، لم تقيها عن الدفاع عن محالها وحمايتها من أي تدخل خارجي، خاصة أن السلطة المركزية كان نفوذها محدودا، وحضورها ضعيفا ومبني على تحصيل الجباية بعد أن اتسعت في أغلبها بالعنف.

لقد اتسمت قبائل الفرائش وماجر في نظر السلطة المركزية بقلة الانضباط وورفضها لسياسة المراقبة بحكم أنها كانت قبائل طرفية، كما أن تحركات العروش في منطقة الوسط الغربي كانت بدورها مصدر مخاوف للسلط الفرنسية خاصة وأنها كانت تتخذ في عديد الأحيان صيغة عنيفة تمثلت في نشاط «الغور» الذي كان يستهدف القبائل الجزائرية التخومية والقبائل التجارية المارة عبر محالها باتجاه دواخل الجزائر.

وبالنسبة فإن تحركات عروش الوسط الغربي في المجال الحدودي بين الأيالتين كانت تشكل حاجسا أميا لفرنسا لارتباطها بظاهرة النزاعات حول الملكيات القبلية من جهة وبعمليات التحيز من جهة أخرى والتي طالما استغلتها القبائل للتحوز على هذه الأرض أو تلك في ظل افتقار الطرفين لمستندات ملكية. ونتيجة لذلك، بدأت السلطات الفرنسية تتحين الفرصة المناسبة لاحتلال تونس خاصة بعد الأزمة الاقتصادية التي ضربت الدول الأوروبية بين سنتي 1873 و 1896، وهي مرحلة ركود وصمت بفترة «الكساد الكبير» وتجلت من خلال تراكم الإنتاج الصناعي وتكدس رؤوس الأموال في ظل غياب أسواق خارجية للترويج والاستثمار، وللخروج من هذه الأزمة الاقتصادية الخائفة كان لزاما على الدول الأوروبية ومنها فرنسا البحث عن أسواق أو مستعمرات خارجية لترويج منتجاتها، وكان ذلك بمثابة الحل الأمثل للعودة للنمو والازدهار، مما يضمن تجاوز الأزمة الاقتصادية، وتقادي وقوع الأزمات الاجتماعية والسياسية¹.

ورغم أن سياسة التحيز التي انتهجتها السلطات الفرنسية تجاه القبائل الحدودية في منطقة الوسط الغربي كانت بمثابة مخطط استعماري ضمن إطار أمني للفصل بين المحليين، في ظل غياب السلطة المركزية التونسية، فإنه كان لزاما على الحكومة الفرنسية ولتعزيز

حلي قبيلة محل تونس	أرواح حلة أرواح خلخال حلي أحمرمة أرواح عنابد أرواح أعراس	أرواح	
		أرواح	أرواح
		أرواح	أرواح
		أرواح	أرواح
دراهم سكة تونس	15066	15066	15066
	6000	6000	6000
ريالات تونس	17635	17635	17635
	8324	8324	8324
	3700	3700	3700
	24000	24000	24000
الفتن	21600	21600	21600
	3600	3600	3600

1 - المجوسي (ع)، انصاف المصالح الفرنسية بتونس تعريب عصر بن صو، حليمة قرفوي وعلي القويص، سبواغ المنشور، تونس 1993، ص 5.

تدخلها في تونس، البحث عن ذريعة في إطار خطة متكاملة وضعها القنصل الفرنسي بتونس «روسطان» (Théodore Roustan) الذي استغل الخلافات بين القبائل الحدودية حول المجال، لتدعي السلطات الفرنسية بأن كل ذلك يخل بالأمن، وهو ما يستوجب ردع القبائل التونسية ومعاقبتها⁽¹⁾، وبذلك وجدت فرنسا في الخلافات الحدودية ذريعة لتدخل جيوشها الأراضي التونسية⁽²⁾.

في الواقع إن مشكلة ضبط الحدود وما أخرج عنها من مناوشات وصدامات بين القبائل التونسية - الجزائرية كانت حوادث مفتعلة، استغلها فرنسا في الوقت المناسب للتدخل عسكريا في تونس عندما أقرت العزم على احتلالها، وهو ما عبر عنه «جول فيري» (Jules Ferry) بقوله: «إن السلم الاجتماعية، هي في العصر الصناعي للبشرية مسألة أسواق...، وإن تأسيس مستعمرة هو بمثابة خلق سوق»⁽³⁾، كما أن السلطات العسكرية الفرنسية بدورها أقرت أن المناوشات الحدودية لا تشكل إلا بعض الخطوة، وأن الأحداث «لا تمثل في نهاية الأمر سوى فرصة التهنأها للخروج من وضعية متزيدة ولتحقيق أهداف سياسية أسمى وأكثر أهمية»⁽⁴⁾.

ولتأكيد هذا المعنى تبين من خلال نص الوثيقة التالية أن فرنسا كانت في حاجة ماسة إلى أسواق جديدة لتصرف منتجاتها والتي جاء فيها ما يلي: «...، فإن أصحاب جنرالالات باريس أخذوا الآن يذكرون دولتهم لزوم إلحاق تونس بالجزائر وقال الكونستيتوشيون إذا لحقت تونس بالجزائر صارت مملكة أكثر ثروة من البورتوغال والبلحيك وبافاريا وهولاندا وهذا الإلحاق خطر ببال دولة فرنسا بمجرد اتمام سكة الحديد من تونس إلى طبرية فباليت شعري ماذا تقول جنرالالات فرنسا عند اتصال مد السكة إلى حدود الجزائر...»⁽⁵⁾.

ولئن التزمت سلطة البابليك ومركزاتها الاجتماعية في الفضاءات الحضرية الموقف السلمي والمهادنة إزاء التدخل الاستعماري⁽⁶⁾، ما عدا بعض الاستثناءات المتمثلة في مقاومة

1 - De La Berge (Albert) ; En Tunisie : Récit De L'expédition Française ; Paris ; Librairie De Firmin - Didot Et Cie ; 56 Rue Jacob ; 1881 ; P3.

2 - Faroua (M) ; La gauche En France Et La Colonisation De La Tunisie 1881 - 1914 ; Edition L'harmattan ; 2003 ; P37.

3 - المحجوبي مرجع سابق ص 172.

4 - المرجع نفسه ص 40.

5 - أ. ت. السلسلة التاريخية صندوق 215 ملف 297 وثيقة عدد 5 بتاريخ 1 شعبان 1295 هـ 31 جويلية 1878.

6 - الشيريف (محمد الهادي) «ردود فعل المدن على الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية في سنة 1881» - بحوث التنمية الأولى لتاريخ الحركة الوطنية سبدي بوسعيد ماي 1981 ص 183 - 194.

صفاقس وقابس⁽⁷⁾، فإن القبائل الحدودية تصدت للجيوش الفرنسية التي وجدت مقاومة عنيفة من قبل عروش الفراشيش إسوة بقية القبائل النخومية، خاصة أن حالة الطمان بين الفراشيش وظلت العلاقات الدموية والمسائل الدينية والرمزية في النصف الثاني من القرن 19 للتصدي لأي خطر خارجي قد يهدد المجال، ومن المفيد هنا أن نذكر أن لواء المهناد الذي رفعه عدد هام من قادة المقاومة، كان فعالا في شريحة عريضة من السكان وكان عاملا موحدا للمجتمع التونسي لمقاومة الاحتلال كإطار للخلاص الجماعي، وهو ما جعل القبائل تتجاوز خلافاتها التقليدية وتلتحم مع بعضها لمواجهة عدوها المشترك لا داخل مجالها الضيقة فحسب، بل أيضا خارج فضاءاتها التقليدية، وقد تجلّى ذلك أيضا في الشعر الشعبي كما ورد في البيتين التاليين :

يا أمّة نبينا *** يا من طالب على الجهاد يجينا

ضامنونا الكفـار *** كان حرتنا قينا العيلة للقطار⁽⁸⁾

وبالتالي فإن الخطاب الديني كان بمثابة المحرك للناس ولم يقتصر على قبيلة دون أخرى بل كان جامعا وهو ما عبر عنه علي بن خليفة التفاني⁽⁹⁾ في مخاطبته للقبائل بقوله: «...، انكم مسلمون لا يجب أن تتركوا دينكم»⁽¹⁰⁾، وهو ما اعتبره المؤرخ التليلي العجيلي بواذر «شعور وطني فطري وجنبي»⁽¹¹⁾ جعل مصلحة البلاد فوق كل اعتبار.

وبذلك يمكن القول انه ورغم السياسة القمعية التي انتهجها المخزن وأعدائه المحليون تجاه قبائل الفراشيش، ورغم الصورة السلبية التي ألصقت بالمجموعات القبلية عموما وبالفراشيش

1 - العبادي التوفيق «المقاومة الصفاقسية للاحتلال الاستعماري في سنة 1881 - المرجع نفسه ص 127 - 154.

2 - لشاعر مجهول للصدي أنظر: بلحولة (محمد علي) الجهاد التونسي في الشعر الشعبي مائة عام من تاريخ تونس مطبعة لأفاد العلم التونسي للشغل 1978 ص 58.

3 - ولد علي بن خليفة بن راشد بن محمد التفاني بنشر علي بن خليفة «ولاية صفاقس خلافا» في ح. عام 1804. ودرس تربية العلاقات البدوية المترفة حيث كانت عائلته تنقل باستمرار - بحكم وظائفه ومناصبهم - إلى الحينة الحضرية في المدن والقرى ثم تستقر في مواسم معينة في البادية حيث تعيش بدوية مع الأبل والخيول والأغنام وبين محاسن الشيوخ تنبع علي بن خليفة بشخصية قوية وكان العلماء الغربيين له للزبد انظر: بنوسي (محمد) قيادة المقاومة المسلحة في البلاد التونسية عام 1881 ك. العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس 2012 ص 81 - 82.

4 - أ. ت. السلسلة التاريخية صندوق 215 ملف 297 وثيقة عدد 58 مراسلة من علي بن خليفة التفاني بتاريخ 20 شعبان 1278 هـ 18 جويلية 1881.

5 - العجيلي الطربق الصوفي - مرجع سابق

تعد هذا حيث ركز الخطاب الرسمي للسلطات الاستعمارية الفرنسية والسلطة المركزية بتونس على مفاهيم الفساد والهرج، والخروج عن الطاعة، فإن المجموعات القليلة لطلما عوت بعنق عن خلاف ذلك من خلال تمسكها باتسائها للأرض والمركز، فمعد وصول حور دخول طاوور فورجمول (Forgemol) الأراضي التونسية ضحت قبائل الفرائشيش، ونددوا بموقف الباي واعتبروه حالاً وقروا عصبان أومره للتشلة في عدم التصدي للقوات الفرنسية⁽¹⁾، وقد تجسد ذلك من خلال تصديهم لرحف القوات الفرنسية على البلاد التونسية عام 1881، حيث قاتل الفرائشيش الجيوش الفرنسية باستثناء البعض من أولاد وزاز الذين استطاع قايدهم علي الصغير حرمهم إلى الاستسلام السريع للفرنسيين⁽²⁾، كما وقف إلى جانبهم في كل المعارك التي خاضوها ضد الثمردين التونسيين⁽³⁾، فقد عملت بقية القبائل على وضع خطة موحدة للتصدي للجيوش الفرنسية، ففي يوم 19 أوت 1881 انعقد اجتماع ضخم بمسيلة (مبعاد مسيلة) جمع بين عدد كبير من قياد ومشايخ وأعيان قبائل ماجر والفرائشيش والحمامة وورنان وأولاد عيار وحلاص للتباحث في طرق تنظيم المقاومة⁽⁴⁾.

وخلافا لعلي الصغير قائد أولاد وزاز والحاج قعيد فايد أولاد علي الذي يلتزم الحجاب ونظرا لتقدمه في السن⁽⁵⁾، فإن قايده أولاد ناجي الحاج حرث بن محمد⁽⁶⁾ كان من المتحمسين لمقاومة الغزاة⁽⁷⁾، وقد قاد مع محمد بن يونس أفين من المقاومين بين خيالة ومشاة مؤلفين من عروش ماجر والفرائشيش والزغلة أثناء معركة حيدرة التي واجهوا فيها قوات فورجمول والتي استمرت كامل نساء 17 أكتوبر 1881، وقد خلقت عشرات القتلى من ضمنهم القائد

- 1 - الحماص، مرجع سابق ج 1، ص 164.
- 2 - التيمومي، انتفاضات الفلاحين - مرجع سابق ص 146.
- 3 - الحماص، مرجع سابق ج 1، ص 164.
- 4 - العجيلي، الطرق الصوفية - مرجع سابق، ص 121.
- 5 - الحماص، مرجع سابق ج 1، ص 164.

- 6 - ولد الحاج حرث بن محمد بن صالح بن مبارك بن أبي الطيب بن محفوظ سنة 1815، ينسب إلى عائلة بالطيبي من أولاد محفوظ المستقرة بفوسانة من ولاية القصين حاليا. كانت عائلته من العائلات الرميلة في الجهة وكان تسيطر قبيلته بركيز على تربية اللحية وأتلك فيها كانت كثيرة التنقل والترحال خاصة بالحدود الجزائرية وجهة الشمال الغربي التونسية. لقد تولى الحاج حرث في بيته بتدوين الكتب كثيرا في شمسونه ومن أهمها الفتوة والشهامة والكرم والحافضة في الدين وهو ما طبع سيرته بصفة الاستقامة ما جلب له حب أفراد القبيلة معطيت استغلا محمدا للزواشي عن بقايسه مشقة وأوردها في كتابه صراع مع الحفاينة تونس. دار الكتب الشريفة 1973، ص 163، وانظر أيضا: تيمومي، مرجع سابق، ص 40 - 41.
- 7 - التيمومي، انتفاضات الفلاحين - مرجع سابق، ص 146.

محمد بن يونس، إلى جانب العديد من المرحى⁽⁸⁾. ويوم 18 أكتوبر 1881، هاجم أولاد ناجي قرية تالة التي هادنت قوات فورجمول وحربوها عقابا لها على تواطئها مع الغزاة⁽⁹⁾، كما أن رفض محمد الصالح بن الحاج الشافعي مؤسس وشيخ زاوية عين المنشية الرحمانية بن حيدرة وثالة الانضمام إلى المناهضين للاستعمار الفرنسي حتم عليه القرار صحة عائلته والعديد من سكان تالة إلى جبل حمامة والاحتفاء به⁽¹⁰⁾.

كما شاركت قبائل أولاد مهنة بقيادة فرحات بن علي بن سيّد، والفواد بقيادة الحاج علي بن عبد الله إلى جانب الفرائشيش وأولاد عيار، وويقة، وحلاص، وورنان، والحمامة والزغلة في التصدي لقوات فورجمول يوم 23 أكتوبر 1881، في معركة الروحية، والتي خلقت خمسة وعشرين قتيلا وعددا كبيرا من المرحى⁽¹¹⁾.

وقد كانت معركة كدية الحلفاء شمال جبل مغيلة التي وقعت يوم 25 أكتوبر 1881، المعركة الثالثة والأخيرة والتي شارك فيها شيخ الزاوية الرحمانية بالمنطقة - معمر الزاير - حيث قرر الأهالي أن يستخدموا فيها كل قواهم في وجه قائد الفيلق الفرنسي، وهو ما كلفهم مائة وخمسين قتيلا⁽¹²⁾.

وقد قام الحاج حرث بن محمد بنهب ممتلكات القياد الذين تعاونوا مع الغزاة وهم محمد قعيد بن سالم ومحمد الصالح الشافعي وعلي الصغير وقد كاتب محمد قعيد بن سالم محمد الصادق باي بتاريخ 27 حجة الحرام 1298 هـ (20 نوفمبر 1881) يشتكي من الحاج حرث «... رئيس المفسدين وطاغية العاصين حرث الجهلات»⁽¹³⁾، وقد قال في هذه الرسالة: «... أخذوا لي الطعام الذي بالروابط، ثم قصدوا داري بقرية تالة فكسروا أبوابها وأخذوا جميع ذخائري التي بها ما يطول ذكره، ومن جملة صناديق بها أثقالنا وأزمة ورسم ديون»⁽¹⁴⁾.

- 1 - المرجع نفسه ص 147.
- 2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 3 - العجيلي، الطرق الصوفية - مرجع سابق، ص 121، والتيمومي، انتفاضات الفلاحين - مرجع سابق ص 147.
- 4 - العجيلي، المرجع نفسه، ص 121.
- 5 - المرجع نفسه، ص 122.
- 6 - التيمومي، انتفاضات الفلاحين - مرجع سابق، ص 147.
- 7 - المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

ورغم فشل التصدي لتفوق الاستعمار، فإن ذلك لا يعني أن الفرائشلي وماجر إسوة
ببقية القبائل التونسية استكانوا للاستعمار بل أن المقاومة السلمية المتمثلة في رفض الانتصاح
إلى الأعداء والإغارة على التسلطات الاستعمارية كان من العوامل المهمة للتفوق من جديد على
الاستعمار، وتعد ثورة 1906 بمثابة حجة دليلى على ذلك.

خاتمة

لقد تميزت قبائل الفرائشلي كمجموعات طرقية بدفاعها عن هبتها الجغرافية وسيادتها
الذوية وخاصة إزاء سياسة التمييز التي انتهجتها السلطات الفرنسية بمحاولاتها التكرية
فضم بعض أراضي الفرائشلي. ورغم ذلك فقد استسلمت عروش الفرائشلي في الدفاع عن
والحدائق الغربية أمام محاولات توسع نفوذ قبائل السامشة وبنو لاد سيدي يحيى بن طاسب.
وقد ساهموا بذلك في حماية المجال وساهموا في عملية بناء الدولة في مرحلة تشكلها وتكاملها
حياة لمزيد هام من محالها في ظل غياب السلطة المركزية.

لقد حاولت قبائل الوسط الغربي حماية محالها وتمتلكها من الأطماع الاستعمارية ومن
قبائل والغزاة، مستندة في الدفاع عنها إلى أشكال متعددة تكت أحقيتها بملكية الأرض
وقدم استقرارها بمناطقها مثل للقبائل والروابط، إضافة إلى وثائق ملوك وجمع إشارات صادرة
عن فضاء تونس وجزائريين ورسوم نجيب.

ورغم أنه لم يكن للموقع الحدودي قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر تأثير على نمط
عيش المجموعات القبلية جنوب وادي سراط، فقد كانت تشترك مع بقية المجموعات الداخلية
لإمالة تونس أو التابعة لإمالة الجزائر في نمط عيشها وفي ثقافتها، فلا الفروب بين الإيالات
في السابق، ولا أوامر للمنع الصادرة عن الحكام كان لها تأثير على أسلوب عيش العروش
الحدودية من الجانبين ولا على علاقات التواصل التاريخية التي ظلها كانت تربطها.

يبد أن الاستعمار الفرنسي رأى في ظاهرة التواصل وحالة الانتصار التاريخية بين القبائل
التحوية مصدر قلق، وهو ما جعله يعمل على وضع حد نهائي لهذه الظاهرة وتحويل الحدود
من فضاء تواصل إلى عامل انفصال ساهم في تغيير نمط عيش الأهالي من الجانبين.

لقد عمل الاستعمار الفرنسي على فك أواصر القبيلة داخل الجزائر وذلك من خلال عملية
تفتيتها إلى دواوير ومصادرة الأراضي وتدمير الأهالي وتضييق الخناق بانتهاجه أسلوب الفصل
أما عبر حواجز طبيعية أو من خلال حواجز اصطناعية (طوباني الهندي مثلاً) وكذلك العمل
على نقل غديد القبائل من مواطنها الأصلية وتوطينها في مجالات جديدة بعد مصادرة أراضيها.

وقد ساهمت عمليات الفصل والتحديد في بروز حالة من التناغم والصداقة بين القبائل الحدودية. حيث باتت التحرير على المجال من المحاجس الأساسية للقبائل وهو ما حد من عملية التواصل بين العروش وأدى إلى تفاقم حالات الاغارة من الجانبين وتفتش ظاهرة السرقه وقطع الطرق وهي ظواهر متفشية بين القبائل وكانت تعد من العقائد والاعراف القبلية.

لقد ساهمت سياسة التحيز وتجهيز المجال التي اعتمدها السلطات الاستعمارية جنوب وادي سراط في تضيق الخناق على القبائل النحومية، كما عملت على تدمير الروابط التاريخية وجملة الممارسات الاجتماعية لعل أبرزها التيارات المتبادلة من الجانبين سواء في إطار المناسبات العائلية أو لزيارة الأضرحة والأولياء خاصة أن تلك الأماكن المقدسة مثل مقامات الأولياء والأضرحة والجوامع على حداثي الحدود ظلنا مثلت عامل جذب وتربط بين العروش لما تثلته من رمزية دينية في نفوس المريدين وما كانت تلعبه ظاهرة «الزردة» من دور في عملية التقارب بين المجتمعات القبلية الحدودية حيث كانت تمثل مناسبة للتزاور والاحتلاط بين السكان من الجانبين.

لكن هذا التواصل لم يمنع السلط الفرنسية والتونسية من ولوج مغامرة التحديد ولكلا الجانبين اعتباراته الخاصة، فالاستعمار الفرنسي كان المحاجس الأمني هو المحدد الأساس لمسألة رسم الحدود، بيد أن الجانب التونسي كان العامل الجبائي هو الدافع الأساس للاختراط في مناقشات رسم الحدود، وقد خلق فرض مبدأ المنع والمراقبة المستديمة وضعاً سياسياً جديداً لم تعهده الجماعات المحلية فيما بينها سابقاً.

فسياسة التحديد كانت عاملاً مكبلاً لتثقل المجموعات الطرفية بين تونس والجزائر، وظاهرة عجزت من حلالتها السلطات الفرنسية عن استكوارها لسياسة التسامح التي كانت تبديها السلطات التونسية أو عملها في المناطق الحدودية تجاه الفارين من الحكم الفرنسي أو المتمردين عليه وكذلك تجاه قبائل الفرائش الرافضة للتقسيم الحدودي.

وبالتالي يمكن القول أن سياسة التحيز التي انتهجتها السلطات الفرنسية جنوب وادي سراط في ظل غياب شبه تام للسلطة المركزية ساهم في تضيق الخناق حول القبائل الحدودية وفي الحد من الانفتاح الذي كان عليه المجال، كما أن سياسة الجباية المفروضة من طرف «الباليك» وعماله في المناطق الحدودية ساهمت بدورها في تشديد الخناق على الأهالي في ظل

حالة الحشد والعسر التي عاشتها قبائل الوسط الغربي بعد أن باتت تخضع لمراقبة اقتصادية تبيح لأوامر الزجر التي كانت تصدر من السلطات في الأبالدين كلها عوامل أدت إلى بروز حالات من التمرد والعصيان على الدولة (ثورة 1864) أدت في مجملها إلى بروز إحلالات في نمط عيش القبائل الحدودية وإلى القرام في التوزينات الاجتماعية داخل القبيلة.

ويمكن القول أن قبائل الفرائش سواء عن طريق التصدي أو عن طريق التحالف مع القبائل المجاورة لعبت دوراً مهماً في حماية الحدود وساهمت إلى حد ما في بناء كيان الدولة التونسية في مستوى الأطراف، فلكل المجموعات كانت تشعر بانتمائها إلى السيادة التونسية لذلك ساهمت في صناعة الحدود وفي بناء الهوية القارية وعملت على الدفاع عنها والتصدي لكل محاولات حرقها وقد تمسك ذلك فعلاً أثناء الغزو الفرنسي لتونس عام 1881.